
2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World
زاد المسير في علم التفسير
تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
المجلد الثاني عشر
غافر - فصلت - الشورى - الزخرف
الدخان - الجاثية - الأحقاف - محمد
الفتح - الحجرات - ق - الذاريات
الطور - النجم - القمر - الرحمن
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
زاد المسير في علم التفسير
أوقاف
AWQAF
يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

# زاد المسير

# في علم التفسير

(١٢)

**الطبعة الأولى**

**١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م**



**هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.**




الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com








# زاد المسير

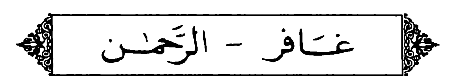
# في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

## المجلد الثاني عشر




تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

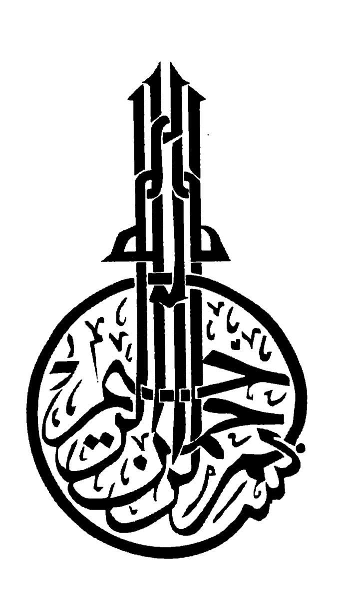
المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة المؤمن

قالَ أبو سُلَيْمانَ الدِّمشقِيّ: ويقالُ لها: سُورةُ الطَّول.

وَهِيَ مكيَّة قالَه ابنُ عبَّاس، والحسَنُ، ومُجَاهِدُ، وعكرِمَةُ، وقتادَةُ.

وحُكِيَ عنِ ابنِ عبَّاس وقَتَادَة أنَّ فيها آيتين نزلَتا بالمدينةِ قَولُه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ والتي بعدَها[1].

قَالَ الزَّجّاج: وذُكِرَ أنَّ الحواميم كلَّها نزلت بمكَّة[2].

قَالَ ابنُ قُتَيْبَة: يقَال: إنَّ ﴿ حمٓ ﴾ اسم من أسماءِ الله أُضِيفَتْ هذه السورة إليه، كأنَّه قيل: سورة الله، لشرفها وفضلِهَا، فقيل: آل حاميم، وإن كانَ القرآنُ كلُّه سورَ الله، وإن هذا كما يقال: بيتُ الله وحَرَمُ الله وناقَةُ الله، قَالَ الكُمَيتُ[3]: [من الطويل]

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حامِيمَ آيَةً    تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ ومُعْرِبُ

(١) سورة غافر: الآيتان ٣٥، ٣٦.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٦٥).

(٣) البيت للكميت في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص:٣٦)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٣٠١)، والكتاب (٣/ ٢٥٧)، وغريب الحديث؛ لأبي عبيد (٤/ ٩٤)، والمخصص (٥/ ١٥٦)، ولسان العرب (١/ ٥٨٩) مادة (عرب)، (١٢/ ١٥٠) (حمم)، (١٣/ ٢٦٥) مادة (طسن)؛ والمقتضب (١/ ٢٣٨، ٣/ ٣٥٦)، وبلا نسبة في أسرار العربية (ص ٤٤)، وجمهرة اللغة (٣/ ١٢٨٣)، ولسان العرب (١٤/ ٢١١) مادة (حوا).

وَقَد تُجعَلُ ﴿حمٓ﴾ اسمًا للسورة، ويدخلُ الإعراب ولا يصرف، ومَن قَالَ هذا في الجميعِ: الحواميم، كما يقال: «طس» والطواسين[1].

وَقَالَ محمَّد بنُ القَاسِم الأَنْبَارِي: العرب تقولُ: وقع في الحواميم وفي آل حميم، أنشَدَ أبُو عُبَيْدَةَ[2]: [من الرجز]

حَلَفْتُ بالسَّبع اللَّواتي طُوِّلتْ وبِمِئينَ بعدَها قد أُمْئِيَتْ
وبمَثَانٍ ثُنِّيتْ فكُرِّرتْ وبالطَّواسِينِ التي قد ثُلِّثَتْ
وبالحَوامِيم اللَّوَاتِي سُبِّعتْ وبالمفصَّلِ اللَّواتِي فُصِّلتْ

فمن قَالَ: وقع في آل حاميم، جَعَلَ حاميم اسمًا لكلّهن.

ومَن قَالَ: وقعَ في الحواميم، جعَلَ حم كأنَّه حرفٌ واحدٌ بمنزلة قابيل وهابيل.

وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللغويّ قَالَ: مِنَ الخطأ أن تقولَ: قرأتُ الحواميم، وليس من كلام العرب، والصواب أن تقول: قرأت آل حاميم، وفي حديثِ ابن مسعُود: «إذا وقَعت في آل حم وقعت في روضَات دَمِثَات»، وَقَالَ الكُميت[3]:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حامِيمَ آيَةً ..............................

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٦).

(٢) الأبيات بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٧)، وتفسير الطبري (١/ ١٠١)، والنكت والعيون (١/ ٢٦)، ولسان العرب (١٢/ ٣٦٣).

(٣) سبق عزوه قريبًا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[المؤمن: ١-٣].

وفي ﴿حمٓ﴾ **أربعة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه قسَمٌ أقسمَ الله به وهو من أسمائه ﷻ، رواه ابنُ أَبي طَلْحَة عَن ابن عبَّاس.

قَالَ أَبو سُلَيمان: وَقَد قيلَ: إنَّ جوابَ القسَمِ قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ﴾ [غافر: ١٠].

**والثَّاني:** أنَّها حروفٌ من أسماء الله ﷻ، ثمَّ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّ «الر» و «حم» و «ن» حروف الرحمن، رواه عكْرِمَةُ عَن ابنِ عبَّاس.

**والثَّانِي:** أنَّ الحاءَ مِفْتَاح اسمه حميد، والميمَ مِفْتَاح اسمه مَجِيد، قَالَه [٦٩٧/أ] أَبو العاليَة.

**والثَّالِث:** أنَّ الحاءَ مِفْتَاح كلِّ اسمٍ لله ابتداؤه حاء، مثل: حكيم وحليم وحَيّ، والميم مِفْتَاح كلّ اسمٍ له ابتداؤه ميم، مثل: مَلِك ومتكبِّر ومجيد، حَكَاهُ أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِيّ.

ورُويَ نحوه عَن عَطَاء الخرَاساني.

**والثَّالِث**: أنَّ مَعْنَى ﴿حمٓ﴾ قضي ما هو كائِنٌ، روَاهُ أبو صَالِح عَن ابنِ عبَّاس.

ورُوِيَ عَنِ الضَّحَّاك والكِسَائِيِّ مثل هذا، كأنَّهما أرَادَا الإشَارَةَ إلى «حُمَّ» بضم الحاء وتشديد الميم.

قال الزَّجَّاج: وَقَد قيل في ﴿حمٓ﴾ حُمَّ الأمْرُ[1].

**والرَّابعُ**: أنَّ ﴿حمٓ﴾ اسمٌ من أسماء القرآن، قَالَهُ قَتَادَة.

وقَرَأ ابنُ كَثِير: ﴿حمٓ﴾ بفتح الحاء.

وقَرَأ ابنُ عَامِر، وحَمْزَة، والكِسَائِيّ: بكسْرِها، واختلفَ عَن الباقين[2].

قَالَ الزَّجَّاجُ: أمَّا الميمُ فساكنةٌ في قراءة القُرَّاء كلِّهم إلَّا عيسَى بن عمر فإنَّه فتَحَها، وفَتْحُها على ضربين:

**أَحَدُهُمَا**: أنْ يُجعَلَ ﴿حمٓ﴾ اسمًا للسورة، فينْصِبه ولا ينوِّنه، لأنَّه على لفظِ الأسْمَاءِ الأعجَمِيَّة نحو هابيل وقابيل.

**والثَّانِي**: على معنى اتْلُ ﴿حمٓ﴾، والأجودُ أن يَكُون فُتِحَ لالتقاء الساكنين حيث جعله اسمًا للسورة، ويَكُون حكايةَ حروف الهجاء[3].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: هذا تَنْزِيلُ الكِتَاب، والتَّوب: جمع تَوبَة، وجائزٌ أن يَكُونَ مصدرًا من تابَ يتوبُ تَوبًا، والطَّول: الفَضلُ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٦٦)، والحجة (٦/ ١٠١)، والمبسوط (ص:٣٨٨)، والتيسير (ص:١٩١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٦٥).

قالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يقالُ فلانٌ ذو طَولٍ على قَومه أي: ذو فَضلٍ[١].

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: يقالُ طُلْ عليَّ يرحمك الله، أي: تَفَضَّلْ[٢].

قالَ الخطّابي: ذو حرفُ النسبةِ، والنسبَةُ في كلامهم على ثلاثةِ أوجهٍ:

بالياء كقولهم: أَسَدِيّ وبَكْرِيّ.

والثّاني: على الجمع كقولهم: المَهَالِبَةُ، والمَسَامِعَةُ، والأَزارِقَة.

والثّالِث: بـ «ذِي» و «ذات» كقولهم: رجل مال أي: ذو مال، وكبش صاف، أي: ذو صوفٍ، وناقةٌ ضَامرٌ أي: ذات ضُمْر[٣].

فقَولُه: ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِ﴾، معناه: أهلُ الطَّول والفَضل.

قَولُهُ تَعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[المؤمن: ٤-٦].

قَولُهُ تَعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما يخاصِمُ فيها بالتَّكذيبِ لها ودَفعِها بالبَاطلِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وباقِي الآية في آل عمران[٤]، والمعنى: إنَّ عاقِبَة أمرهم إلى العذابِ كعاقبةِ مَن قبلهم.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٩٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٥).

(٣) انظر: شأن الدعاء (ص:٤١).

(٤) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٩٦).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ فيه قَوْلان:

**أَحَدُهُما:** لِيَقْتُلُوه، قَالَهُ ابنُ عبَّاس، وقَتَادَة.

**والثَّاني:** لِيَحْبِسُوه ويعَذِّبوه، ويقَالُ للأسيرِ: أَخِيذٌ، حكَاه ابن قُتَيْبَة[1].

قَالَ الأخفَشُ: وإنَّما قالَ: ليأخُذُوه فَجَمَعَ على الكلِّ، لأنَّ الكلَّ مذكَّرٌ، ومعناه معنى الجماعَة[2].

ومَا بَعدَ هذا مفسَّرٌ في الكهف[3] إلى قَولِهِ ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أي: عاقَبْتُهم وأهْلَكْتُهم، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ استفهامُ تقريرٍ لعقوبَتِهم الواقِعَة بهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل الذي حَقَّ على الأمَمِ المكذِّبَةِ ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعَذَابِ، وَهِيَ قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] على الذين كَفَروا من قَومِكَ.

وقَرَأَ نَافِعٌ، وابن عَامِر: «حَقَّتْ كَلِماتُ ربِّكَ»[4].

﴿أَنَّهُمْ﴾ قَالَ الأَخْفَش: لأَنَّهم أو بأنَّهم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[5].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٥).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٩٨).

(٣) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٥٦).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٦٧)، والحجة (٦/ ١٠٥)، والمبسوط (ص:٣٨٨).

(٥) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٩٩).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[المؤمـن: ٧-٩].

ثـمَّ أخْـبرَ بفضـلِ المؤمنـينَ فَقَـال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ وهُـم أربعـةُ أمـلاكٍ، فـإذا كان يـومُ القيامـة جُعلـوا ثمانيـة.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾.

قـال وهـب بـن مُنبِّـهٍ: حَـولَ العَـرْشِ سبعون ألـف صـفٍّ مـن الملائِكَـةِ يطوفُـونَ بـه، ومِـنْ وراءِ هـؤلاء مِائةُ ألفِ صفٍّ مـن الملائكة، ليس فيهـم أحَدٌ إلَّا [٦٩٧/ ب] وهو يسبِّحُ بـما لا يسـبِّحُه الآخر[١].

وَقَالَ غيرُه: الذين حولَ العرشِ هم الكروبيون، وهم سادةُ الملائكة.

وَقَـد ذكرنـا في السـورةِ المتقدِّمَـةِ معنـى قولِـه: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[٢] [الزمـر:٧٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يَقُولُون ربَّنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) انظر: تفسير سورة الزمر الآية رقم (٧٥).



قالَ الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على التمييز[١].

وَقالَ غيرُه: المعنى: وسِعَتْ رحمتُك وعلمُكَ كلّ شيءٍ.

﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ مِنَ الشِّرْكِ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ وهو دين الإسلامِ، وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قولِه: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

قالَ قَتَادَة: يعني العذابَ[٢].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [المؤمن: ١٠- ١٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾.

قالَ المفَسِّرُون: لما رأَوا أعمالَهم وأدخِلُوا النَّارَ مَقَتُوا أنفُسَهُم لسوءِ فعلِهم، فَناداهُم مُنادٍ: لمقْتُ الله إيّاكم في الدّنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أكْبَرُ من مَقتِكُم أنفسَكُم.

ثمَّ أخبرَ عمّا يقولُون في النّار بقولِه: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، وهذا مثل قولِه: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]، وَقَد فسَّرناه هنالك[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٦٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٥٩)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٨٧) عن قَتَادَة به.

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٨).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ أي: مـن النَّـار إلى الدُّنيـا لنعمَـلَ بالطَّاعَـة ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ وفي الكَلام اختصَـارٌ تقديـرُه: فأجيبُـوا أن لا سبيلَ إلى ذلِـكَ، وقِيـلَ لهـم: ﴿ذَٰلِكُم﴾ يعني العَـذَاب الَّـذي نَـزَلَ بهـم ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ أي: إذا قِيـلَ: «لا إلـهَ إلّا الله» أنْكَرتُـم، وإن جُعِـلَ لـه شَرِيـكٌ آمَنتُـم، ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ فهـو الـذي حَكَـمَ عـلى المشركـين بالنَّـار.

وَقَد بيَّنَّا في سورة البقرة[1] معنى العَلِيِّ، وفي الرعد[2] معنى الكَبير.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [المؤمـن: ١٣-١٧].

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: مَصْنُوعَاتِـه التـي تـدلُّ عـلى وحدَانِيَّتِـه وقدرَتِـه، والـرِّزقُ هاهنـا المطـرُ، سـمِّي رزقًـا لأنَّـه سَـبَبُ الأرزاق.

و﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بمعنى يتَّعِظُ، و﴿يُنِيبُ﴾ بمعنى يَرجِعُ إلى الطَّاعَة.

ثـمَّ أَمَـرَ المؤمنـين بتوحِيـدِه فقَـالَ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي مُوَحِّدِيـنَ.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٩).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: يعني رافِعُ السَّمَوات[1].

وحَكَى الماوَرْدِيُّ عَن بَعْضِ المفَسِّرين قال: معناه عظيم الصفات[2].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ أي: خالِقُه ومالِكُه.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ **فيه خمسة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه القُرآن.

**والثَّاني:** النبُوَّة، والقَوْلان مروِيَّان عَنِ ابنِ عبَّاس، وبالأَوَّل قَالَ ابن زَيدٍ، وبالثَّاني قَالَ السُّدِّيُّ.

**والثَّالِث:** الوَحيُ، قَالَهُ قَتَادَة.

وإنَّما سمِّيَ القُرآن والوحيُ رُوحًا لأنَّ قوَامَ الدِّينِ بِهِ، كَما أنَّ قوامَ البدنِ بالرُّوح.

**والرَّابعُ:** جِبْرِيلُ، قَالَهُ الضَّحَّاك.

**والخَامِسُ:** الرَّحمة، حَكَاه إبراهيمُ الحَرْبِي.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** من قَضَائِه، قَالَهُ ابن عبَّاس.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٢٦٩).

(٢) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٤٧) ونسبه لابن زياد.

والثَّاني: بِأَمْرِه، قَالَهُ مُقَاتِل[١].

والثَّالِث: مِنْ قَولِه، ذَكَرَه الثعلبي[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ يَعْنِي الأنبيَاء.

﴿لِيُنذِرَ﴾ في المشَارِ إليه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أَنَّه الله ﷻ.

والثَّاني: النَّبِيُّ الذي يُوحَى إليه.

والمراد بـ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يومُ القِيَامَة.

وأثْبَتَ يَاء «التَّلاقِي» في الحالَين: ابنُ كَثِيرٍ ويَعْقُوبُ، وأَبُو جَعْفَر وافقَهُما في الوصْلِ، والباقُون بغيرِ ياءٍ في الحالَين[٣].

وفي سَبَبِ تَسمِيَتِه بذلِكَ خمسة أقوال:

أحدها: أَنَّه يَلْتَقِي فيه أهلُ السَّماءِ والأرضِ، رواه يُوسُفُ بنُ مهرَان عَن ابنِ عبَّاس.

والثَّاني: يَلْتَقِي فيه الأوَّلُونَ والآخِرُون، رُوِيَ عَن ابنِ عبَّاس أيضًا. [٦٩٨/أ]

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٠٨).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٢٧٠).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٥٦٨)، والحجة (٦/ ١٠٣)، والمبسوط (ص:٣٩١).

والثَّالِث: يَلْتَقِي فيه الخَلْقُ والخَالِقُ، قَالَهُ قَتَادَة، ومُقَاتِل[(١)].

والرَّابعُ: يَلْتَقِي المظْلُومُ والظَّالم، قَالَهُ ميمون بنُ مهران.

والخَامِسُ: يَلْتَقِي المرءُ بعمَلِه، حَكَاه الثعلبي[(٢)].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ أي: ظَاهِرون من قُبُورهم ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾.

فإن قيل: فهل يخفى عليه منهم اليومَ شيءٌ؟

فالجواب: أنْ لا، غيرَ أنَّ معنى الكلام التهديدُ بالجزاء، وللمَفسِّرين فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يَخْفَى عليه ممَّا عَمِلوا شيءٌ، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: لا يَسْتَتِرون منه بجَبَلٍ ولا مَدَرٍ، قَالَهُ قَتَادَة.

والثَّالِث: أنَّ المعنى أبْرَزَهُم جميعًا؛ لأنَّه لا يخفى عليه منهم شيءٌ، حَكَاهُ المَاوَرْدِيّ[(٣)].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ اتَّفقُوا على أنَّ هذا يقولُه الله ﷻ بعدَ فَنَاءِ الخلائِق.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٠٨).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٢٧٠).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٤٨).

واختلفوا في وَقْتِ قولِه له على قَوْلَين:

**أَحَدُهُمَا:** أنّه يقولُه عندَ فناءِ الخَلائقِ إذا لم يَبْقَ مجيبٌ، فيرُدُّ هو على نفسِه فيقُول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، قَالَهُ الأكْثَرُون.

**والثَّاني:** أنّه يقولُه يومَ القيامةِ.

وفيمن يجيبه حينئذ **قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنّه يجيبُ نفسَه، وقَد سَكَتَ الخلائِقُ لقَولِه، قَالَهُ عَطَاء.

**والثَّاني:** أنَّ الخلائِقَ كلَّهم يجيبونَهُ فيقُولونَ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، قَالَهُ ابن جُرَيجٍ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [المؤمن: ١٨-١٩].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ **فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنّه يومُ القيامَةِ، قَالَهُ الجمهور.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وسمِّيَتْ القيامَة بذلِكَ لقُربِها، يقَالُ: أَزِفَ شخوصُ فلانٍ أي: قَرُبَ(١).

**والثَّاني:** أنّه يوم حُضُور المنِيَّةِ، قَالَهُ قطرب.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٦).



قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وذلِـكَ أنَّهـا تَرْتَقِـي إلى الحناجِـرِ فـلا تخـرُجُ ولا تعـودُ، هـذا عـلى القَـولِ الأوَّل، وعَـلَى الثَّـاني: القُلُـوبُ هـي النفـوسُ تبلـغُ الحناجِـرَ عنـد حضـور المنيَّـةِ.

قـالَ الزَّجَّـاج: و﴿ كَٰظِمِينَ ﴾ منصـوبٌ عـلى الحَـالِ، والحـال محمولَـةٌ عـلى المعنـى؛ لأنَّ القلـوبَ لا يُقـال لهـا: كَاظِمِـين، وإنَّـما الكاظمـونَ أصْحَـابُ القلـوبِ، فالمعنـى: إذْ قلـوبُ النَّـاسِ لـدَى الحناجِـرِ في حَـال كَظمِهِـم[١].

قـال المفسِّرُون: كاظمـين أي: مَغمُومِـين مُمتَلِئـين خَوفًـا وحُزنًـا، والكاظِمُ الممسِـكُ للـشيءِ عـلى مـا فيه.

وَقَد أشَرْنَا إلى هذا عند قَولِه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[٢] [آل عمران:١٣٤].

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعنـي الكافريـن ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: قريـبٍ ينفعُهُـم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فيهـم فتُقبَـل شَـفَاعَتُه.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: الخائِنَةُ والخيانة واحدٌ[٣].

**وللمفسِّرين فيها أربعةُ أقوالٍ:**

**أحَدُها:** أنَّه الرجلُ يَكُون في القومِ فتمرُّ به المرأةُ فيريهم أنَّه يغضُّ بصرَه، فإذا رأى منهم غفلةً لحظَ إليها، فإن خافَ أنْ يفطنوا له غضَّ بصَرَه، قَالَهُ ابن عبَّاس.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٦٩).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٣٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٦).

**والثَّاني**: أنَّه نظرُ العينِ إلى ما نُهِيَ عنه، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّالِث**: الغَمْزُ بالعين، قَالَهُ الضَّحَّاك والسُّدِّيُّ.

قال قَتَادَة: هو الغَمْزُ بالعين فيما لا يحبُّه الله ولا يرضَاه[١].

**والرَّابعُ**: النَّظْرَةُ بعدَ النَّظْرَةِ، قَالَهُ ابنُ السَّائِبِ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها**: ما تُضمِرُه من الفعلِ أن لو قَدَرَت على ما نَظَرَتْ إليه، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: الوَسْوَسَةُ، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والثَّالِث**: ما يُسرُّه[٢] القلوبُ من أمَانَةٍ أو خِيَانَةٍ، حَكَاهُ المَاوَرْدِيّ[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[المؤمن: ٢٠-٢٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٦٩)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٠٤) عن قَتَادَة به.

(٢) في (ر): (تستره).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٥٠).



قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِى بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: يحكُـمُ بـه فيجـزِي بالحسَـنَةِ والسَّـيِّئَةِ، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ مـنَ الآلهـة. [٦٩٨/ ب]

وقَـرَأَ نَافِعٌ وابـن عَامِرٍ: «تَدْعُـونَ» بالتـاء[1] عـلى معنـى: قُـلْ لهـم، ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَىۡءٍ﴾ أي: لا يحكمـون بـشيءٍ ولا يجـازُون بـه، وَقَـد نبَّـه الله ﷻ بهـذَا عـلى أنَّـه حَـيٌّ، لأنَّـه إنـَّما يأمُـرُ ويقـضِي مَـن كان حَيًّـا، وأيَّـدَ ذلِـكَ بذِكْـرِ السَّـمعِ والبَـصَرِ لأنَّهُـما إنَّـما يثبتـان لحـيٍّ، قَالَـهُ أبـو سُـلَيمان الدِّمشْـقِيُّ.

ومـا بعـدَ هـذا قَـدْ تقـدَّم بعضُـه[2]، وبعضُـه ظاهـرٌ إلى قولـه: ﴿كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً﴾.

وقَـرَأَ ابـنُ عَامِـر: «أَشَـدَّ مِنكُـمْ» بالـكاف[3]، وكذلِـكَ هـو في مصاحفهم، وهـو عـلى الانـصرافِ مـن الغَيبَـةِ إلى الخطَـاب.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عَذَابِ الله ﴿مِن وَاقٍ﴾ يَقِي العذابَ عَنْهُم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلِـكَ العـذابُ الَّـذي نَـزَلَ بهـم ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ إلى آخِـر الآيـة.

ثـمَّ ذَكَـرَ قصَّـةَ مُوسَـى وفرعَـون ليَعْتَـبِروا: وأرادَ بقولـه: ﴿ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ أعِيـدُوا القَتْـلَ عليهـم كـما كانَ أوَّلاً، قَالَـهُ ابـن عبَّـاس.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٦٨)، والحجة (٦/ ١٠٢)، والمبسوط (ص:٣٨٩).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (١٠٩).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٦٩)، والحجة (٦/ ١٠٦)، والمبسوط (ص:٣٨٩).

وَقَالَ قَتَادَةَ: كان فرعون قَدْ كَفَّ عَن قَتْلِ الوِلْدَان، فلَمَّا بعثَ الله موسى أعادَ علَيْهِم القَتْل ليصُدَّهم بذلِكَ عَن متابَعَةِ مُوسَى[١].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ[٢] إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي إنَّه يذهبُ باطِلاً ويحيقُ بهم مَا يريدُه الله ﷻ.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[المؤمن: ٢٦-٣٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٠٨) من رواية سعيد، عن قتادة بلفظ: «هَذَا قَتْلٌ غَيْرُ الْقَتْلِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَ».

(٢) في الأصل، و(ر): (فرعون)!، والمثبت هو الصواب؛ لأنه لفظ الآية.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ وإنَّما قَالَ هَذا لأنَّه كانَ في خاصَّة فرعَون مَن يمنعُه مِنْ قَتْلِه خوفًا مِنَ الهلاكِ ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الذِي يَزْعُمُ أنَّه أرسَلَه فليمْنَعْه من القَتْل ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أي عِبادَتَكم إيَّايَ ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ ونَافِعٌ وأَبُو عَمْرٍو وابنُ عَامِرٍ: «وَأَنْ» بغيرِ أَلِفٍ.

وقَرَأَ عَاصِمٌ وحَمْزَةَ والكِسَائِيُّ ﴿أَوْ أَن﴾ بألفٍ قبل الواو، على معنى: إنْ لم يبَدِّلْ دينكُم أَوْقَعَ الفسَادَ، إلَّا أنَّ نَافِعًا وأبَا عَمرٍو قَرَآ ﴿يُظْهِرَ﴾ بضمِّ الياء ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ بالنصبِ، وقَرَأَ الباقون: «يَظْهَرَ» بفتح الياء «الفسَادُ» بالرفع[1].

والمعنى: يَظْهَرُ الفسادُ بتغييرِ أحكامِنَا، فجَعَلَ ذلِكَ فسادًا بزعمِهِ، وقيل: يقتُلُ أبناءَكُم كما تفعلون بهم.

فلمَّا قَالَ فرعونُ هذا اسْتَعَاذَ مُوسَى بربِّه فقال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ وعَاصِم وابنُ عَامِرٍ: ﴿عُذْتُ﴾ مبيَّنَةَ الذال.

وأدْغَمَهَا أَبُو عَمْرٍو وحَمْزَةُ والكِسَائِيُّ وأبو جَعْفَر وخَلَفٌ[2].

﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أي متعَظِّمٍ عَن الإيمان، فقَصَدَ فرعون قتْلَ مُوسَى، فقَالَ حينئذٍ ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٦٩)، والحجة (٦/ ١٠٧)، والمبسوط (٣٨٩).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٧٠)، والحجة (٦/ ١٠٨)، والمبسوط (٣٨٩)، والتيسير (ص:٤٤).

**وفي الآلِ هاهنا قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه بمعنى الأهلِ والنَّسَبِ، قَالَ السُّدِّيّ ومُقَاتِل: كان ابنُ عمّ فرعون، وهو المراد بقوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[١] [القصص: ٢٠].

**والثَّاني:** أنَّه بمعنى القَبِيلَة والعشيرة، قَالَ قَتَادَة ومُقَاتِل: كان قبطِيًّا[٢].

وَقَالَ قومٌ: كان إسرائيليًّا، وإنَّما المعنى: قَالَ رجلٌ مؤمِنٌ يكتمُ إيمانَه من آل فرعون.

**وفي اسمه خمسة أقوال:**

**أحدها:** حزبيل[٣]، قَالَهُ ابن عبَّاس[٤]، ومُقَاتِل[٥].

**والثَّاني:** حبيب، قَالَهُ كعب.

**والثَّالِث:** سمعون بالسِّين المهملة، قَالَهُ شعيبُ الجبَّائي.

**والرَّابِعُ:** جبريل.

**والخَامِسُ:** شمعان بالشِّين المعجمة، رُوِيَا عَن ابن إسْحَاق، وكذلِكَ حكى الزَّجَّاجُ[٦] شمعان بالشِّين، وذكره ابن ماكولا بالشِّين المعجمة أيضًا، والأكثرون على أنَّه آمَنَ بموسى لَمَّا جاء.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١١).

(٣) في الأصل، و (ر): (جبريل)!، والمثبت من تفسير مقاتل، والثعلبي.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٢٧٣).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٥).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧١)، وفيه: «سِمعان».

[٦٩٩/أ] وَقَالَ الحَسَنُ: كانَ مؤمنًا قبل مجيءِ موسى، وكذلِكَ امرأةُ فرعون[١].

قال مُقَاتِل: كتَمَ إيمانَه من فرعون مِائةَ سنة[٢].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ﴾ أي: لِأَنْ يقـولَ: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ وهـذا اسـتفهامُ إنـكارٍ، ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بـما يـدلُّ عـلى صِدْقِـه، ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي لا يضرُّكـم ذلِـكَ ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ مـن العـذابِ.

**وفي «بَعْض» ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّها بمعنى كلّ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَة[٣].

وأنشد للَبيد[٤]: [من الكامل]

تَـرَّاكُ أَمْكِنَـةٍ إذَا لَمْ أَرْضَهَـا ... أَو يَعْتَلِـقْ بَعْـضَ النُّفـوس حِمامُهـا

أراد: كلَّ النفوس.

**والثَّاني:** أنَّها صِلَةٌ، والمعنى: يصِبكم الذي يَعِدُكُم، حُكِيَ عَن اللَّيث.

---

(١) ذكره المَاوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/ ١٥٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١١).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٥).

(٤) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه (ص٣١٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٠٥)، وفقه اللغة (ص:٢٦٧)، والأضداد (ص:١٨١)، وجمهرة اللغة (١/ ٣٥٣)، والخصائص (١/ ٧٤)، والصاحبي في فقه اللغة (ص ١٩٣)، والمحتسب (١/ ١١١) وبلا نسبة في خزانة الأدب (٧/ ٣٤٩)، والخصائص (٢/ ٣١٧، ٣٤١).

**والثَّالِث**: أنَّها على أصْلِها.

ثم في ذلِكَ قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّه وعدهم النَّجاةَ إن آمنوا، والهلاكَ إن كفروا، فدَخَلَ ذِكْرُ البعضِ لأنَّهُم على أحَدِ الحالين.

**والثَّاني**: أنَّه وعدَهُم على كفرهم الهلاكَ في الدنيا والعذَابَ في الآخِرة فصَارَ هلاكُهم في الدنيا بَعْضَ الوعْدِ، ذكرهما المَاوَرْدِيّ[1].

قال الزَّجَّاجُ: هذا بابٌ منَ النَّظَرِ يذهب فيه المناظِرُ إلى إلزام الحُجَّةِ بأيْسَرِ ما في الأمرِ، وليس في هذا نفي إصابة الكلِّ، ومثلُه قولُ الشَّاعر[2]: [من البسيط]

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وإنَّما ذكر البعضَ ليوجِبَ الكلَّ، لأنَّ البعضَ من الكُلِّ، ولكن القائلَ إذا قَالَ: أقلُّ ما يَكُون للمتأنِّي إدراكُ بعضِ الحاجةِ، وأقلُّ ما يَكُون للمستعجلِ الزَّلَلُ؛ فقد أبانَ فضلَ المتأنِّي على المستعجِلِ بما لا يقدرُ الخصْمُ أن يدفعَه، فكأنَّ المؤمنَ قَالَ لهم: أقلُّ ما يَكُون في صدقِه أن يصبكم بعضُ الذي يعدكُم، وفي بعضِ ذلِكَ هلاكُكُم[3].

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٥٣).

(٢) البيت لعمرو القطامي في جمهرة أشعار العرب (ص:٧٤)، والشعر والشعراء (٢/ ٧١٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٥٦)، وتهذيب اللغة (١/ ٣١٠)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٢)، والنكت والعيون (٥/ ١٥٣)، والمحكم (١/ ٤١٥)، ولسان العرب (٧/ ١٢٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٢).

قال: وأمَّا بيتُ لَبِيدٍ، فإنَّه أرادَ ببعضِ النفوسِ نفسَه وحدَها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ أي: لا يوفِّقُ للصَّواب ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه المشرِكُ، قَالَهُ قَتَادَة.

والثَّاني: أنَّه السَّفَّاكُ للدَّم، قَالَهُ مُجَاهِد.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي عَالِين في أرضِ مِصْرَ ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ أي: مَن يمنعُنَا ﴿مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ أي: من عَذَابه، والمعنى: لا تتعرَّضوا للعذاب بالتكذيبِ وقتلِ النَّبيِّ، فقال فرعون عند ذلك: ﴿مَآ أُرِيكُمْ﴾ من الرأيِ والنصيحةِ ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ لنفسي ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾ أي أدعوكم إلَّا إلى طريقِ الهدَى في تكذيب موسى والإيمانِ بي، وهذا يدلُّ على أنَّه انقطعَ عَنْ جوابِ المؤمن.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي مثلَ يومِ حزبٍ حزبٍ، والمعنى: أخاف أن تقيموا على كفركم فينزل بكم من العذاب مثل ما نزل بالأمم المكذِّبة رسُلِهم[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾.

قَرَأَ عَاصِم وأَبو عَمْرٍو وابنُ عَامِرٍ وحَمْزَةُ والكِسَائِيُّ: ﴿ٱلتَّنَادِ﴾ بغير ياء.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٢).

وأثبـتَ اليـاءَ في الوصـل والوقـفِ: ابـنُ كَثِـيرٍ ويعقـوبُ، وافقَهـم أبـو جَعْفَـر في الوصـل(١).

وقَـرَأَ أبـو بكـرٍ الصديـقُ وابـنُ عبَّـاس وسـعيدُ بـنُ المسيَّب وابـنُ جبـير وأبـو العَاليـة والضَّحَّـاك: «التَّنـادِّ» بتشـديدِ الـدَّال(٢).

قـال الزَّجَّـاجُ: أمَّـا إثبـات اليـاءِ فهـو الأصـلُ وحذفُهـا حسـنٌ جميـلٌ؛ لأنَّ الكسرة تـدلُّ عـلى اليـاء، وهـو رأسُ آيـة، وأواخـر هـذه الآيـات عـلى الـدَّال، [٦٩٩/ ب] ومـن قَـرَأَ بالتشـديدِ فهـو مـن قولهـم: نَـدَّ فـلانٌ ونَـدَّ البعـيرُ إذا هـربَ عـلى وجهـه، ويـدلُّ عـلى هـذا قولُـه: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾، وقولـه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبـس:٣٤](٣).

قال أبو عَليّ: معنى الكلام: إني أخَافُ عليكم عذابَ يوم التَّناد(٤).

قـال الضَّحَّـاك: إذا سـمع النـاسُ زفـيرَ جهنَّـم وشـهيقَها نـدُّوا فِـرارًا منهـا في الأرض فـلا يتوجَّهـون قِطـرًا مـن أقطـارِ الأرضِ إلَّا رأَوا ملائكـةً فيرجعـون مـن حيـث جـاؤوا(٥).

(١) انظر: السبعة (ص:٥٦٨)، والحجة (٦/ ١٠٣)، والتيسير (ص:١٩٢).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٣)، والتحصيل (٥/ ٥٦١) كلاهما نسبها لابن عبَّاس، والضحاك، وفي المحتسب (٢/ ٢٤٣) نسبها لابن عبَّاس والضحاك وأبي صالح والكلبي، وفي البحر المحيط (٩/ ٢٥٦) نسبها لابن عبَّاس، والضحاك، وأبي صالح، والكلبي، والزعفراني، وابن مقسم.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٣).

(٤) انظر: الحجة (٦/ ١٠٤).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣١٨) من رواية الأجلح، عن الضحاك به.

وَقَالَ غيرُه: يؤمَر بهم إلى النَّار فيفرُّون ولا عَاصِم لهم.

فأمَّا قراءة التخفيفِ فهي من النِّداء، وفيها للمفسِّرين أربعة أقوال:

**أحدها:** أنَّه عند نفخةِ الفَزَعِ ينادِي الناسُ بعضَهم بعضًا.

روى أبـو هريـرةَ عَـنِ النبـيِّ ﷺ أنَّـه قَـال: «**يَأْمُـرُ اللهُ ﷻ إِسْرَافِيـلَ بِالنَّفْخَةِ الأُولَى فَيَقُـولُ: انْفُـخْ نَفْخَـةَ الْفَـزَعِ، فَيَفْـزَعُ أَهْـلُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا مَـنْ شَـاءَ اللهُ، فَتُسَـيَّرُ الجِبَـالُ، وَتُـرَجُّ الْأَرْضُ، وَتَذْهَـلُ الْمَرَاضِـعُ، وَتَضَـعُ الْحَوَامِـلُ، وَيُـوَلِّي النَّـاسُ مُدْبِرِيـنَ يُنَـادِي بَعْضُهُـم بَعْضَـاً، وَهُـوَ قَوْلُـهُ: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾**»[1].

**والثَّـاني:** أنَّـه نـداءُ أهـلِ الجنَّـةِ والنَّـار بعضَهـم بعضًـا كـما ذُكِـرَ في الأعـراف[2]، وهــذا قــول قَتَــادَة.

---

(١) رواه البيهقـي في البعـث والنشـور (٦٠٩)، وابـن أبي الدنيـا في الأهـوال (٥٥) مـن روايـة إسـماعيل بـن رافـع، عـن محمـد بـن يزيـد بـن أبي زيـاد، عـن محمـد بـن كعـب القرظـي، عـن رجـل مـن الأنصـار، عـن أبي هريـرة ﵁.

قـال الحافـظ ابـن كثـير في تفسـيره (٣/ ٢٥٧): «هـذا حديـث مشـهور، وهـو غريـب جـدًّا، ولبعضـه شـواهد في الأحاديـث المتفرقـة، وفي بعـض ألفاظـه نـكارة، تفـرد بـه إسـماعيل بـن رافـع قـاص أهـل المدينـة، وَقَـد اختلـف فيـه، فمنهـم مـن وثقـه، ومنهـم مـن ضعفـه، ونـص عـلى نـكارة حديثـه غـير واحـد مـن الأئمـة، كأحمـد بـن حنبـل، وأبي حاتـم الـرازي، وعمـرو بـن عـلي الفـلاس، ومنهـم مـن قَـالَ فيـه: هـو مـتروك، وَقَـالَ ابـن عـدي: أحاديثـه كلهـا فيهـا نظـر، إلا أنـه يكتـب حديثـه في جملـة الضعفـاء، قلـت: وَقَـد اختلـف عليـه في إسـناد هـذا الحديـث عـلى وجـوه كثـيرة قـد أفردتهـا في جـزء عـلى حـدة، وأمـا سـياقه فغريـب جـدًّا، ويقـال: إنـه جمعـه مـن أحاديـث كثـيرة، وجعلـه سـياقا واحـدًا فأنكـر عليـه بسـبب ذلـك، وسـمعت شـيخنا الحافـظ أبـا الحجـاج المـزي يقـول: إنـه رأى للوليـد بـن مسـلم مصنفًـا قـد جمعـه، كالشـواهد لبعـض مفـردات هـذا الحديـث، فـالله أعلـم».

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآيات رقم (٤٤-٥٠).

**والثَّالِث**: أنَّه قولهم: يا حَسْرتَنا يا ويلَتَنا، قَالَهُ ابن جُريج.

**والرَّابعُ**: أنَّه ينادَى فيه كلُّ أناسٍ بإمامهم بسعادةِ السعداء وشقاوةِ الأشقياء.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ فيه قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: هربًا من النَّار.

**والثَّاني**: أنَّه انصِرَافهم إلى النَّار.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي من مانِعٍ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ وهو يوسفُ بنُ يعقوب، ويقال: إنَّه ليس بهو، وليس بشيءٍ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبلِ موسى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وَهِيَ الدّلالات على التوحيد كقولِه: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾ الآية [يوسف: ٣٩].

وَقَالَ ابنُ السَّائِب: البيِّنات تعبيرُ الرؤيا وشقُّ القميصِ(١).

وقيل: بل بعثه الله تعالى بعد موتِ ملكِ مصرَ إلى القبط.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ أي من عبادةِ الله وحدَه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ أي مَاتَ ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي إنَّكم أقمتُم على كفرِكُم وظنَنْتُم أنَّ الله لا يجدِّد الحُجَّةَ عليكم، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الضلال ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ أي مشرِكٌ ﴿مُّرْتَابٌ﴾ أي شاكٌّ في التوحيدِ وصِدْقِ الرُّسُلِ.

---

(١) لم نقف عليه.

قَولُهُ تَعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾[المؤمن: ٣٥-٣٧].

قَولُهُ تَعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: هذا تفسير المسرِفِ المرتَاب، والمعنى: هم الَّذِين يجادِلون في آيات الله[1].

قَالَ المفسِّرون: يجادلون في إبطالها والتكذيبِ بها بغيرِ سلطانٍ؛ أي: بغير حُجَّةٍ أتتهم من الله.

﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي كَبُرَ جدالهم مَقْتًا عند الله وعندَ الذين آمنُوا، والمعنى: يَمْقُتُهم الله ويَمْقُتُهم المؤمنون بذلِكَ الجِدَال.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما طبعَ الله على قُلوبِهم حتَّى كذَّبوا وجادلوا بالباطِلِ، ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ عَن عبادَةِ الله وتَوحِيدِه.

وَقَد سبق بيانُ معنى الجبَّار في هود[2].

وقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: «على كلِّ قلبٍ» بالتنوين، وغيرُه من القُرَّاء السبعةِ يُضِيفُه[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٤).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٥٩).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٧٠)، والحجة (٦/ ١٠٩)، والمبسوط (ص:٣٩٠)، والتيسير (ص:١٩١).

وَقَالَ أبو عليّ: المعنى: يطبَعُ على جملةِ القلبِ من المتكبِّر، واختار قراءةَ الإضافَةِ الزَّجَّاجُ[١] قال: لأنَّ المتكبِّرَ هو الإنسانُ لا القلب[٢].

فإن قيل: لو كانت هذه القراءَةُ أصوَبَ لتقدُّمِ القلب على الكلِّ. [٧٠٠/أ]

فالجواب: أنَّ هذا جائزٌ عند العَرَب، قَالَ الفَرَّاءُ: تقدُّمُ هذا وتأخُّرُه واحدٌ، سمعت بعضَ العربِ يقول: هو يرجل شعرَه يومَ كلِّ جُمُعَة، يريد كلَّ يومِ جمعة، والمعنى واحدٌ.

وَقَد قَرَأَ ابن مَسْعُود وأَبُو عِمْرَان الجونيّ: «على قلبِ كلِّ متكبِّر» بتقديمِ القلبِ[٣].

قَالَ المفَسِّرُون: فلمَّا وَعَظَ المؤمنُ فرعونَ وزَجَرَه عَن قتل موسى، قَالَ فرعونُ لوزيره: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ وَقَد ذكرناه في القصص[٤].

قَوۡلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس وقَتَادَة: يعني أبوابَها[٥].

وَقَالَ أَبُو صَالِح: طُرُقَها[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٤).

(٢) انظر: الحجة (٦/ ١١٠).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٥٩) كلاهما نسبها لابن مسعود.

(٤) انظر: تفسير سورة القصص الآية رقم (٣٨).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٢٦) من رواية العوفي، عن ابن عبَّاس به.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٢٥) من رواية السدي، عن أبي صالح به.

وَقَالَ غيرُه: المعنى: لَعَلِّي أبلغ الطُّرُقَ من سماءٍ إلى سماء.

وَقَالَ الزَّجَّاج: لَعَلِّي أبلغ ما يؤدِّيني إلى السَّموات[1].

وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في القصص[2] إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثلُ ما وصفنا ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ﴾ عَن سبيلِ الهُدَى.

قَرَأ عَاصِم وحَمْزَة والكِسَائِيُّ: ﴿وَصُدَّ﴾ بضم الصّاد، والباقون بفتحِها[3].

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطالِ آياتِ موسى ﴿إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ أي في بطلانٍ وخُسْرانٍ.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[المؤمن: ٣٨-٤٠].

ثمَّ عادَ الكلامُ إلى نصيحةِ المؤمنِ لقومِهِ وهو قولُه: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ أي طريقَ الهدَى ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ يعني الحياة في هذه الدنيا متاعٌ يُتَمَتَّعُ بها أيامًا ثمَّ تنقطعُ ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ التي لا زوال لها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٥).

(٢) انظر: تفسير سورة القصص الآية رقم (٣٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٧٠-٥٧١)، والحجة (٦/ ١١١-١١٢)، والمبسوط (ص:٢٥٥).

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً ﴾ فيها قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّها الشِّرك ومثلها جهنَّم، قَالَهُ الأكثرون.

**والثَّاني**: المعاصي ومثلها العقوبة بمقدارِها، قَالَهُ أبو سُلَيمَان الدِّمَشقِيّ.

فعلى الأَوَّل العملُ الصالح التوحيدُ، وعلى الثَّاني هو على الإطلاق.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

قَرَأ ابنُ كَثِير وأَبُو عَمْرو: «يُدخَلونَ» بضمِّ الياء.

وقَرَأ نَافِعٌ وابنُ عَامِرٍ وحَمْزَة والكِسَائِيُّ بالفتح، وعَن عَاصِم كالقراءتين[١].

وفي قوله: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ **قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّهم لا تَبِعَةَ عليهم فيما يعطون في الجنَّة، قَالَهُ مُقَاتِل[٢].

**والثَّاني**: أنَّه يصبُّ عليهم الرزق صبًّا بغير تقتيرٍ، قَالَهُ أبو سُلَيمَان الدِّمَشقِيّ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ
﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى
ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ
لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا
مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ

(١) انظر: السبعة (ص:٥٧١)، والحجة (٦/ ١١٣)، والتيسير (ص:١٩١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٤).



﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[المؤمن: ٤١-٤٦].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ﴾ أي: مَا لَكُمْ، كما تقولُ: ما لي أراكَ حزينًا معناه: ما لَكَ، ومعنى الآية: أخبروني كيفَ هذه الحال، أدعوكم إِلَى النَّجاةِ مِنَ النَّار بالإِيمان، وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ أي: إلى الشِّرك الذي يوجِبُ النَّار؟!.

ثمَّ فسَّر الدَّعوتَين بما بعد هذا، ومعنى ﴿لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: لا أعلم هذا الذي ادعوه شريكًا له.

وَقَد سبق بيان ما بعدَ هذا(١) إلى قوله ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ وَفِيهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: ليس له استجابةُ دَعوَةٍ، قَالَهُ السُّدِّيّ.

والثَّاني: ليس له شفاعةٌ، قَالَهُ ابن السَّائب.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مرجِعُنا، والمعنى: أنَّه يجازينا بأعمالنا.

وفي المسْرِفِين قَوْلان قد ذكرناهما عند قوله: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٨].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾.

وقَرَأَ ابنُ مسعود وأبو العَالية وأبو عِمْران الجوني وأبو رجاء: «فستَذَكَّرونَ» بفتح الذال وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها(٢).

وقَرَأَ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأيوب السَّختِياني بفتح الذال والكاف

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٢٩)، وسورة طه الآية رقم (٨٢).

(٢) لم نقف عليها.

وتشديدهما جميعاً[١]، أي: إذا نزل العذاب بكم، ما أقول لكم في الدنيا من [٧٠٠/ ب] النَّصِيحة؟! .

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي أَرُدُّه، وذلِكَ أنَّهم تواعدوه لمخالفته دينَهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي بأوليائِه وأعدائِه.

ثمَّ خرَجَ المؤمن عنهم فطلبوه فلم يقدروا عليه، ونَجَا مع موسى لَّما عَبَرَ البحرَ، فذلِكَ قوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ أي ما أرادوا به من الشَّرِّ، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ لما لجُّوا في البحر ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ قَالَ المفسِّرُون: هو الغَرَقُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

قَالَ ابْنُ مسعود وابن عبَّاس: إن أرواحَ آل فرعون في أجواف طير سودٍ يُعرَضُونَ على النَّار كلَّ يومٍ مرَّتين فيقال: يا آل فرعون هذه داركم[٢].

وروى ابنُ جريرٍ قال: حدثنا عبدُ الكريم بن أبي عمير، قال: حدثنا حمّاد بن محمد البلخي قال: سمعت الأوزاعيَّ، وسأله رجلٌ، فقال: رأينا طيورًا تخرج من البحر فتأخذ ناحية الغرب بِيْضاً، فَوْجاً فَوْجاً، لا يعلم عددها إلَّا الله، فإذا كان العَشِيُّ رجعَ مثلُها سُوداً، قال: وفَطَنْتم إلى ذلك؟ قال: نعم، قال: إنَّ تلك الطير في حواصِلِها أرواحُ آل فرعون يُعْرَضُونَ

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٨٤) من رواية هزيل بن شرحبيل أعن ابن مسعود به، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٦).

على النَّار غدوًّا وعشيًّا، فترجعُ إلى وكورِها وَقَد احترقتْ رياشُها وصارت سوداء، فينبُت عليها من الليل رياشٌ بيضٌ، وتتناثر السودُ، ثمَّ تغدو ويُعرَضُون على النَّار غدوًّا وعَشِيًّا، فذلِكَ دأبها في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالَ الله ﷻ: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[1].

وَقَد روى البخاريُّ ومسلمٌ في الصحيحين من حديث ابنِ عمر قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إنَّ أَحَدَكُمْ إذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

وهذه الآية تدل على عذاب القبر؛ لأنَّه بيَّن ما لهم في الآخرة فقال: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ﴾.

قَرَأَ ابن كَثِير وابن عَامِرٍ وأَبُو عَمْرٍو وأبو بكرٍ وأبان عَن عَاصِم: «الساعةُ ادْخُلوا» بالضَّمِّ وضمِّ الخاء، على معنى الأمرِ لهم بالدُّخول، والابتداءُ على قراءة هؤلاء بضمِّ الألف.

وقَرَأَ الباقون بالقطعِ مع كسرِ الخاء على جهةِ الأمرِ للملائكة بإدخالهم، وهؤلاء يبتدئون بفتح الألِف[3].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٣٧٩) ومواضع أخرى، ومسلم في صحيحه (٢٨٦٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٧١)، والحجة (٦/ ١١٢)، والمبسوط (ص:٣٩٠)، والتيسير (ص:١٩٢).

قَولُـهُ تَعـالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[المؤمن: ٤٧-٥٢].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ المعنى: واذكُرْ لقَومِكَ يا محمَّدُ إذْ يختصمون يعني أهلُ النَّار، والآيةُ مفسَّرَةٌ في سورة إبراهيم[١]، والذين استكبروا هم القادةُ، ومعنى ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ ﴾ أي: نحنُ وأنتم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ أي: قَضَى هذا علينا وعليكم، ومعنى قولِ الخَزَنَة لهم: ﴿فَٱدْعُواْ ﴾ أي نحنُ لا ندعو لكم، ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ أي: إنَّ ذلِكَ يبطل ولا ينفع.

**﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّ ذلِكَ بإثبات حُجَجِهِمْ.

**والثَّاني:** بإهلاكِ عدُوِّهِم.

---

(١) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية رقم (٢١).

والثَّالِث: بأنَّ العاقبةَ تكُون لهم، وفَصْلُ الخطابِ أنَّ نصرَهم حاصلٌ لابدَّ منه فتارةً يَكُون بإعلاءِ أمرهم كما أعطى داود وسُلَيمان من الملكِ ما قَهَرا به كلَّ كافرٍ، وأظهر محمّدًا ﷺ على مكذِّبيه، وتارةً يَكُون بالانتقامِ من مكذِّبيهم بإنجاء الرسلِ وإهلاكِ أعدائهم كما فعل بنوحٍ وقومِه وموسى وقومِه، وتارةً يَكُون بالانتقامِ من مكذِّبيهم بعد وفاة الرُّسل كتسليطه بختنصّر على قتلة يحيى بن زكريّا، وأمّا نصرهم يوم يقومُ الأشهاد، فإنَّ الله منجِّيهم من العذاب. [١٠٧/أ]

وواحدُ الأشهادِ شاهدٌ، كما أنَّ واحدَ الأصحابِ صاحبٌ.

**وفي الأشهاد ثلاثة أقوال:**

**أحدها**: الملائكةُ شَهِدُوا للأنبياءِ بالإبلاغِ وعلى الأُمَمِ بالتكذيب، قَالَهُ مُجَاهِد والسُّدِّيّ.

قال مُقَاتِل: وهم الحَفَظَةُ من الملائكة[١].

**والثَّاني**: الملائكة والأنبياء، قَالَهُ قَتَادَة.

**والثَّالِث**: أنَّهم أربعةٌ: الأنبياءُ والملائكةُ والمؤمنونُ والجوارِحُ، قَالَهُ ابن زيدٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ وأَبُو عَمْرو: «تَنْفَعُ» بالتاء، والباقون بالياء[٢]؛ لأنَّ المعذرة والاعتذار بمعنى.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٧٢)، والحجة (٦/ ١١٥)، والمبسوط (ص:٣٩٠)، والتيسير (ص:١٩٢).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ أي: لا يُقبَلُ منهم إنِ اعتذروا، ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي: البُعدُ من الرحمة، وَقَد بيَّنَّا في الرعد[1] أنَّ «لهم» بمعنى «عليهم»، و﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ النَّار.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٤ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٦٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا

---

(١) انظر: تفسير سورة الرعد الآية (٢٥).



جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[المؤمن: ٥٣-٦٨].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ من الضلالة يعني التوراة ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ بعدَ موسى وهو التوراةُ أيضًا في قول الأكثرين.

وَقَالَ ابن السَّائِبُ: التوراة والإنجيل والزبور(١).

والذكرى بمعنى التذكير.

﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على أذاهم ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ في نصركَ، وهذه الآيةُ في هذه السُّورة في موضعين(٢)، وَقَد ذكروا أنَّها مَنْسُوخة بآية السيف.

ومعنى: «سَبِّحِ» صَلِّ.

**وفي المراد بصلاة العشيِّ والإبكارِ ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّها الصلواتُ الخَمسُ، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني:** صَلاةُ الغداة وصَلاةُ العَصْر، قَالَهُ قَتَادَة.

**والثَّالِث:** أنَّها صلاةٌ كانت قبلَ أن تفرضَ الصلوات، ركعتان غدوةً، وركعتان عشِيَّةً، قَالَهُ الحسَنُ.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) انظر: تفسير سورة غافر الآية رقم (٥٥، ٧٧).

ومـا بعـد هـذا قَـدْ تقـدَّم آنفًـا[١] إلى قولـه: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ الآيـة نزلـت في قريـش، والمعنـى: مـا يَحمِلُهُـمْ عـلى تكذيبـكَ إلَّا مـا في صُدُورِهـم مـن التكـبُّرِ عليـك، ومـا هـم ببالغـي مقتـضَى ذلِـكَ الكِـبْرِ؛ لأنَّ الله تعـالى مُذِلّهـم.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ مـن شرِّهـم، ثـمَّ نبَّـه عـلى قدرتـه بقولـه: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ أي: مِـنْ إعادتهـم، وذلِـكَ لكثـرة أجزائهـا وعِظَـمِ جِرْمِهـا، فنبَّههـم على قدرته عـلى إعادة الخَلْـق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعنـي الكفَّـار حـين لا يسـتدلُّون بذلِـكَ عـلى التوحيـد.

وَقَـالَ مُقَاتِـل: عظَّمَـتِ اليهـودُ الدَّجَّـالَ، وقالـوا: إن صاحبنـا يبعـث في آخـرِ الزمـان ولـه سـلطان، فقـال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ لأنَّ الدَّجَّـالَ مـن آياتـه ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ أي بغـير حُجَّـةٍ، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ مـن فتنـةِ الدَّجَّـال، قـال: والمـراد بــ «خَلْـق النـاس» الدَّجَّـال[٢]، وإلى نحـو هـذا ذهـب أبـو العَالِيَـة، والأَوَّل أصَـحّ.

وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: وحِّدُوني واعبدُوني أُثِبْكُم، قَالَهُ ابن عبَّاس. [٧٠١/ ب]

والثَّاني: سَلُوني أُعطِكُم، قَالَهُ السُّدِّيّ.

---

(١) انظر: تفسير سورة غافر الآية (٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٧-٧١٨).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فيه قولان:

أَحَدُهُمَا: عَن توحيدي.

والثَّاني: عَن دُعائي ومَسْألتي.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير وأبو بكرٍ عَن عَاصِم وعبَّاس بن الفضل عَن أبي عمرٍو: «سيُدْخَلونَ» بضمِّ الياء، والباقون بفتحها[1].

والدَّاخر: الصَّاغِرُ.

وما بعد هذا قد سبق في مواضع متفرقة[2] إلى قوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وهو أجَلُ الحياةِ إلى الموت، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ توحيدُ الله وقدرتُه.

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ
ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟
مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ

(١) انظر: السبعة (ص:٥٧٢)، والحجة (٦/ ١١٤)، والمبسوط (ص:٣٩١)، والتيسير (ص:١٩٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٩٥)، وتفسير سورة الأعراف الآيات رقم (٢٩-٥٤)، وتفسير سورة يونس الآية رقم (٦٧)، وتفسير سورة الحج الآية رقم (٥)، وتفسير سورة النمل الآية رقم (٦١)، وتفسير سورة القصص الآية رقم (٧٣).

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾[المؤمن: ٦٩-٨٥].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴾ يعني القرآن، يقولون: ليس من عند الله.

﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ أي: كيف صرفوا عَن الحقِّ إلى الباطل، وفيهم قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّهم المشركون، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: أنَّهم القدريَّة، ذكره جماعةٌ من المفَسِّرين.

وكان ابنُ سِيرِينَ يقول: إن لم تكن نزلَتْ في القدريَّة فلا أدري فيمَن نزلَتْ[1].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٦٠) من رواية داود بن أبي هند، عن محمد بن سيرين به.

وقَـرَأَ ابـنُ مسـعودٍ وابـنُ عبَّـاس وأبـو رزيـن وأبـو مِجْلَـزٍ والضَّحَّـاك وابـنُ يعمـر وابـنُ أبي عَبْلَـة: «والسلاسـلَ يَسـحبونَ» بفتـح الـلام واليـاء[١].

وَقَالَ ابن عبَّاس: إذا سَحَبُوها كان أشدَّ عليهم[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يُسۡجَرُونَ﴾.

قال مُجَاهِد: تُوْقَد بهم النَّار فصاروا وقودَها[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ مفسَّرٌ في الأعراف[٤].

وفي قوله: ﴿لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَـا: أنَّهـم أرادوا أنَّ الأصنـامَ لم تكُـنْ شـيئًا؛ لأنَّهـا لم تكُـنْ تَـضُرُّ ولا تنفـع، وهـو قـول الأكثريـن.

والثَّاني: أنَّهم قالوه على وجه الجُحُودِ، قَالَهُ أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِيّ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أضلَّ اللهُ هؤلاء يضل الكافرين.

---

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٣٣) نسـبها لابـن عبَّـاس، وابـن مسـعود، ويحيـى بـن وثـاب، وفي المحتسـب (٢/ ٢٤٤)، والتحصيـل (٥/ ٥٧٤)، والمحـرر الوجيـز (٤/ ٥٦٩) كلهـم نسـبوها لابـن عبَّـاس، وابـن مسـعود.

(٢) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٢٨٢).

(٣) رواه الطـبري في تفسـيره (٢٠/ ٣٦٤) مـن روايـة ابـن أبي نجيـح، عـن مجاهـد بـه، وهـو في تفسـير مجاهـد (ص:٥٨٤).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٩٠).

﴿ذَٰلِكُم﴾ العذابُ الَّذي نَزَلَ بكُم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي بالباطِلِ ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وَقَد شرحنا المرَحَ في بني إسرائيل(١)، وما بعدَ هذا قد تقدَّم بتمامه(٢) إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وذلِكَ لأنَّهم كانوا يقترِحونَ عليه الآياتِ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو قضاؤه بين الأنبياء وأُممِهم، و﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أصحابُ الباطِلِ.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ أي حَوائجِكم في البلاد.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ استفهامُ توبيخٍ.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ في «ما» **قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّها للنَّفيِ.

**والثَّاني:** أنَّها للاستفهام، ذكرهما ابنُ جَرِيرٍ(٣).

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ **في المشارِ إليهم قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّهم الأُمَمُ المكذِّبَة، قَالَهُ الجمهور.

**ثمَّ في معنى الكلام قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّهم قالوا: نحن أعلمُ منهم لن نُبعَثَ ولنُ نحاسَبَ، قَالَهُ مُجاهِد.

**والثَّاني:** فَرِحُوا بما كان عندهم أنَّه علمٌ، قَالَهُ السُّدِّيّ.

---

(١) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٣٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٦٤)، وسورة يونس الآية رقم (٢٩)، وسورة النحل الآية رقم (٢٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٧١).

**والقول الثَّاني:** أَنَّهُم الرُّسُل، والمعنى فَرِحَ الرُّسُلُ لَمَّا هَلَكَ المكذِّبون، ونجوا بما عندهم من العلم بالله إذ جاءَ تصديقُه، حَكَاهُ أبو سُلَيمان وغيره.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعني بالمكذِّبين العذابُ الذي كانوا به يستهزؤون، والبأسُ العذابُ، ومعنى ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ أَنَّه سَنَّ هذه السُّنَّةَ في الأمَمِ، أي أنَّ إيمانهم لا ينفعُهم إذا رأوا العذابَ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

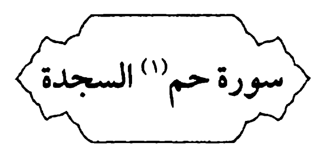
**فإن قيل:** كأنَّهُم لم يَكُونوا خاسِرينَ قبلَ ذلك؟.

**فعنه جوابان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّ خَسِرَ بمعنى هَلَكَ، قَالَهُ ابن عبَّاس.

[٧٠٢/أ] **والثَّاني:** أنَّه إنَّما بيَّن لهم خُسْرَانَهم عند نزول العذاب، قَالَهُ الزَّجَّاجُ[١].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٨).



# سورة حم[1] السجدة

مكيَّة كلُّها بإجماعهم، ويقال لها: سجدةُ المؤمن، ويقال لها: المصابيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾[فصلت: ١-٨].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿تَنزِيلٌ﴾.

قَالَ الفَرَّاء: يجوز أنْ يرتَفِعَ (تنزيل) بـ﴿حمٓ﴾، ويجوز أن يرتفعَ بإضمارِ هذا[2].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿تَنزِيلٌ﴾ مبتدأٌ وخبرُه، ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ هذا مذهبُ البصريِّين و﴿قُرۡءَانًا﴾ منصوبٌ على الحال، المعنى: بُيِّنَتْ آياتُه في حالِ جَمْعِه، ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لمن يعلم[3].

---

(١) سقطت من (ر).

(٢) ذكره عنه الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٢٨٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٧٩).



قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ تكبُّرًا عنه، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أي: في أغطِيَةٍ فلا نفقَهُ قولَكَ، وقد سبق بيانُ الأكنَّة والوَقْر في الأنعام[1].

ومعنى الكلام: إنَّا في تَركِ القبولِ منكَ بمنزلةِ مَن لا يَسْمَعُ ولا يفهم، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ أي: حاجزٌ في النِّحْلَةِ والدِّين.

قال الأَخْفَشُ: ومن هاهنا للتوكيد[2].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿فَاعْمَلْ﴾ فيه قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: اعْمَلْ في إبطالِ أمرِنا إنَّا عاملون على إبطال أمرِكَ.

**والثَّاني**: اعْمَلْ على دينك إنَّا عاملون على ديننا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي: لولا الوحيُ لما دَعَوتُكُم.

﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي: توجَّهوا إليه بالطاعة، ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشِّرك.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ فيه خمسة أقوال:

**أَحَدُها**: لا يشهدونَ أنْ «لا إله إلا الله»، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ عِكْرمة، والمعنى: لا يطهِّرون أنفُسَهم من الشِّرك بالتوحيد.

**والثَّاني**: لا يؤمِنون بالزكاة ولا يُقِرُّون بها، قَالَهُ الحسَنَ، وقَتَادَة.

**والثَّالِث**: لا يزكُّون أعمالهم، قَالَهُ مُجاهِد، والربيع.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٢٥).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٥٠٤).

والرَّابِعُ: لا يَتَصَدَّقون ولا يُنفِقون في الطَّاعات، قَالَهُ الضَّحَّاك، ومُقَاتِل[١].

والخَامِسُ: لا يُعطُونَ زكاة أموالهم.

قَالَ ابْنُ السَّائب: كانوا يحجُّون ويعتَمِرون ولا يزكُّون[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرُ مقطوعٍ ولا منقوصٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[فصلت: ٩-١٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: في يومِ الأَحدِ والاثْنَين[٣]، وبه قَالَ عبدُ الله بن سَلام، والسُّدِّيّ، والأكثرون.

وَقَالَ مُقَاتِل: في يوم الثلاثاء والأربعاء[٤].

وقد أخرجَ مسلم في أفرادِه من حديث أبي هريرةَ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خَلَقَ اللهُ ﷻ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٣٦).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٢٨٦).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ١٧٠).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٣٦).



يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ»[1]، وهذا الحديث يخالِفُ ما تقدَّم وهو أصَحُّ.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ قد شرحناه في البقرة[2]، وذلِك الذي فَعَلَ ما ذُكِرَ ربُّ العالمين.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالاً ثوابِتَ من فوق الأرض ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بالأشجارِ والثِّمار والحبوب والأنهار.

وقيل: البركةُ فيها أن ينمي فيها الزرعُ فتخرج الحبَّةُ حباتٍ والنَّواةُ نخلة.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾.

قال أبو عُبَيْدَة: هي جمع قُوتٍ، وهي الأرزاقُ وما يحتاج إليه[3].

وللمفَسِّرين في هذا التقدير خمسة أقوال:

**أحدها**: أنَّه شقَّقَ الأنهار وغَرَسَ الأشجار، قَالَهُ ابن عبَّاس. [٧٠٢/ب]

**والثَّاني**: أنَّه قسَّمَ أرزاقَ العباد والبهائم، قَالَهُ الحَسَنُ.

**والثَّالِث**: أقواتُها من المطَرِ، قَالَهُ مُجَاهِد.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٢).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٩٦).

**والرَّابِعُ**: قدَّر لكلِّ بلدةٍ ما لم يجعله في الأخرى كما أنَّ ثياب اليَمَنِ لا تصلح إلّا بـ «اليمن»، والهرويَّة بـ «هراة» ليعيش بعضُهم من بعض بالتجارة، قَالَهُ عكرمة والضَّحَّاك.

**والخَامِسُ**: قدَّر البُرَّ لأهل قُطرٍ، والتَّمْر لأهل قُطْرٍ، والذُّرَة لأهل قُطْرٍ، قَالَهُ ابن السَّائِبُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ أي: في تتمَّة أربعة أيَّام.

قال الأَخْفَشُ: ومثلُه أن تقول: تزوَّجت أَمْسِ امرأة واليوم ثنتين وإحداهما التي تزوجتها أمس[1].

قال المفسِّرون: يعني الثلاثاء وهما مع الأحد والاثنين أربعة أيَّام.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَوَآءٗ﴾:

قَرَأَ أبو جعفر: «سواءٌ» بالرفع.

وقَرَأَ يعقوب، وعبد الوارث: «سواءٍ» بالجرِّ.

وقَرَأَ الباقون من العشرة: بالنصب[2].

قال الزَّجَّاجُ: من قَرَأَ بالخفض جَعَلَ سواء من صفة الأيَّام، فالمعنى: في أربعة أيَّام مستوياتٍ تامَّات، ومَن نَصَبَ فعَلَى المصدر، فالمعنى: استَوَتْ سواءً واستواءً، ومَن رَفَعَ فعلى معنى هي سواءٌ[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٥٠٥).

(٢) انظر: المبسوط (ص:٣٩٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨١).

وفي قوله: ﴿لِلسَّآئِلِينَ﴾ وجهان:

أَحَدُهُمَا: للسَّائلين القُوت؛ لأنَّ كلًّا يطلب القُوت ويسأله.

والثَّاني: لمن يسأَلُ في كم خُلِقَت الأرض فيقال: خُلِقَت في أربعة أيَّام سواء لا زيادةَ ولا نقصان.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قد شرحناه في البقرة[1].

﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه لما خَلَقَ الماءَ أرسلَ عليه الريح فثار منه دخانٌ فارتفع وَسَما فسمَّاه سماء.

والثَّاني: أنَّه لما خلقَ الأرضَ أرسلَ عليها نارًا فارتفع منها دخانٌ فسما.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: قَالَ للسَّماء: أظهري شَمْسَكِ وقَمَرَكِ ونُجُومَكِ، وَقَالَ للأرض: شقِّقي أنهارَكِ وأَخْرِجي ثمارَكِ[2].

﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحال، وإنَّما لم يقل طائعاتٍ لأنَّهنَّ جَرَيْنَ مجرى ما يعقِلُ ويميِّز، كما قَالَ في النجوم: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠] قال: وقد قيل: أتينا نحن ومَن فينا طائعين[3].

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٩١) من رواية مجاهد، عن ابن عبَّاس به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨١).

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أي: خَلَقَهُنَّ وصَنَعَهُنَّ.

قال أبو ذؤيب الهذلي(١): [من الكامل]

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ

معناه: عَمِلَهما وصَنَعَهما.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس وعبدُ الله بن سلام: وهما يوم الخميس ويوم الجمعة(٢).

وَقَالَ مُقَاتِل: الأحد والاثنين(٣)، لأنَّ مذهبه أنَّها خلقت قبل الأرض، وقد بينَّا مقدار هذه الأيَّام في الأعراف(٤).

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أوحى ما أرادَ وأَمَرَ بها شاء، قَالَهُ مُجَاهِد ومُقَاتِل(٥).

والثَّاني: خَلَقَ في كلِّ سماءٍ خلقها، قَالَهُ السُّدِّيّ.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب في سر صناعة الإعراب (٢/ ٣٨٥)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (٢/ ١٨)، والزاهر (١/ ٤٣٧)، ومقاييس اللغة (٥/ ٩٩)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ٣٩)، وشرح المفصل (٣/ ٥٩)، ولسان العرب (٨/ ٣١) مادة (تبع)، (٨/ ٢٠٩) مادة (صنع)، وتاج العروس (٢١/ ٣٦٧) مادة (صنع)، (قضى)؛ وبلا نسبة في شرح المفصل (٣/ ٥٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٨٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٣٧).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٤).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٣٧).

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: القُربَى إلى الأرض ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي النجومُ، والمصابيح السُّرُجُ، فسمِّي الكوكب مصباحًا لإضاءته ﴿وَحِفْظًا﴾.

قال الزَّجَّاج: معناه وحفظناها من استِماع الشَّياطين بالكواكب حِفْظًا[1].

قَولُـهُ تَعـالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[فصلـت: ١٣-١٨].

قَولُـهُ تَعـالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ عَـن الإيـمانِ بعد هـذا البيَـان، ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ الصَّاعِقَـة: المهْلِـكُ مـن كلِّ شيءٍ، والمعنى: أنذرْتُكم عذابًـا مثل عذابهم، [٧٠٣/أ] وإنَّـما خـصَّ القَبيلتَـين، لأنَّ قريشًـا يمرُّون على قـرى القومِ في أسـفارهم.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أَتَـتْ آباءهـم ومَـن كان قبلهـم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مَـن خَلَـفَ الآبـاءَ، وهـم الذيـن أرسـلوا إلى هـؤلاء المهلكـين ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ أي: بـأنْ لا تعبـدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ أي: لـو أرادَ دعـوةَ الخَلْـقِ ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨٢).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ أي: تكـبَّروا عَـنِ الإيـمان وعَمِلُـوا بغـير الحَـقِّ، وكان هـود قـد تَهَدَّدَهـم بالعـذاب، فقالـوا: نحـن نقـدر عـلى دَفْعِـهِ بفضـل قُوَّتِنـا.

والآياتُ هاهنا: الحُجَجُ.

**وفي الرِّيحِ الصَّرْصَرِ أربعة أقوال:**

**أحدها:** أنَّها الباردة، قَالَهُ ابن عبَّاس، وقَتَادَة، والضَّحَّاك.

وَقَـالَ الفَـرَّاء: هـي الريـحُ البـاردة تُحْرِقُ كالنَّـار[١]، وكذلـك قَـالَ الزَّجَّاجُ: هـي الشـديدة الـبرد جـدًّا[٢]، فالـصَّرْصَرُ متكـرِّر فيهـا الـبرد، كـما تقـول: أقللت الـشيء وقلقلتُـه، فأقللتـه بمعنـى رَفَعْتُـه، وقلقلتـه: كـرَّرْتُ رفعه.

**والثَّاني:** أنَّها الشَّديدة السّموم، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّالِث:** الشَّديدة الصَّوتِ، قَالَهُ السُّدِّيّ، وأَبُو عُبَيْدَة[٣]، وابن قُتَيْبَة[٤].

**والرَّابعُ:** الباردة الشَّديدة، قَالَهُ مُقَاتِل[٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾.

قَرَأ ابن كَثِير، ونَافِع، وأَبُو عَمْرو: «نَحْساتٍ» بإسكان الحاء.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٩٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٣٨٨).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٣٨).

وقَرَأ الباقون: بكسرها[(١)].

قال الزَّجَّاجُ: مَن كسَرَ الحاءَ، فواحِدُهنَّ «نَحِس»، ومن أسكنها، فواحِدُهنَّ «نَحْس» والمعنى: مشؤومات[(٢)].

**وفي أول هذه الأيام ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** غَدَاةَ يوم الأحد، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والثَّاني:** يوم الجمعة، قَالَهُ الرَّبيع بن أنس.

**والثَّالِث:** يوم الأربعاء، قَالَهُ يحيى بن سلام.

والخزي: الهوان.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** بيَّنَّا لهم، قَالَهُ ابن عبَّاس، وسعيدُ بن جُبير.

وَقَالَ قَتَادَة: بيَّنَّا لهم سبيل الخير والشَّرِّ[(٣)].

**والثَّاني:** دعوناهم، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّالِث:** دَلَلْناهم على مذهَب الخير، قَالَهُ الفَرَّاء[(٤)].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٧٦)، والحجة (٦/ ١١٦)، والمبسوط (ص:٣٩٣)، والتيسير (ص:١٩٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٠٢) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به.

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٥).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ﴾ أي: اختـاروا الكُفـرَ عـلى الإيـمان، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ أي: ذي الهـوان، وهـو الَّـذي يهينهـم.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ﴾[فصلـت: ١٩-٢٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾:

وقَرَأَ نَافِع: «نَحشُر» بالنون «أعداءَ» بالنصب(١).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يحبس أوَّلهم على آخِرِهم ليَتَلاحَقُوا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ يعنـي النَّـارَ التـي حُـشِروا إليهـا ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾.

وفي المراد بالجلود ثلاثة أقوال:

أحدها: الأيدي والأرْجُل.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٧٦)، والحجة (٦/ ١١٨).

والثَّاني: الفُرُوج، رُوِيا عَنِ ابن عبَّاس.

والثَّالِث: أنَّه الجلودُ نفسُها، حَكَاه الماوَرْدِيّ(١).

وقَدْ أخرجَ مُسلِم في أفراده من حديثِ أنَسِ بن مالِكٍ قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ فضَحِك فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قال: قلنا: اللهُ ورسولهُ أعلم. قال: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»(٢). [٧٠٣/ب]

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: ممَّا نطَقَ، وهاهنا تمَّ الكلام، وما بعده ليس من جواب الجلود.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾.

روى البُخاريُّ ومُسلم في الصَّحيحين من حديث ابنِ مسعُود قال: كنتُ مستترًا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نَفَرٍ، قرشيٌّ وختناه ثقفيَّان، أو ثقفيٌّ وختناه قرشيَّان، كثيرٌ شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٧٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٩٦٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الآخـران: إنَّـا إذا رفعنـا أصواتنـا سـمِعَه، وإن لم نرفع لم يسـمع، وَقَـالَ الآخرُ: إن سـمِعَ منـه شـيئًا سـمعَه كلَّـه، فذكـرت ذلـك لرسـول الله ﷺ، فأنـزل الله تعـالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١].

ومعنـى تَسْـتَتِرون: تَسْـتَخْفُون أن يشـهدَ أي: مِـنْ أنْ يشْـهَدَ عليكـم سـمعُكم لأنَّكـم لا تقـدرون عـلى الاسـتِخْفَاء مـن جَوَارِحِكُـمْ، ولا تظنُّـون أنَّهـا تشـهد.

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

قَـالَ ابْـنُ عبَّـاس: كان الكفَّـار يقولـون: إنَّ الله لا يعلـم مـا في أنفسـنا، ولكنَّـه يعلـمُ مـا يَظْهَـرُ[٢].

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾ أي: أنَّ الله لا يعلم ما تعملون، ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أَهْلَكَكُمْ.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾ أي: عـلى النَّـار فهي مَسْـكَنُهُم، ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ أي: يسـألوا أن يُرجَـع لهـم إلى مـا يحبُّـون، لم يُرْجَـع لهـم، لأنَّهُـم لا يسـتحِقُّون ذلـك. يقـال: أعتبنـي فـلان، أي: أَرْضَـانِي بعـد إسـخاطه إيَّـاي.

واسْتَعْتَبْته، أي: طلبت منهُ أن يُعْتِب أي: يرضَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي: سَبَّبْنَا لهم قُرَنَاء من الشَّياطين.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٨١٦) ومواضع أخرى، ومسلم في صحيحه (٢٧٧٥).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٣٠).

﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

**أحَدُهَا**: ما بين أيديهم: مِنْ أَمْرِ الآخرة أنَّه لا جنَّة ولا نار ولا بعث ولا حِسَاب، وما خلفهم: مِنْ أَمْرِ الدُّنيا، فزيَّنوا لهم اللذات وجمعَ الأموالِ وتَرْكَ الإنفاق في الخير.

**والثَّاني**: ما بين أيديهم: مِنْ أَمْرِ الدُّنيا، وما خلفهم: مِنْ أَمْرِ الآخرة، على عكس الأوَّل.

**والثَّالِث**: ما بين أيديهم: ما فعلُوه، وما خَلْفَهُم: ما عزموا على فعله.

وباقي الآية قَدْ تقدَّم تفسيرُه[1].

قَولُـهُ تَعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[فصلت: ٢٦-٢٨].

قَولُـهُ تَعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: لا تسمَعُوه ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ أي: عارِضُوه باللغو، وهو الكَلام الخَالي عَنْ فائدَةٍ.

وكان الكفَّار يُوصِي بعضُهم بعضًا: إذا سمعتم القرآنَ مِنْ محمَّدٍ وأصحابه فارْفَعوا أصواتكم حتَّى تلبسُوا عليهم قولهم.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: والْغَوا فيه بالمُكَاء والصَّفِير والتخليط من القَول على رسُولِ الله ﷺ إذا قَرأَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيسكتُون[2].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٣٨)، وتفسير سورة الإسراء الآية رقم (١٦).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤١٨) من رواية القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد به، وهو=

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ يعني العَذَاب المذكُور.

وقَوْلُه: ﴿ٱلنَّارُ﴾ بدلٌ من الجزاء ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أي: دارُ الإقامَةِ.

قال الزَّجَّاجُ[١]: النَّار هي الدَّار، ولكنَّه كما تقول: لك في هذه الدَّار دار السرُّور، وأنت تعني الدَّار بعينها، قَالَ الشَّاعر[٢]: [من البسيط]

أَخُو رَغائِبَ يُعْطِيهَا ويَسْأَلُها ... يَأْبَى الظُّلامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٢٩- ٣٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لما دخلوا النار.

﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾.

---

=في تفسير مجاهد (ص:٥٨٦).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨٥).

(٢) البيت لأعشى باهلة في الأصمعيات (ص ٩٠)، والكامل (١/ ٥١)، والمخصص (٤/ ١٤٦)، والصحاح (٢/ ٦٧١)، وخزانة الأدب (١/ ١٨٥)، (١٨٦، ١٩٥)، وتاج العروس (٣١/ ١٩)، ولسان العرب (٤/ ٣٢٥) (زفر)، (٥/ ١١١) (قفر)، (١١/ ٦٧٢) (نفل)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (٢/ ٧٠٦)، والزاهر (٢/ ١٧).

وقَرَأَ ابنُ عَامِر، وأبو بكر عَن عَاصِم: «أَرْنا» بسكون الراء[1].

[٧٠٤/أ] قال المفَسِّرون: يعنون إبليس وقابيل، لأنَّهما سَنَّا المعصية، ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أي: في الدَّرك الأسفلِ، وهو أشدُّ عذابًا من غيره.

ثمَّ ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: وحَّدُوه.

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** اسْتَقَامُوا على التوحيد، قَالَهُ أبو بكرٍ الصدِّيق، ومُجَاهِد.

**والثَّاني:** على طاعة الله وأدَاء فرائِضِه، قَالَهُ ابن عبَّاس، والحسَن، وقتَادَة.

**والثَّالِث:** على الإخلاصِ والعَمَل إلى الموت، قَالَهُ أبو العَالية، والسُّدِّيّ.

وروى عَطَاءٌ عَن ابنِ عبَّاس قال: نزلت هذه الآيةُ في أبي بكر الصِّدِّيق، وذلك أنَّ المشركين قالوا: ربُّنا الله، والملائكة بناتُه، وهؤلاء شُفعاؤنا عندَ الله، فلم يستقيموا، وقالتِ اليهودُ: ربُّنا الله، وعُزَيرٌ ابنُه، ومحمَّد ليس بنبيٍّ، فلم يستقيموا، وقالتِ النَّصارى: ربُّنا الله، والمسيح ابنه، ومحمَّد ليس بنبيٍّ، فلم يستقيموا، وَقَالَ أبو بكرٍ: ربُّنا الله وحده، ومحمدٌ عبدُه ورسولُه، فاستقام.[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ أي: بأن لا تخافوا.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٧٦)، والحجة (٦/ ١٢٣)، والمبسوط (ص:٣٩٤)، والتيسير (ص:١٩٣).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٣).

وفي وقت نزولها عليهم قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: عِنْدَ الموت، قَالَهُ ابن عبَّاس، ومُجَاهِد.

فعلى هذا في معنى ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: لا تخافُوا الموتَ، ولا تحزنُوا على أَوْلادِكُم، قَالَهُ مُجَاهِد.

والثَّاني: لا تخافُوا ما أَمَامكُم، ولا تحزنُوا على ما خَلْفكم، قَالَهُ عكرمة، والسُّدِّيّ.

والقول الثَّاني: تَتَنَزَّلُ عليهم إذا قَامُوا من القبور، قَالَهُ قَتَادَة.

فيَكُون معنى «أَلَّا تَخافُوا»: أنَّهُم يبشِّرُونهم بزوالِ الخوف والحُزْنِ يوم القيامة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾.

قال المفَسِّرونَ: هذا قولُ الملائِكَة لهم، والمعنى: نحنُ الذين كنَّا نَتَوَلَّاكُم في الدنيا؛ لأنَّ الملائكة تتَولَّى المؤمنين وتحبُّهم لما ترى من أعمالهم المرفوعة إلى السَّماء، ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: ونحنُ معكم في الآخرة لا نُفَارِقُكُم حتَّى تدخلوا الجنَّة.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: هم الحفظةُ على ابْنِ آدَمَ فلذلك قالوا: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[1].

وقيل: هم الملائِكَةُ الذين يأْتُونَ لِقَبْضِ الأرواح.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٢٨) من رواية أسبط، عن السدي به.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنَّة.

﴿نُزُلًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معناه: أبْشِروا بالجنَّة تنزلونها نُزُلاً[١].

وَقَالَ الأَخْفَشُ: لكم فيها ما تشتهي أنفُسُكُم أنزلناه نُزُلاً[٢].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[فصلت: ٣٣-٣٦].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ **فيمَن أريد بهذا ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّهُم المؤذِّنون.

رَوَى جابِرُ بنُ عبد الله عَن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: نزلَتْ في المؤذِّنين[٣]، وهذا قول عائشة، ومُجاهِد، وعِكْرِمة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٥٠٧).

(٣) لم نقف عليه مرفوعًا، وإنما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٤٧) عن عائشة رضي الله عنها، ورواه الطبراني في الدعاء (١٥٤٩) عن عكرمة رحمه الله.

**والثَّاني**: أَنَّه رسُولُ الله ﷺ دَعَا إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قَالَهُ ابن عبَّاس، والسُّدِّيُّ، وابن زيد.

**والثَّالِث**: أَنَّه المؤمنُ أجابَ الله إلى ما دعاه، ودعا الناس إلى ذلك.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في إجابته، قَالَهُ الحَسَنُ.

وفي قوله: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ **ثلاثة أقوال**:

**أحدها**: صَلَّى ركعتين بعد الأذان، وهو قول عائشة، ومُجَاهِد.

ورَوَى إسماعِيلُ بن أبي خَالِدٍ عَن قيسِ بن أبي حازم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال: الأذان، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ قال: الصَّلاة بين الأذان والإقامة[1].

**والثَّاني**: أدَّى الفرائضَ وقَامَ لله بالحقوق، قَالَهُ عَطَاء.

**والثَّالِث**: صَامَ وصَلَّى، قَالَهُ عِكْرِمَة.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لا زائدةٌ مؤكِّدَةٌ، والمعنى: ولا تستوي الحَسَنَةُ والسَّيِّئَة[2]. [٤٠٧/ب]

**وللمفَسِّرين فيهما ثلاثة أقوال**:

**أحدها**: أنَّ الحسنة: الإيمان، والسيِّئة: الشِّرْك، قَالَهُ ابن عبَّاس.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٣٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨٦).

والثَّاني: الحِلْمُ والفُحْشُ، قَالَهُ الضَّحَّاك.

والثَّالِث: النُّفور والصَّبر، حكاه الماوَرْدِيُّ[١].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وذلـك كدَفـعِ الغَضَـبِ بالصَّـبر، والإسـاءة بالعَفْـوِ، فـإذا فعلْـتَ ذلـك صَـارَ الـذي بينـكَ وبَيْنَـه عـداوةٌ كالصَّدِيـقِ القَريـب.

وَقَالَ عَطَاء: هو السَّلام على مَن تُعَاديه إذا لقيته[٢].

قال المفَسِّرون: وهذه الآية منسوخَةٌ بآية السَّيف.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: ما يُعْطَاها.

قـال الزَّجَّـاج: مـا يُلَقَّـى هـذه الفعلـة: وهـي دَفْـعُ السَّـيئة بالحسـنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ عـلى كَظْـم الغيـظ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ مـن الخير[٣].

وَقَالَ السُّدِّيّ: إلا ذو جد[٤].

وَقَـالَ قَتَـادَة: الحَـظُّ العظيـم: الجَنَّـة[٥]؛ فالمعنى: مـا يلَقَّاهـا إلَّا مَـن وجَبَتْ لـه الجنَّة.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٨٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٣٣) من رواية طلحة بن عمرو، عن عطاء به بلفظ: «بالسلام».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٣٤) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧١٤) من رواية معمر، عن قَتَادَة به.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ قد فسّرناه في الأعراف[١].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[فصلت: ٣٧-٣٩].

قَولُهُ تَعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: تكبّروا عن التوحيد والعبادة ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي: يصلُّون، و﴿يَسْـَٔمُونَ﴾ بمعنى يملون.

وفي موضع السجدة قَوْلان:

أَحَدُهُما: أنّه عند قوله: ﴿يَسْـَٔمُونَ﴾، قَالَهُ ابن عبَّاس، ومَسْرُوق، وقَتَادَة، واختاره القاضي أبو يعلَىَ، لأنّه تمام الكلام.

والثّاني: أنّه عند قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، روي عن أصحاب عبد الله، والحسن، وأبي عبد الرحمن.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾.

قال قَتَادَة: غَبْرَاء مُتَهَشِّمَة[٢].

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٢٠٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧١٥)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٣٨) عن قَتَادَة به.

قالَ الأزْهَرِيّ: إذا يبست الأرضُ ولم تمطر، قيل: خَشَعَتْ[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحرَّكت بالنَّبات ﴿وَرَبَتْ﴾ أي: عَلَتْ، لأنَّ النَّبْتَ إذا أرادَ أن يظهر ارتَفَعَتْ له الأرض؛ وقد سبق بيان هذا[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤٠-٤٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾.

قال مُقَاتِل: نَزَلَتْ في أبي جهل[٣].

وقد شَرَحْنا معنى الإلحاد في النحل[٤].

**وفي المراد به هاهنا خمسةُ أقوال:**

**أحدها**: أنَّه وَضَعَ الكلامَ على غَيرِ مَوضِعِه، رواه العَوفي عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: أنَّه المكَاء والصَّفِير عندَ تلاوة القرآن، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّالِث**: أنَّه التَّكذيبُ بالآيات، قَالَهُ قَتَادَة.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١/ ١٠٧).

(٢) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤٢).

(٤) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (١٠٣).

**والرَّابعُ**: أنَّه المعَانَدة، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والخَامِسُ**: أنَّه المَيْلُ عَن الإيمان بالآيَاتِ، قَالَهُ مُقَاتِل(١).

**قَولُهُ تَعَالى**: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ هذا وَعِيدٌ بالجَزَاء.

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهذا عامٌّ، غيرَ أنَّ المفسِّرين ذكروا فيمَن أُرِيد به **سبعة أقوال**:

**أحدها**: أنَّه أبو جَهلٍ وأبو بكرٍ الصِّدِّيق، رواه الضَّحَّاك عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: أبو جَهل وعمَّار بن ياسر، قَالَهُ عكرمة.

**والثَّالِث**: أبو جَهل ورسُول الله ﷺ، قَالَهُ ابن السَّائب، ومُقَاتِل(٢).

**والرَّابعُ**: أبو جَهل وعثمان بن عفَّان، حكاه الثعلبي(٣).

**والخَامِسُ**: أبو جَهل وحَمْزَة، حكاه الواحِدي(٤).

**والسَّادِسُ**: أبو جَهل وعمرُ بن الخطاب.

**والسَّابعُ**: المؤمن والكافر، حكاهما الماوردي(٥).

**قَولُهُ تَعَالى**: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤٤).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٨/ ٢٩٨).

(٤) انظر: التفسير الوسيط (٤/ ٣٧).

(٥) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٨٥).



قال الزَّجَّاج: لفظُه لفظُ الأَمْرِ، ومعناه الوعيد والتهديد(١).

[٧٠٥/أ] قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ ﴾ يعني القرآن؛ ثمَّ أخذَ في وصف الذِّكر؛ وترك جواب إن، وفي جوابها هاهنا **قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّه أولئك ينادَونَ من مَكَانٍ بَعِيدٍ، ذكره الفَرَّاء(٢).

**والثَّاني**: أنَّه متروكٌ، وفي تقديره **قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: إنَّ الذين كفروا بالذِّكرِ لما جاءهم كفروا به.

**والثَّاني**: إنَّ الذين كفروا يجازَوْنَ بكُفْرِهم.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ **فيه أربعة أقوال**:

**أحدها**: مَنِيعٌ من الشَّيطان لا يجد إليه سَبيلاً، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والثَّاني**: كريمٌ على الله، قَالَهُ ابن السَّائِب.

**والثَّالِث**: مَنِيعٌ من البَاطِلِ، قَالَهُ مُقَاتِل(٣).

**والرَّابعُ**: يمتنع على النَّاس أن يقولوا مثلَه، حَكَاه الماوَرْدِيّ(٤).

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

**أحدها**: التَّكذيب، قَالَهُ سعيد بن جُبَير.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٨٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤٤).

(٤) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٨٥).

**والثَّاني:** الشَّيطان.

**والثَّالِث:** التَّبديل، رُوِيَا عَن مُجاهِد.

قال قَتَادَة: لا يستطيعُ إبليسُ أن ينقص منه حَقًّا، ولا يزيد فيه بَاطلاً[١].

وَقَالَ مُجَاهِد: لا يَدخُلُ فيه ما ليس منه[٢].

وفي قوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ **ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** بينَ يدَي تَنْزِيله، وبعد نزوله.

**والثَّاني:** أنَّه ليس قَبلَه كتابٌ يبطله، ولا يأتي بعده كتابٌ يبطله.

**والثَّالِث:** لا يأتيه البَاطِلُ في إخبارِه عمّا تقدَّم، ولا في إخباره عما تأخر.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[فصلت: ٤٣-٤٤].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾ **فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أَنَّه قَدْ قيل فيمن أرسل قبلكَ: سَاحِرٌ وكَاهِنٌ ومجنون، فكُذِّبوا كما كُذِّبت، هذا قَولُ الحسَن، وقَتَادَة، والجمهور.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٤٤) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٣٢) لعبد بن حميد.

والثَّاني: ما تخبر إلَّا بما أخبر الأنبياء قبلك من أنَّ الله غَفُورٌ، وأنَّه ذو عقاب، حكاه الماوَرْدِيّ[١].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ يعني الكِتَابَ الَّذي أُنزِلَ عليه ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ أي: بغيرِ لُغَةِ العَرَبِ ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي: هلَّا بُيِّنتْ آياتُه بالعربية حتَّى نفهمه؟.

﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾:

قَرَأ ابنُ كَثِير، ونَافِع، وأبو عَمْرو، وابن عَامِر، وحَفْص عَن عَاصِم: ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ﴾ بهمزةٍ ممدودةٍ.

وقَرَأ حَمْزَة، والكِسَائِيّ، وأبو بكر عَن عَاصِم: «أأعجمي» بهمزتين[٢].

والمعنى: أكِتابٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربي؟! وهذا استفهام إنكَارٍ أي: لو كان كذلك لَكَانَ أشدَّ لتكذيبهم.

﴿قُلْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ من الضَّلالَةِ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ للشُّكُوك والأوجاع.

والوَقْرُ: الصَّمَمُ؛ فهم في ترك القبول بمنزلَةِ مَن في أُذُنِه صمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: ذو عمى.

قال قَتَادَة: صمُّوا عَن القرآن وعمُوا عنه[٣].

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ١٨٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٧٦-٥٧٧)، والحجة (٦/ ١١٩)، والمبسوط (ص:٣٩٣).

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٧٢٢)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٥٠) عن قَتَادَة به.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ أي: إنهم لا يسمعون ولا يفهمون كالذي يُنادى من بعيد.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ۝٤٥ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[فصلت: ٤٥-٤٦].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هذه تَسْلِيَةٌ لرسولِ الله ﷺ، والمعنى: كما آمن بكتابكَ قومٌ، وكذَّبَ به قومٌ، فكذلك كتاب موسى، ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العَذاب إلى أجلِ مسمًّى وهو القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ بالعَذابِ الواقع بالمكذِّبين ﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ﴾ من صِدْقِكَ وكتابِكَ، ﴿مُرِيبٖ﴾ أي: مُوقِعٌ لهم الرِّيبة.

قَولُهُ تَعالى: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ۝٤٧ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ [فصلت: ٤٧-٤٨].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

سببُ نزولها: أنَّ اليهود قالوا للنَّبيِّ ﷺ: أخبرنا عَن السَّاعَةِ إن كنتَ رَسُولاً كما تزعُمُ، قالَهُ مُقَاتِل[1]. [٧٠٥/ب]

ومعنى الآية: لا يعلم قيامَهَا إلَّا هو، فإذا سُئِلَ عنها فعِلْمُهَا مَرْدُودٌ إليه.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤٧).

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، وأَبُو عَمْرو، وحَمْزَة، والكِسَائِيّ، وأبو بكر عَن عَاصِم: «من ثمرةٍ».

وقَرَأَ نَافِع، وابنُ عَامِر، وحَفْص عَن عَاصِم: ﴿مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ على الجمع[1].

﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي: أوْعِيَتها.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: من المواضِعِ التي كانت فيها مُستَتِرة، وغِلاف كلِّ شيءٍ: كُمُّه، وإنَّما قيل: كُمُّ القميص، من هذا[2].

قال الزَّجَّاج: الأكْمامُ: ما غَطَّى، وكلُّ شجرة تُخْرِج ما هو مُكَمَّم فهي ذات أَكْمَامٍ، وأَكْمَامُ النخلة: ما غطَّى جُمَّارَها من السَّعَفِ والليف والجِذْع، وكلُّ ما أخرجتْه النَّخْلَةُ فهو ذو أكمام، فالطَّلْعة كُمُّها قشرها، ومن هذا قيل للقَلَنْسُوة: كُمَّة، لأنَّها تُغَطِّي الرأس، ومن هذا كُمَّا القميص، لأنهما يغطِّيان اليدين[3].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي الله تَعالى المشركِين ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ الذين كُنتُم تزعمون

﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٧٧)، والحجة (٦/ ١١٨)، والمبسوط (ص:٣٩٤)، والتيسير (ص:١٩٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٠).

(٣) الذي في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩٠) قوله فقط: «نحو خروج الطلع من قشره».

قال الفَرَّاء(١)، وابنُ قُتَيْبَة(٢): أعْلَمْنَاك.

وَقَالَ مُقَاتِل: أسْمَعْنَاك(٣).

﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ فيه قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه من قول المشركين؛ والمعنى: ما منَّا من شَهيدٍ بأنَّ لك شَرِيكًا، فيتبرَّؤون يومئذٍ ممَّا كانوا يقولون، هذا قول مُقَاتِل(٤).

**والثَّاني:** أنَّه من قول الآلهة التي كانت تعبدُ؛ والمعنى: ما منَّا من شهيدٍ لهم بما قالوا، قَالَهُ الفَرَّاء(٥)، وابن قُتَيْبَة(٦).

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بطَلَ عنهم في الآخرة ﴿مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾ أي: يعبدون في الدنيا، ﴿وَظَنُّواْ﴾ أي: أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ وقد شرحنا المحِيصَ في سورة النساء(٧).

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٠).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٩٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤٧).

(٥) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٠).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ٣٩٠).

(٧) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٢١).

عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[فصلت: ٤٩-٥٢].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

قال المفَسِّرون: المرادُ به الكافِرُ؛ فالمعنى: لا يَمَلُّ الكافر ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: من دعائِه بالخير، وهو المالُ والعافية.

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ وهو الفَقْرُ والشِّدَّة، والمعنى: إذا اختبر بذلك يئِسَ من روح الله وقنطَ من رحمته.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: اليؤوس، فعول من يأس، والقنوط، فعول من قَنط[1].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: خيرًا وعافية وغِنًى ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي: هذا واجبٌ لي بعملي، وأنا محقوقٌ به ثمَّ يشكُّ في البعث فيقول: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي: لست على يقينٍ من البعث ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ يعني الجنَّة أي: كما أعطاني في الدنيا يعطيني في الآخرة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: لنخبرنَّهم بمساوئ أعمالهم، وما بعده قد سبق[2] إلى قَولِهُ تَعَالَى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير ونَافِع وأَبُو عَمْرو: ﴿وَنَـَٔا﴾ مثل نَعَى.

وقَرَأَ ابنُ عَامِر: «وناء» مفتوحة النُّون، ممدودة والهمزة بعد الألف.

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٩٨).

(٢) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية رقم (١٧)، وسورة الإسراء الآية رقم (٨٣).

وقَرَأ حَمْزَة: «نِئِى» مكسورة النُّون والهمزة[١].

﴿ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾.

قَالَ الفَرَّاء[٢] وابن قُتَيْبَة[٣]: معنى العَرِيضِ الكَثِير، وإن وصفته بالطُّول أو بالعَرْضِ جاز في الكلام.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمَّد لأهلِ مكَّة ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ﴾ أي: خلاف للحقِّ ﴿بَعِيدٍ﴾ عنه، وهو اسمٌ، والمعنى: فلا أحد أضلّ منكم.

وَقَالَ ابنُ جريرٍ: معنى الآية: ثمَّ كفرتُم به أَلَسْتُم في شِقَاقٍ للحقِّ وبُعْد عَن الصَّواب، فجعل مكان هذا باقي الآية[٤].

قَولُهُ تَعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾[فصلت: ٥٣-٥٤].

قَولُهُ تَعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فيه خمسة أقوال: [٧٠٦/أ]

(١) انظر: السبعة (ص:٥٧٧)، والحجة (٦/ ١٢٣)، والمبسوط (ص:٢٧١)، والتيسير (ص:١٩٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٠).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٠).



أحدها: في الآفاق: فتحُ أقطارِ الأرضِ، وفي أنفُسِهم: فتحُ مكَّة، قَالَهُ الحسَن، ومُجَاهِد، والسُّدِّيّ.

والثَّاني: أنَّها في الآفاق: وقائِعُ الله في الأمَمِ الخالية، وفي أنفسهم: يوم بدرٍ، قَالَهُ قَتَادَة، ومُقَاتِل[1].

والثَّالِث: أنَّها في الآفاق: إمساك القطر عَنِ الأرضِ كلّها، وفي أنفسهم: البلايا التي تَكُون في أجسَادهم، قَالَهُ ابن جُريج.

والرَّابِعُ: أنَّها في الآفاق: آياتُ السَّماء كالشمس والقمر والنجوم، وفي أنفسهم: حوادِثُ الأرض، قَالَهُ ابن زيد.

وحُكِيَ عَن ابن زيد؛ أنَّ التي في أنفسهم: سبيلُ الغَائِطِ والبَول، فإنَّ الإنسان يأكُل ويشربُ من مكان واحدٍ، ويخرج من مكانين.

والخَامِسُ: أنَّها في الآفاق: آثارُ مَنَ مضى قبلهم من المكذِّبين، وفي أنفسهم: كونُهم خُلِقُوا نطفًا ثمَّ علقًا ثمَّ مضغًا ثمَّ عظامًا إلى أن نقلوا إلى العقل والتمييز، قَالَهُ الزَّجَّاجُ[2].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ في هاء الكناية قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها ترجِعُ إلى القرآن.

والثَّاني: إلى جميع ما دعاهم إليه الرسُول.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩١-٣٩٢).

وَقَالَ ابنُ جريرٍ: معنى الآية: حتَّى يعلموا حقيقةَ ما أنزلنا على محمَّدٍ وأوحينا إليه منَ الوعدِ له بأنَّا مُظْهِرُو دِينه على الأديان كلّها[١].

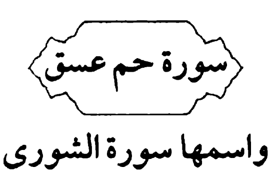
﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: أَوَلَمْ يَكْفِ به أنَّه شاهد على كلِّ شيءٍ؟.

قال الزَّجَّاج: المعنى: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ شهادَةُ ربِّك؟ ومعنى الكفاية هاهنا: أنَّه قد بيَّن لهم ما فيه كفاية في الدلالة على تَوحيدِه وتثبيت رُسُلِه[٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩٢).



## سورة حم عسق

## واسمها سورة الشورى

وهِـيَ مكيَّـة، رواه العَـوفيّ وغـيرُه عَـنِ ابـن عبَّـاس، وبـه قَـالَ الحسَـن، وعِكرِمَـةُ، ومُجَاهِـد، وقَتَـادَة، والجمهـور.

وحُكِـيَ عَـن ابـن عبَّـاس وقَتَـادَة قـالا: إلّا أربـع آيـات نَزَلْـنَ بالمدينـة، أوَّلهـا: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الشـورى: ٢٣][1].

وَقَـالَ مُقَاتِـل: فيها من المـدنيّ قولـه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشـورى: ٢٣] إلى قَولِـه: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشـورى: ٢٤] وقولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ [الشـورى: ٣٩] إلى قَولِـه: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشـورى: ٤١][2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشـورى: ١-٦].

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ١٩١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٣).

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿حمٓ﴾ قد سَبَقَ تفسيره[1].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿عٓسٓقٓ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه قسَمٌ أقسَمَ الله به، وهو من أسمائه، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني:** أنَّه حروفٌ من أسماء؛ **ثمَّ فيه خمسة أقوال:**

**أحدها:** أنَّ العينَ عِلمُ الله، والسِّينَ سناؤه، والقاف قدرته، رواه عِكْرمة عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ الحسَن.

**والثَّاني:** أنَّ العين فيها عذاب، والسّين فيها مسخ، والقاف فيها قذف، رواه أبو الجَوزاء عَن ابنِ عبَّاس.

**والثَّالِث:** أنَّ الحاء من حرب، والميم من تحويل ملك، والعَين من عدوّ مقهور، والسِّين استئصال بسنين كسِنِي يوسف، والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض، قَالَهُ عَطَاء.

**والرَّابِعُ:** أنَّ العين من عالم، والسِّين من قدوس، والقاف من قاهر، قَالَهُ سعيدُ بنُ جُبير.

**والخَامِسُ:** أنَّ العين من العزيز، والسّين من السلام، والقاف من القادر، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والثَّالِث:** أنَّه اسمٌ من أسماء القرآن، قَالَهُ قَتَادَة.

---

(١) انظر: تفسير سورة غافر الآية رقم (١).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيۡكَ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه كما أَوْحَيْتُ حم عسق إلى كلِّ نَبيٍّ، كذلك نوحيها إليك، قَالَهُ أَبُو صَالِح عَن ابن عبَّاس.

والثَّاني: كذلك نُوحِي إليك أخْبَارَ الغَيب كما أوحينا إلى من قبلك، [٧٠٦/ب] رواه عَطَاء عَن ابنِ عبَّاس.

والثَّالِث: أنَّ حم عسق نزلَتْ في أمرِ العذاب، فَقِيل: كذلك نُوحي إليكَ أنَّ العذابَ نازِلٌ بمَن كذَّبكَ كما أوحينا ذلِكَ إلى مَن كان قبلَك، قَالَهُ مُقَاتِل[١].

والرَّابعُ: أنَّ المعنى هكذا نُوحِي إليك، قَالَهُ ابن جَرِير[٢].

وقَرَأَ ابنُ كَثِير: «يُوحَى» بضم الياء وفتح الحاء[٣]، كأنَّه إذا قيل: مَن يُوحِي؟ قيل: الله.

ورَوَى أبان عَن عَاصِم: «نُوحِي» بالنون وكسر الحاء[٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٥).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٨٠)، والحجة (٦/ ١٢٦)، والمبسوط (ص:٣٩٥)، والتيسير (ص:١٩٤)، والتحصيل (٦/ ٤١).

(٤) في المحرر الوجيز (٥/ ٢٥) نسبها لأبي حيوة والأعشى عن أبي بكر عن عاصم، وفي البحر المحيط (٩/ ٣٢٢) نسبها لأبي حيوة، والأعشى عن أبي بكر، وأبان، وفي الكامل (ص:٦٣٢) قال: «وبالنون: ابن أبي أمية عن الخياط، وابن شنبوذ عنه في قول أبي الحسين، وأبان، وأبو حيوة».



﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ ﴾.

قَـرَأَ ابـنُ كَثِـير، وابـنُ عَامِـر، وحَمْـزَةُ: «تـكاد» بالتـاء، «يَتَفَطَّـرْنَ» بيـاء وتـاء مفتوحـة وفتـح الطـاء وتشـديدها.

وقَرَأَ نَافِع، والكِسَائِيّ، «يكاد» بالياء «يَتَفَطَّرْنَ» مثل قراءة ابن كَثِير.

وقَـرَأَ أَبُـو عَمْـرٍو، وأبـو بكـرٍ عَـن عَاصِـم: «تـكاد» بالتـاء «يَنْفَطِـرْنَ» بالنـون وكسـرِ الطّـاء وتخفيفهـا[1]، أي: يَتَشَـقَّقْنَ مِـنْ فَوْقِهِـنَّ أي: مـن فَـوق الأَرضِـين مـن عَظَمـة الرحمـن، وقيـل: مـن قَـول المشركـين: «اتَّخَـذَ الله وَلَـداً»، ونظيرهـا التـي في مريـم.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ قَـالَ بعضُهـم: يصلُّـون بأمـرِ ربِّهـم؛ وَقَـالَ بعضُهـم: ينزِّهُونـه عـمَّا لا يجوز في صفتـه.

﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فيه قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّه أرادَ المؤمنين، قَالَهُ قَتَادَة، والسُّدِّيّ.

**والثَّـاني**: أنَّهُـم كانـوا يسـتغفرونَ للمؤمنـين، فلـمَّا ابتُـلِيَ هـاروت وماروت اسـتغفروا لمن في الأرض.

ومعنى استغفارهم: سؤالهم الرِّزْقَ لهم، قَالَهُ ابن السَّائِب.

وقـد زَعَـمَ قـومٌ منهـم مُقَاتِـل[2] أنَّ هـذه الآيـة منسـوخةٌ بقولـه: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافـر: ٧] وليـس بـشيءٍ، لأنَّهُـم إنَّـما يسـتغفرون

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨٠)، والحجة (٦/ ١٢٧)، والتيسير (ص:١٩٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٣-٧٦٤).

للمؤمنين دونَ الكفَّار، فلفظُ هذه الآية عامٌّ، ومعناها خاصٌّ، ويدلُّ على التخصيص قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧] لأنَّ الكافر لا يستحقُّ أن يُستغفر له.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني كفّار مكّة اتخذوا آلهة فعبدوها من دُونه ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حافِظٌ لأعمالهم ليُجازيهم بها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: لم نُوكِّلك بهم فتؤخذ بهم.

وهذه الآية عند جمهور المفسِّرين منسوخةٌ بآية السَّيف، ولا يصحُّ.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٧-٩].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثلُ ما ذكرنا ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ليَفْهَموا ما فيه ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني مكّة، والمراد: أهلُها، ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ أي: وتنذِرَهم يومَ الجمع، وهو يوم القيامة، يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين وأهلَ السموات والأرضين ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ في هذا الجمع أنّه كائنٌ، ثمَّ بعد الجمع يتفرَّقون، وهو قوله: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾.

ثمَّ ذكر سَبَبَ افتراقهم فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: على دينٍ واحِدٍ، كقوله: ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَٰكِن

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: في دينه ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وهمُ الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم منه.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: بَلِ اتخَذَ الكافرون مِنْ دُون الله ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يعني آلهة يتولَّونهم ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ أي: وليُّ أوليائه، فليتخذوه وليًّا دون الآلهة.

وَقَالَ ابنُ عبَّاس: وليُّكَ يا محمَّد وولي من اتبعك(١).

قَولُـهُ تَعَالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[الشورى: ١٠-١٤].

قَولُـهُ تَعَالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: مـن أمـرِ الدِّيـن؛ وقيـل: بـل هـو عـام. [٧٠٧/أ]

﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: عِلْمُه عند الله.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٤٤).

والثَّاني: هو يحكم فيه.

قَـالَ مُقَاتِـل: وذلـك أنَّ أهـلَ مكَّـة كَفَـر بعضهـم بالقـرآن وآمَـنَ بعضُهـم فقَـال الله: أنـا الـذي أحكـم فيـه[١].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الـذي يحكُـمُ بَـيْن المختلفـين هـو ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في مُهـمّاتي ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي: أرجـع في المعـاد.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قـد سـبق بيانـه[٢] ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: مـن مثـل خَلْقِكـم ﴿أَزْوَٰجًا﴾ نسـاء ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًـا ذكـورًا وإناثًـا، والمعنـى أنَّـه خَلَـقَ لكـم الذَّكَـر والأنثـى مـن الحيـوان كلِّـه.

﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: يخلقكم، قَالَهُ السُّدِّيّ.

والثَّاني: يعيشكم، قَالَهُ مُقَاتِل[٣].

والثَّالِث: يكثركم، قَالَهُ الفَرَّاء[٤].

وفي قوله: ﴿فِيهِ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها على أصلِها، قَالَهُ الأكثرون.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٥).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٢).

**فعلى هذا في هاء الكناية ثلاثة أقوال:**

**أَحَدُها**: أنَّها تَرجِعُ إلى بُطُون الإناث وقَدْ تقدَّمَ ذِكْرُ الأزواج، قَالَهُ زَيْدُ بن أسلَم، فعلى هذا يَكُون المعنى: يخلقكم في بطون النِّسَاء، وإلى نحو هذا ذَهَبَ ابن قُتَيْبَة[١]، فقال: يخلقكم في الرَّحم أو في الزوج.

وَقَالَ ابنُ جريرٍ: يخلقكم فيما جَعَلَ لكم من أزواجِكُم؛ ويعيشكم فيما جَعَلَ لكم من الأنعام[٢].

**والثَّاني**: أنَّها ترجِعُ إلى الأرض، قَالَهُ ابنُ زيد، فعلى هذا يَكُون المعنى: يذْرَؤكم فيما خَلَقَ من السَّموات والأرض.

**والثَّالِث**: أنَّها ترجع إلى الجَعْلِ المذكور.

**ثم في معنى الكلام قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: يعيشكم فيما جَعَلَ من الأنعام، قَالَهُ مُقَاتِل[٣].

**والثَّاني**: يخلقكم في هذا الوَجه الذي ذُكِرَ من جَعْلِ الأزواج، قَالَهُ الواحِدِيّ[٤].

**والقول الثَّاني**: أنَّ فيه بمعنى به، والمعنى يكثركم بما جَعَلَ لكم، قَالَهُ الفَرَّاء[٥] والزَّجَّاج[٦].

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٥).

(٤) انظر: التفسير الوسيط (٤/ ٤٥).

(٥) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٢).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي ليس كهُوَ شيءٌ، والعرب تقيم المثل مقامَ النفس فتقول: مِثْلِي لا يقال له هذا، أي: أَنَا لا يقالَ لي هذا[١].

وَقَالَ الزَّجَّاج: الكافُ مؤكِّدَةٌ، والمعنى: ليس مثله شيءٌ[٢].

وما بعد هذا قد سَبَقَ بيانه[٣] إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ أي: بيَّن وأوْضَحَ.

**﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ وَفِيْهِ ثَلاثَةُ أَقْوَال:**

**أحدها:** أنَّه تحليل الحلالِ وتحريم الحَرَام، قَالَهُ قَتَادَة.

**والثَّاني:** تحريمُ الأخوات والأمَّهات، قَالَهُ الحكم.

**والثَّالِث:** التوحيدُ وتَرْكُ الشِّرك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: من القرآن وشرائع الإسْلام.

قَالَ الزَّجَّاجُ: المعنى: وشَرَعَ الذي أوحينا إليكَ وشرَعَ لكم ما وصَّى به إبراهيم وموسى وعيسى، وقولُه: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ تفسيرُ قوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ وجائزٌ أن يَكُونَ تفسيرًا لما وصَّى به نوحًا ولقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ فيكُون المعنى: شَرَعَ لكم ولمن قبلكم إقامةَ الدين وترك الفُرقة،

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩٥).

(٣) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٢٦)، وسورة الزمر الآية رقم (٦٣).

وشرع الاجتماع على اتباع الرسل(١).

وَقَالَ مُقَاتِل: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ يعني التوحيد ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ أي: لا تختلفوا ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عَظُمَ على مشركي مكة ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ يا محمَّد من التوحيد(٢).

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ أي: يصطفي من عبادِه لدينه ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ﴾ إلى دينه ﴿مَن يُنِيبُ﴾ أي: يَرْجِعُ إلى طاعته.

[٧٠٧/ب] ثمَّ ذكر افتراقَهم بعد أن أوصَاه بترك الفُرقة، فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ يعني أهلَ الكِتاب ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها**: من بعد كثرةِ علمهم للبَغْيِ.

**والثَّاني**: من بعد أن عَلِموا أنَّ الفُرقة ضلالٌ.

**والثَّالِث**: من بعد ما جاءَهم القرآنُ بغيًا منهم على محمَّد ﷺ.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخيرِ المكذِّبين من هذه الأمَّة إلى يوم القيامة، ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزالِ العذابِ على المكذِّبين ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعدِ أنبيائهم ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي: من محمَّد ﷺ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩٥-٣٩٦).

(٢)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٥).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾[الشورى: ١٥-١٦].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ﴾.

قَالَ الفَرَّاء: المعنى، فإلى ذلك، تقول: دعَوتُ إلى فلان، ودعَوت لفلانٍ، وذلك بمعنى هذا[١].

وللمُفَسِّرين قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أَنَّه القرآن، قَالَهُ ابن السَّائب.

والثَّاني: أَنَّه التَّوحيد، قَالَهُ مُقَاتِل[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ يعني: أهلَ الكِتَاب لأَنَّهم دعوه إلى دينهم.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾.

قال بعضُ النحويِّين: المعنى: أُمِرْتُ كي أَعْدِلَ.

وَقَالَ غيره: المعنى: أُمِرْتُ بالعَدْل، وتقعُ «أُمِرْتُ» على «أن»، وعلى «كي»، وعلى «اللام» يقال: أُمِرْتُ أن أَعْدِلَ، وكي أَعْدِلَ، ولأَعْدِلَ.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٦).

ثمَّ في ما أُمِرَ أن يَعْدِلَ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: في الأحكام إذا ترافعوا إليه.

والثَّاني: في تبليغ الرِّسَالة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾ أي: هو إلهنا وإن اختلفنا، فهو يجازينا بأعمالِنَا فذلك قوله: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا﴾ أي: جزاؤها.

﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ﴾.

قال مُجَاهِد: لا خُصُومَةَ بيننا وبينكم(١).

## فصل

وفي هذه الآية قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها اقتضت الاقتصار على الإنذار، وذلك قبل القتال، ثمَّ نزلت آية السيف فنسختها، قَالَهُ الأكثرون.

والثَّاني: أن معناها: إنَّ الكلام بعد ظهور الحجج والبراهين قد سقط بيننا فعلى هذا هي محكمة، حكاه شَيخُنَا علي بن عُبَيْدِ الله عَن طائفة من المفسرين.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ أي: يخاصمون في دينه.

قال قَتَادَة: هُمُ اليهودُ قالوا: كتابنا قبل كتابِكُم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم(٢).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٨٧) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٥٨٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٣٣)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٨٩) من رواية=

وعلى قَولِ مُجَاهِد هم المشركون طَمِعُوا أن تعود الجاهلية.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي: مـن بعـد إجابـةِ النَّـاس إلى الإسـلام ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ أي: خصومتهـم باطلَـة.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[الشـورى: ١٧-٢٠].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعنـي القـرآنَ ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: لم ينزلـه لغـير شيءٍ.

**﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه العَدْلُ، قَالَهُ ابن عبَّاس، وقَتَادَة، والجمهور.

**والثَّاني:** أنَّه الذي يُوزَنُ به، حُكِيَ عَن مُجَاهِد.

ومعنـى إنزالـه: إلهـامُ الخَلْـقِ أن يعمَلُـوا بـه وأمـر الله ﷻ إياهـم بالإنصـاف، وسـمِّيَ العـدلُ ميزانًـا؛ لأنَّ الميـزَانَ آلـةُ الإنْصَـافِ والتسـوية بـين الخلـق، وتمـامُ الآيـة مـشروحٌ في الأحـزاب(١).

---

=معمر، عن قَتَادَة به.

(١) انظر: تفسير سورة الأحزاب الآية رقم (٦٣).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ لأنَّهُم لا يخافُون ما فيها إذ لم يُؤمِنُوا بكَونِها، فهم يطلبون قيامَها استبعادًا واستهزاءً.

[٧٠٨/أ] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون ﴿ مِنْهَا ﴾ لأنَّهُم يعلمون أنَّهُم محاسَبُون ومجزيُّون، ولا يَدْرُون ما يَكُون منهم، ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ أي: أنَّها كائنة لا محالَة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي: يخاصمون في كونِها ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴾ حين لم يتفكَّروا، فيعلموا قدرةَ الله على إقامتها.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ قد شَرَحْنا معنى اسمه اللَّطيف في الأنعام[1].

**وفي عباده هاهنا قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّهُم المؤمنون.

**والثَّاني:** أنَّه عامٌّ في الكُلِّ، ولُطْفُه بالفاجِرِ أنَّه لا يهلكه.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ أي: يوسع له الرزق.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: عمل الآخرة يقال: فلانٌ يحرث الدنيا، أي: يعملُ لها ويجمع المالَ، فالمعنى: مَنْ أراد بعمله الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ أي: نضاعِفُ له الحسَنات[2].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٠٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٢).

قال المفَسِّرون: مَن أراد العملَ لله بما يُرضيه أعانَه الله على عبادتِه، ومن أرادَ الدنيا مؤثِرًا لها على الآخرة لأنَّه غير مؤمن بالآخرة يؤته منها وهو الذي قُسِمَ له، ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ لأنَّه كافرٌ بها لم يعمل لها.

## فصل

اتَّفقَ العلماء على أن أوَّل هذه الآية إلى ﴿حَرْثِهِۦ﴾ محكمٌ، واختلفوا في باقيها على قولين:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّه منسوخٌ بقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وهذا قَولُ جماعة منهم مُقَاتِل[١].

**والثَّاني**: أنَّ الآيتين محكَمَتَان متَّفِقَتان في المعنى لأنَّه لم يَقُلْ في هذه الآية: «نؤته مراده»، فعلم أنَّه إنَّما يؤتيه الله ما أراد وهذا موافِقٌ لقوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾، ويحقِّق هذا أنَّ لفظَ الآيتين لفظُ الخبر ومعناهما معنى الخبر، وذلك لا يدخله النسخُ، وهذا مذهبُ جماعَةٍ منهم قَتَادَة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٨).



ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[الشورى: ٢١-٢٤].

قَولُهُ تَعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ ﴾ يعني: كفَّار مكَّة، والمعنى أَلَهم آلهة ﴿ شَرَعُواْ ﴾ أي: ابتدعُوا ﴿ لَهُم ﴾ دينًا لم يأذَنْ به الله ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ وهي: القضاءُ السابقُ بأنَّ الجزاءَ يكُون في القيامة ﴿ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ في الدنيا بنزول العذاب على المكذِّبين. والظَّالمون في هذه الآية والتي تليها: يراد بهم المشركون، والإشفاقُ: الخوفُ، والذي كسبوا: هو الكُفرُ والتكذيب، ﴿ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡ ﴾ يعني جزاؤه، وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يعني: ما تقدَّم ذكره من الجنات ﴿ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ﴾.

قال أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِيّ: ذلك بمعنى هذا الذي أَخْبَرْتكم به بشرى يبشر الله بها عباده.

وقَرَأَ ابنُ كَثِير، وأَبُو عَمْرو، وحَمْزَة، والكِسَائِيّ: «يَبْشُر» بفتح الياء وسكونِ الباء وضمِّ الشين[1].

قَولُهُ تَعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾ **في سببِ نزولِ هذه الآية ثلاثة أقوال:**

**أحدها**: أنَّ المشركين كانوا يؤذون رسولَ الله ﷺ بمكَّة، فنزلت هذه الآية، رواه الضَّحَّاك عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: أنَّه لما قدم المدينةَ كانت تنوبُه نوائب وليس في يده سَعة فقال الأنصار: إنَّ هذا الرجلَ قد هداكم الله به وليس في يده سَعة

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٢٠٦، ٢٠٥)، والحجة (٣/ ٤١)، والمبسوط (ص: ١٦٣)، والتيسير (ص: ١٩٥).

فاجمعوا له من أَمْوَالِكُم ما لا يضرُّكم ففعلوا ثمَّ أتوه به، فنزلت هذه الآية، وهذا مرويٌّ عن ابن عبَّاس أيضًا. [٧٠٨/ب]

**والثَّالِث**: أنَّ المشركينَ اجتمعوا في مَجْمَعٍ لهم، فقال بعضُهم لبعض: أترون محمَّد يَسْأل على ما يتعاطاه أجرًا، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ قَتَادَة.

والهاء في عليه كِنَاية عمّا جاء به من الهدى.

**وفي الاستثناء هاهنا قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّه من الجنسِ، فعلى هذا يَكُون سائلاً أجرًا، وقد أشار ابن عبَّاس في رواية الضَّحَّاك إلى هذا المعنى، ثمَّ قال: نُسِخَتْ هذه بقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ الآية [سبأ: ٤٧]، وإلى هذا المعنى ذهب مُقَاتِل(١).

**والثَّاني**: أنَّه استثناءٌ من غير الأَوَّل لأنَّ الأنبياء لا يسألون على تبليغهم أَجْرًا، وإنَّما المعنى: لكنِّي أذكِّركم المودَّة في القربى، وقد رَوَى هذا المعنى جماعةٌ عَن ابن عبَّاس منهم العَوفي، وهذا اختيار المحَقِّقِين، وهو الصحيحُ فلا يتوجَّه النسخُ أصلاً.

**وفي المراد بالقربى خمسة أقوال:**

**أحدها**: أنَّ معنى الكلامِ إلَّا أن تودوني لقرابتي منكم، قَالَهُ ابن عبَّاس، وعكرمَة، ومُجَاهِد في الأكثرين.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٩).



قَالَ ابْنُ عبَّاس: ولم يكن بطنٌ من بطون قُريش إلَّا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة.

والثَّاني: إلَّا أن تودّوا قرابتي، قَالَهُ علي بن الحسَين، وسَعيد بن جُبير، والسُّدِّيّ.

ثم في المراد بقرابته قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: عليّ وفاطمة وولدَها، وقد رووه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ.

والثَّاني: أنَّهُم الذين تَحْرُمُ عليهم الصَّدقة ويقسم فيهم الخُمُس وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

والثَّالِث: أنَّ المعنى: إلا أن تتوددوا إلى الله تعالى فيما يقربكم إليه من العمل الصالح، قَالَهُ الحسَن وقَتَادَة.

والرَّابعُ: إلَّا أن تودوني كما تودّون قرابَتَكُم، قَالَهُ ابن زيد.

والخَامِسُ: إلَّا أن تودوا قرابتكم وتصِلُوا أرحامَكُم، حَكَاه الماوردي[١]، والأوَّل أصح.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ أي: من يكتسب ﴿حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: نضاعفها بالواحدة عشرًا فصاعدًا.

وقَرَأَ ابن السَّميفع، وابنُ يَعمر، والجحدري: «يَزِدْ له» بالياء[٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٠٢).

(٢) في التحصيل (٦/ ٤١) نسبها لأبي معمر، عن عبد الوارث، عن أبي عمرو، وفي الكامل (ص:٦٣٢) نسبها للمنقري، ومحبوب عن أبي عمرو، وابن مقسم، والزعفراني.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذُّنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل حتَّى يُضَاعِفَه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل يقول كفَّار مكَّة ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حين زَعَمَ أنَّ القرآن من عند الله.

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: يختم على قلبك فيُنْسِيكَ القرآن، قَالَهُ قَتَادَة.

والثَّاني: يربط على قلبكَ بالصبْرِ على أذاهم فلا يشقُّ عليك قولهم إنَّك مُفْتَرٍ، قَالَهُ مُقَاتِل[١]، والزَّجَّاج[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾.

قَالَ الفَرَّاء: ليس بمردودٍ على يختم فيَكُون جزمًا، وإنَّما هو مستأنَفٌ، ومثله ممَّا حذفت منه الواو: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١][٣].

وَقَالَ الكِسَائِيُّ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديره: والله يمحُو الباطل[٤].

وَقَالَ الزَّجَّاج: الوقفُ عليها، ويمحوا بواو وألف، والمعنى: والله يمحو الباطلَ على كلِّ حالٍ غير أنَّها كتبت في المصاحف بغير واوٍ؛ لأنَّ الواوَ تسقط في اللفظِ لالتقاء الساكنين فكُتِبَتْ على الوصل ولفظُ الواو ثابتٌ، والمعنى:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٣).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣١٤).

ويمحو الله الشِّركَ ويحقُّ الحقَّ بما أنزلَه من كتابه على لسان نبيِّه ﷺ[١].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾[الشورى: ٢٥-٢٧].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ قد ذكرناه في براءة[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ أي: من خير وشر.

[٧٠٩/أ] قَرَأَ حَمْزَة، والكِسَائِيّ، وحَفْصٌ عَن عَاصِم: بالتّاء.

وقَرَأَ الباقون: بالياء[٣]، على الإخبار عَنِ المشركين والتَّهديد لهم.

﴿وَيَسۡتَجِيبُ﴾ بمعنى يجيب، وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّ الفعل فيه لله، والمعنى: يجيبهم إذا سألوه.

وقد رَوَى قَتَادَةُ عَن أبي إبراهيمَ اللَّخمِي: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قال: يَشْفَعُون في إخوانهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ قال: يَشفَعُون في إخوانِ إخوانهم[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩٩).

(٢) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (١٠٤).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٥٨٠)، والحجة (٦/ ١٢٨)، والمبسوط (ص:٣٩٥)، والتيسير (ص:١٩٥).

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٥١) لابن جرير الطبري من رواية قَتَادَة، عن أبي إبراهيم اللخمي، وهو في تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٧) من رواية قَتَادَة، عن إبراهيم النخعي، وليس عن أبي إبراهيم اللخمي!، فالله أعلم بصوابه.

**والثَّاني**: أَنَّه للمؤمنين؛ فالمعنى: يجيبُونه، والأَوَّل أصَحُّ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾.

قال خَبَّابُ بنُ الأرتّ: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنَّا نظرنا إلى أموالِ بني قريظة والنضير فتمنَّيناها، فنزلت هذه الآية(١).

ومعنى الآية: لو أوْسَعَ الله الرزقَ لعباده لبطروا وعصوا وبغى بعضهم على بعض، ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ أي: ينزل أمره بتقدير ما يشاء مما يصلح أمورهم ولا يطغيهم ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ فمنهم من لا يصلحه إلَّا الغنى، ومنهم مَن لا يصلحه إلَّا الفقر.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[الشورى: ٢٨-٣١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ يعني: المطَرُ وقت الحاجة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ أي: يئسوا، وذلك أدعى لهم إلى شُكرِ مُنزِّله.

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ **في الرحمة هاهنا قَوْلان:**

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٥)، وفي التفسير الوسيط (٤/ ٥٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣١٧).



أَحَدُهُمَا: المطر، قَالَهُ مُقَاتِل[١].

والثَّاني: الشَّمس بعد المطر، حَكَاه أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِي.

وقد ذكرنا الوليّ في سورة النساء[٢]، والحميد في البقرة[٣].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ ﴾ وهـو مَـا يلحَـقُ المؤمـن مـن مكـروهٍ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ مـن المعـاصي.

وقَـرَأَ نَافِـع، وابـنُ عَامِـر: «بـما كسَـبَتْ أيديكـم» بغـير فـاء، وكذلـك هـي في مصاحـف أهـل المدينـة والشَّـام[٤].

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ من السَّيئات فلا يُعاقِبُ بها.

وقيل لأبي سُـلَيمان الـدَّارانيّ: ما بالُ العقـلاء أزالوا اللَّوم عمَّن أسـاء إليهم، قـال: إنَّهـم علموا أنَّ الله تعالى إنَّـما ابتلاهم بذنوبهم، وقَـرَأَ هذه الآية[٥].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إن أرادَ الله عقوبَتكُـم، وهـذا يدخـل فيـه الكفَّـار والعُصـاة كلّهـم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٧٠).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٤٥).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٦٧).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٨١)، والحجة (٦/ ١٢٨)، والمبسوط (ص:٣٩٥).

(٥) رواه الثعلبـي في الكشـف والبيـان (٨/ ٣٢٠) مـن روايـة أحمـد بـن الحـواري، عـن أبي سـليمان الـداراني به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الشورى: ٣٢-٣٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ والمراد بالجوارِ: السُّفُن.

قَرَأَ ابنُ كَثِير ونَافِع وأَبُو عَمْرو: «الجَوَاري» بياء في الوصل، إلّا أنَّ ابن كَثِير يقفُ أيضًا بياءٍ، وأَبُو عَمْرو بغير ياء، ويعقوب يوافِق ابنَ كَثِير.

والبَاقُون بغير ياءٍ في الوَصْل والوقف(١).

قالَ أبو عليّ: والقياس ما ذَهَبَ إليه ابنُ كَثِير، ومَن حذَفَ فقد كَثُر حذف مثل هذا في كلامهم(٢).

﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ قَالَ ابن قُتَيْبَة: كالجبال، واحدها: عَلَم(٣).

ورُوِيَ عَن الخليل بن أحمد أنَّه قال: كلُّ شيءٍ مرتفعٍ عند العرب فهو عَلَمٌ(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ التي تُجريها ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ يعني الجَواري ﴿رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي: سَوَاكن على ظهر البحر لا تَجْرِينْ.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨١)، والحجة (٦/ ١٣٠)، والمبسوط (ص:٣٩٦)، والتيسير (ص:١٩٥).

(٢) انظر: الحجة (٦/ ١٣٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٣).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣٢١).

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أي: يُهْلِكْهُنَّ ويُغْرِقْهُنَّ، والمراد أهلَ السُّفن، ولذلك قال: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: من الذُّنوب، ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ من ذنوبهم، فيُنجيهم من الهلاك.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾:

[٧٠٩/ب] قَرَأَ نَافِعٌ، وابنُ عَامِر: «وَيَعْلَمُ» بالرفع على الاستئناف، وقَطعِه من الأول.

وقَرَأَ الباقون بالنَّصب[1].

قالَ الفَرَّاء: هو مردودٌ على الجزم إلّا أنّه صُرف، والجزم إذا صُرف عنه معطوفُه نُصِبَ[2].

وللمفسِّرين في معنى الآية قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: ويعلم الذين يخاصِمُون في آياتِ الله حين يؤخذون بالغَرَقِ أنّه لا مَلْجَأَ لهم.

والثَّاني: أنّهم يعلمون بعدَ البَعْثِ أنّه لا مَهْرَبَ لهم من العذاب.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ما أُعطِيتُم من الدنيا فهو متاعٌ تتمتَّعون به ثمَّ يزول سريعًا ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا للكافرين، لأنّه إنّما أعدَّ لهم في الآخرة العذاب.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨١)، والحجة (٦/ ١٣٠)، والمبسوط (ص:٣٩٥).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٤).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ
(٣٧) وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ
إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ
إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا
ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[الشورى: ٣٧-٤٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾.

وقَـرَأَ حَمْـزَة، والكِسَـائِيُّ: «كبيرَ الإثـم» عـلى التوحيـد مـن غـير أَلِـفٍ، والباقـون بألـف[١].

وقد شرحنا الكَبَائِرَ في سورة النساء[٢].

**وفي المراد بالفواحش هاهنا قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** الزِّنا.

**والثَّاني:** مُوجِبات الحُدود.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ أي: يَعفُـون عمَّـن ظلمهـم طَلَبًـا لثـواب الله تعـالى.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ ﴾ أي: أَجَابُوه فِيَما دعاهم إليه.

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨١)، والحجة (٦/ ١٣٢)، والمبسوط (ص:٣٩٦).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٣١).

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: يَتَشَاوَرُون فيه بَينهم[١].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: المعنى أنَّهُم لا يَنْفرِدُون برأيٍ حتَّى يجتمعوا عليه[٢].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾.

**اختلفوا في هذا البغي على ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه بَغْيُ الكفَّار على المسلمين.

قال عَطَاء: همُ المؤمنون الَّذين أخرجهم الكُفَّار من مكَّة وبَغَوا عليهم ثمَّ مكَّنَهم الله منهم فانتصروا[٣].

وَقَالَ زيدُ بن أسلمَ: كان أصحابُ رسول الله ﷺ فرقتين بمَكَّة، فرقة كانت تُؤذَى فتعفُو عَنِ المشركين، وفرقة كانت تُؤذَى فتنتَصِر، فأثنى الله ﷻ عليهم جميعًا، فقال في الذين لم ينتصروا: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ وَقَالَ في المنتصرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: من المشركين.

وَقَالَ ابن زيد: ذكر المهاجرين وكانوا صنفين، صنفًا عفَا، وصنفًا انتصرَ، فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ فبدأ بهم، وَقَالَ في المنتصرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: من المشركين[٤].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٥٨).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٢٣) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

وقـالَ: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ إلى قولـه: ﴿يُنفِقُونَ ﴾ وهـمُ الأنصـار، ثـمَّ ذكـر الصِّنـفَ الثَّالِـث فقـال: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ مـن المشركـين.

**والثَّاني:** أنَّه بَغْيُ المسلمينَ على المسلمين خاصّة.

**والثَّالِث:** أنَّه عامٌّ في جميع البُغَاة سواءٌ كانوا مسلمين أو كافرين.

## فصلٌ

واختَلَـفَ في هـذه الآيـة علـماءُ الناسـخ والمنسـوخ، فذهـب بعـض القائلـين بأنَّهـا في المشركـين إلى أنَّهـا منسـوخةٌ بآيـة السَّـيف، فكأنَّهُـم يشـيرون إلى أنَّهـا أثبتـت الانتصـارَ بعـد بغـيِ المشركـين، فلـمَّا جـاز لنـا أن نبدأهـم بالقتـال دلَّ عـلى أنَّهـا منسـوخة.

**وللقائلين بأنَّها في المسلمين قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَـا:** أنَّهـا منسـوخَةٌ بقولـه: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ [الشـورى:٤٣] فكأنَّهـا نبَّهَـتْ عـلى مـدح المنتـصر، ثـمَّ أعلمنـا أنَّ الصـبر والغفـران أمْـدَحُ، فبـان وجـه النَّسـخ.

**والثَّـاني:** أنَّهـا مُحْكَمَـةٌ، لأنَّ الصَّـبر والغفـران فضيلـةٌ، والانتصـار مبـاح، فعـلى هـذا تَكُـون مُحْكَمَـةً، وهـو الأصَـحُّ.

**فـإن قيـل:** كيـف الجمـع بـين هـذه الآيـة وظَاهِرهـا مـدح المنتـصر وبـين آيـات الحَـثِّ عـلى العفـو؟ **فعنـه ثلاثـة أجوبـة:**

**أحدهـا:** أنَّـه انتصَـارُ المسـلمين مـن الكافريـن وتلـك رُتبَـةُ الجِهَـادِ، كـما ذكرنـا عَـن عَطَـاء. [١٠/٧/أ]

والثَّـاني: أنَّ المنتـصِرَ لم يخـرج عَـنْ فعـلٍ أبيـح لـه وإن كان العفـوُ أفضـل، ومـن لم يخـرج مـن الـشَّرع بفعلـه حَسُـنَ مَدْحُـه.

قَـالَ ابْـنُ زيـد: جَعَـلَ الله المؤمنـين صِنْفَـين، صنـفٌ يعفـو فَبَـدَأَ بذكـره، وصنـفٌ ينتـصِرُ[1].

والثَّالِـث: أنَّـه إذا بغـى عـلى المؤمِـنِ فاسـقٌ، فـلأنَّ لـه اجـتراءَ الفُسَّـاق عليـه، وليـس للمؤمـنِ أن يُـذِلَّ نَفْسَـه، فيَنْبَغِـي لـه أن يَكْسِـر شَـوكَةَ العُصـاة لتكُـون العِـزَّة لأهـل الدِّيـن.

قـال إبراهيـم النَّخَعِـيُّ: كانـوا يَكْرَهُـون للمؤمنـين أن يذلُّـوا أنفسَـهم فيجـترئَ عليهـم الفسَّـاق، فـإذا قـدروا عفـوا[2].

وَقَـالَ القـاضي أبـو يَعْـلَى: هـذه الآيـةُ مَحْمُولَـةٌ عـلى مَـن تَعَـدَّى وأصَرَّ عـلى ذلـك، وآيـات العفـوِ محمولـةٌ عـلى أن يَكُـون الجـاني نادِمًـا.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾.

قـال مُجَاهِـد، والسُّـدِّيُّ: هـو جـوابُ القبيـحِ إذا قَـالَ لـه كلمـةً أجابـه بمثلهـا مـن غـير أن يعتـدِي[3].

وَقَالَ مُقَاتِل: هذا في القصاص في الجراحات والدِّماء[4].

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) ذكره مكي في الهداية (١٠/ ٦٦٠٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٣٤٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٥٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٧٢).

﴿فَمَنْ عَفَا﴾ فلم يقتص ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل، ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني من بَدَأَ بالظُّلم، وإنَّما سمَّى المجازاة سيِّئةً لما بيَّنَّا عند قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾[1] [البقرة: ١٩٤].

قال الحسَنُ: إذا كان يوم القيامة نادى مُنَادٍ لِيَقُمْ مَن كان أَجْرُه على الله، فلا يقوم إلَّا مَنْ عَفَا[2].

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: بعد ظُلمِ الظَّالم إيَّاه، والمصدر هاهنا مضافٌ إلى المفعول، ونظيره: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]، و﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني المنتصرين ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: من طريقٍ إلى لَومٍ ولا حدٍّ، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: يبتدؤون بالظلم، ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: يعملون فيها بالمعاصي.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصَّبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وقد شرحناه في آل عمران[3].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾[الشورى: ٤٤-٤٦].

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٩٤).

(٢) هو في تفسير مجاهد (ص:٥٩١) من رواية المبارك بن فضالة، عن الحسن به.

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٨٦).



قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ ﴾ أي: مـن أَحَـدٍ يَـلِي هِدَايَتَـه بعـد إضـلالِ الله إيّـاه.

﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعنـي المشركـين ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ في الآخـرة يسـألون الرَّجعَـةَ إلى الدُّنيـا ﴿يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾.

﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا ﴾ أي: عـلى النـار ﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ أي: خاضعـين متواضعين.

﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ ﴾ وَفِيْهِ أَربَعَةُ أَقْوَال:

**أحدها**: من طَرْفٍ ذليلٍ، رواه العَوفي عَن ابنِ عبَّاس، وبه قَالَ مُجَاهِد.

وَقَالَ الأَخْفَشُ: ينظرون من عَينٍ ضعيفة[١].

وَقَالَ غيرُه: مِنْ بمعنى الباء.

**والثَّاني**: يُسَارِقُون النَّظر، قَالَهُ قَتَادَة والسُّدِّيّ.

**والثَّالِث**: ينظرون ببعضِ العينِ، قَالَهُ أَبُو عُبَيدَة.

**والرَّابِعُ**: أَنَّهُـم ينظـرون إلى النَّـار بقلوبهـم، لأَنَّهُـم قـد حُـشِرُوا عُميًـا فلـم يروهـا بأعينهـم، حَـكَاه الفَـرَّاء[٢] والزَّجَّـاج[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٥١٢).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٢).

ومَـا بعـدَ هـذا قـد سَـبَقَ بيانُـه(١) إلى قولـه: ﴿يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعونهـم مـن عـذاب الله.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[الشـورى: ٤٧-٥٠].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ أي: أَجِيبُـوه فقـد دَعَاكُم برسـوله ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ وهـو يَـومُ القيامـة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يقـدر أحـدٌ عـلى ردِّه ودفعـه ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجؤون إليـه، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

قال مُجَاهِد: من ناصرٍ ينصركم(٢).

وَقَالَ غيره: من قدرةٍ على تغيير ما نَزَلَ بكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عَـن الإجابـة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ لحفـظِ [٧١٠/ب] أعمالهـم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ أي: مَـا عليـكَ إلَّا أن تبلِّغَهـم، وهـذا عنـد المفسِّريـن منسـوخٌ بآيـة السَّـيف.

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٢)، وسورة هود الآية رقم (٣٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٣٥) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾.

قال المفَسِّرون: المرادُ به: الكافِر؛ والرحمة: الغنَى والصِّحَّة والمطر ونحو ذلك.

والسَّيئة: المرضُ والفقر والقَحط، ونحو ذلك، والإنسان هاهنا اسمُ جنسٍ، فلذلك قال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما سَلَفَ من مخالفتهم ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ بما سلف من النِّعَم.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له التصرُّف فيها بما يريدُ، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ يعني البنات ليس فيهنَّ ذَكَرٌ، كما وهب للُوطٍ ﷺ، فلم يولَدْ له إلَّا البنات.

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ يعني: البنين ليس معهم أنثى، كما وَهَبَ لإبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام، فلم يولد له إلَّا الذُّكور.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ يعني الإناث والذُّكور.

قال الزَّجَّاج: ومعنى يزوِّجُهم يُقْرِنُهم، وكلُّ شَيئَين يقتَرِنُ أَحَدُهُما بالآخَر فهما زوجان، ويقال لكلِّ واحدٍ منهما زوج، تقول: عندي زوجان من الخفاف يعني اثنين[1].

**وفي معنى الكَلام للمُفَسِّرين قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه وَضعُ المرأةِ غلامًا ثمَّ جارية ثمَّ غلامًا ثمَّ جارية، قَالَهُ مُجَاهِد، والجمهور.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٢).

**والثَّاني**: أنَّه وضعُ المرأةِ جاريةً وغلامًا توأمين، قَالَهُ ابنُ الحنفيّة.

قالُوا: وذلِكَ كَما جمع لمحمَّدٍ ﷺ، فإنَّه وهبَ لَهُ بَنِينَ وبنات، ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لا يُولَدُ له، كيَحيَى بنِ زكريَّا عليهما السلام، وهذه الأقسامُ موجودةٌ في سائر النَّاس، وإنَّما ذكروا الأنبياء تمثيلاً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[الشورى: ٥١-٥٣].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾.

قال المفَسِّرُون: سببُ نزولها أنَّ اليهودَ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ألا تكلِّمُ الله وتنظر إليه إن كنت نبيًّا صادقًا كما كلَّمه موسى ونظر إليه. فقال لهم: لم ينظر موسى إلى الله، ونزلت هذه الآية(١).

والمراد بالوحي هاهنا: الوحيُ في المنام.

﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كلَّم موسى.

﴿أَوۡ يُرۡسِلَ﴾:

قَرَأَ نَافِعٌ، وابن عَامِر: «يُرْسِلُ» بالرَّفع «فَيُوحِي» بسكون الياء.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٥).

وقَرَأ الباقون: «يُرْسِلَ» بنصب اللام «فيوحيَ» بتحريك الياء(١).

والمعنى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾ كجبرائيل ﴿فَيُوحِيَ﴾ ذلِكَ الرَّسُولُ إلى المرسَل إليه ﴿بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾.

قال مكّي بن أبي طالِب: مَن قَرَأَ «أو يرسِلَ» بالنصب، عطَفَه على معنى قوله: «إلَّا وَحْياً» لأنَّه بمعنى: إلا أن يوحِيَ، ومَن قَرَأَ بالرَّفع، فعلى الابتداء، كأنَّه قال: أو هو يُرسِل.

قال القاضي أبو يَعْلَى: وهذه الآية محمولةٌ على أنَّه لا يكلِّم بَشَرًا إلَّا من وراء حجابٍ في دار الدُّنيا.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أوحينا إلى الرُّسُل ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، وقيل الواوُ عَطْفٌ على أوَّل السورة، فالمعنى: كذلك نوحِي إليك وإلى الذين من قبلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: هو القرآن(٢).

وَقَالَ مُقَاتِل: وَحيًا بأمرنا(٣).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ وذلِكَ أنَّه لم يكُنْ يَعرِفُ القرآن قبل الوحي.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨٢)، والحجة (٦/ ١٣٣)، والمبسوط (ص:٣٩٦).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٦٤) لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٧٦).

﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه بمعنى الدَّعوة إلى الإيمان، قَالَهُ أبو العَالِيَة.

والثَّاني: أنَّ المرادَ به شرائِعُ الإيمان ومَعَالمُهُ وهي كلُّها إيمانٌ وقد سمَّى الصَّلاة إيمانًا بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]، [١١/٧١١/أ] هذا اختيار ابنِ قُتَيْبَة[١]، ومحمَّد بن إسْحَاق بنِ خُزَيمَة[٢].

والثَّالِث: أنَّه ما كان يَعرِفُ الإيمان حين كان في المَهْدِ وإذْ كان طِفلاً قبل البلوغ، حَكَاه الوَاحِديّ[٣]، والقولُ ما اختارَه ابن قُتَيْبَة وابن خُزَيمَة.

وَقَدِ اشْتَهَرَ في الحديث عنه ﷺ أنَّه كان قبل النُّبوَّة يوحِّد الله ويبغض اللَّات والعُزَّى ويحجّ ويعتمر ويتَّبع شريعة إبراهيم عليه السلام.

قال الإمام أحمدُ بن حنبل رحمه الله: مَنْ زَعَمَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان على دين قومِه فهو قولُ سوءٍ، أليس كان لا يأكل ما ذُبح على النُّصُب؟.

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: قد جاء في الحديث أنَّه كان على دِينِ قَومه أربعين سنة[٤].

ومعناه أنَّ العَرَبَ لم يزالُوا على بَقَايَا مِنْ دين إسماعيل، من ذلك حجُّ البيت والختان وإيقاع الطَّلاقِ إذا كان ثلاثًا وأنَّ للزَّوج الرَّجعة في الواحدة

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٦٦).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٦١) قال: «وهذا القول هو اختيار إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة».

(٣) انظر: التفسير الوسيط (٤/ ٦١).

(٤) لم نقف عليه.



والاثنتين ودية النَّفسِ مائة من الإبِلِ والغُسل من الجنابَة، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصِّهر.

وكان عليه الصَّلاة والسَّلام على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغُسل والحجّ، وكان لا يقرَبُ الأوثانَ ويعيبها، وكان لا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه فذلك، قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يعني القرآن ﴿وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ يعني شرائعَ الإيمان، ولم يُرِدِ الإيمانَ الذي هو الإقْرَارُ بالله، لأنَّ آباءه الّذين ماتوا على الشِّرك كانوا يؤمنون بالله ويحجُّون له البيت مع شركهم.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ﴾ في هاء الكناية قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها ترجعُ إلى القرآن.

والثَّاني: إلى الإيمان.

﴿نُورٗا﴾ أي: ضياءً ودَليلاً على التَّوحيد ﴿نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ من عبادنا إلى دين الحقِّ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾ أي: لَتَدْعُو ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وهو الإسلام.

# سورة الزخرف

وَهِيَ مَكِّيَّة بإجماعهم.

وَقَالَ مُقَاتِل: هي مَكِّيَّةٌ إلَّا آيةً، وهي قوله: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا ﴾[١] [الزخرف: ٤٥].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الزخرف: ١-١٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حمٓ﴾ قد تقدَّم بيانُه[٢].

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ قَسَمٌ بالقرآن.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ قَالَ سَعيدُ بنُ جُبَير: أنزلناه[٣].

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٣٥٨)، ولم نقف عليه في تفسيره.

(٢) انظر: تفسير سورة غافر الآية رقم (١).

(٣) لم نقف عليه من كلام سعيد بن جبير، وقد ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٢١٥)، ونسبه للسدي.

وما بعد هذا تَقَدَّم بيانُه[١] إلى قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآنَ ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: في أَصْلِ الكِتَاب، وأصلُ كلِّ شيءٍ: أُمُّه، والقرآن مثبتٌ عند الله ﷻ في اللَّوح المحفوظ[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَدَيْنَا﴾ أي: عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ أي: رفيعٌ.

**وفي معنى الحكيم قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** مُحْكَمٌ، أي: ممنوعٌ من الباطل، قَالَهُ مُقَاتِل[٣].

**والثَّاني:** حاكِمٌ لأهلِ الإيمان بالجنَّة ولأهل الكُفرِ بالنَّار، ذَكَرَه أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِيّ.

والمعنى: إن كذَّبتم به يا أهلَ مكَّة فإنَّه عندنا شريفٌ عظيمُ المحَلِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: نُمسِكُ عنكم فلا نذَكِّرُكُم، صَفحًا؛ أي: إعراضًا، يقال: صَفَحتُ عَن فلانٍ إذا أعرضتُ عنه، والأصل في ذلك أن تُوَلِّيَه صفحةَ عُنُقِك.

قال كُثَيِّرٌ يصف امرأةً[٤]: [من الطويل]

---

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٨٢)، وسورة يوسف الآية رقم (٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٨٩).

(٤) البيت لكثير عزة في ديوانه (ص ٩٨)، وغريب القرآن (ص:٣٩٥)، وغريب الحديث=

صَفُوحًا فَمَا تَلْقَاكِ إِلَّا بَخِيْلَةً فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الوَصْلَ مَلَّتِ

أي: معرضِةً بوجهها، يقال: ضَرَبْتُ عَن فلانٍ كذا إذا أَمْسَكتُه وأضربت عنه[١].

﴿أَن كُنتُمْ﴾:

قَرَأَ ابنُ كَثِير، وعَاصِم، وأَبُو عَمْرو، وابنُ عَامِر: ﴿أَن كُنتُمْ﴾ [٧١١/ ب] بالنصب، أي: لأَنْ كُنْتُمْ قَومًا مُسْرِفِين.

وقَرَأَ نَافِعٌ، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «إِن كُنتُمْ» بكسر الهمزة[٢].

قال الزَّجَّاجُ: وهذا على معنى الاستقبال أي: إن تَكُونُوا مُسْرِفِين نَضْرِبُ عنكم الذِّكر[٣].

**وفي المراد بالذِّكر قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: أَنَّه ذِكرُ العذاب، فالمعنى: أفنُمسِكُ عَن عذابكم ونترككم على كفركم، وهذا معنى قَولِ ابنِ عبَّاسٍ ومُجَاهِد والسُّدِّيّ.

---

=(٢/ ٤٦٥)، كلاهما لابن قتيبة، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ٣٣١)، والزاهر (١/ ٢٧١)، ولسان العرب (٢/ ٥١٥) (صفح)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٥١)، وأمالي القالي (٢/ ١٠٧)، وتاج العروس (٦/ ٥٤٤) (صفح).

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٨٤)، والحجة (٦/ ١٣٨)، والمبسوط (ص:٣٩٧)، والتيسير (ص:١٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٥).



والثَّاني: أنَّه القُرآن، فالمعنى: أفنُمسِكُ عَن إنزالِ القرآن من أجل أنَّكم لا تؤمنون به، وهو معنى قَولِ قَتادَةَ وابنِ زيد.

وَقَالَ قَتَادَة: مُسْرِفِين بمعنى مُشْرِكين[1].

ثمَّ أَعْلَمَ نبيَّه أنِّي قد بعثتُ رُسُلاً فكُذِّبوا فأهلكتُ المكذِّبين بالآيات التي تلي هذه.

قَولُهُ تَعالى: ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾ أي: من قريش ﴿بَطْشًا﴾ أي: قوَّة ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: سَبَقَ وَصْفُ عقابهم فيما أنزل عليك، وقيل: سبق تشبيه حال أولئك بهؤلاء في التكذيب، فستَقَعُ المشابهةُ بينهم في الإهلاك.

ثمَّ أَخبَرَ عَنْ جهلهم حين أقرُّوا بأنَّه خالقُ السَّموات والأرض ثمَّ عبدوا غيره بالآية التي تلي هذه، ثمَّ التي تليها مفسَّرةٌ في طه[2] إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: لكي تهتدوا في أسفاركم إلى مقاصدكم.

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[الزخرف: ١١-١٤].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٤٩) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به.

(٢) انظر: تفسير سورة طه الآية رقم (٥٣).

قَـالَ ابْـنُ عبَّـاس: يريـد أنَّـه ليـسَ كَـمَا أنـزَلَ عـلى قـومِ نـوحٍ بغـير قـدر فأغرقَهـم بـل هـو بقـدرٍ ليَكُـون نَافِعًـا[١].

ومعنى «أنشرنا»: أحيينا.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾.

قَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وابن عَامِرٍ: «تَخْرُجُونَ» بفتح التَّاء وضمِّ الرَّاء.

والباقون بضمِّ التَّاء وفتح الرَّاء[٢].

وما بعد هذا قد سبق[٣] إلى قَولُهُ تَعَالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾.

قال أَبُو عُبَيْدَة: هاءُ التذكير لـ ﴿مَا﴾[٤].

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ إذْ سَخَّرَ لكم ذلك المرْكَبَ في البرِّ والبحر.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ قَالَ ابنُ عبَّاس، ومُجاهِد: أي: مُطِيقِين[٥].

قَـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـة: يقـال: أنـا مُقْـرِنٌ لـك، أي: مُطيـقٌ لـك، ويقـال: هـو مـن قولهـم: أنـا قِـرْنٌ لفـلانٍ: إذا كنـت مثلَـه في الشِّـدة، فـإن قلـتَ: أنـا قَـرْنٌ

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٦٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٨٤)، والحجة (٦/ ١٤٧)، والتيسير (ص:١٩٦).

(٣) انظر: تفسير سورة يس الآيات رقم (٣٦-٤٢).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٢).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٥٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس به، ولم نقف عليه عند مجاهد بهذا اللفظ، وإنما بلفظ: «الإبل والخيل والبغال والحمير»، كما رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥٥٩) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٥٩٢).

لفـلانٍ- بفتـح القـاف- فمعنـاه: أن تَكُـون مثلَـه بالسِّـنِّ[١].

وَقَـالَ أَبُـو عُبَيْـدَة: «مُقْرِنِـينَ» أي: ضابِطِـين، يقـال: فـلانٌ مُقْـرِنٌ لفـلانٍ: أي: ضابـطٌ له[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ أي: راجعون في الآخرة.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[الزخـرف: ١٥-١٨].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾ أمَّـا الجَعْـلُ هاهنـا فمعنـاه الحكـمُ بالـشَّيء، وهـم الذيـن زَعَمُـوا أنَّ الملائكـة بنـات الله، والمعنـى: جعلـوا لـه نصيبًـا مـن الوَلَـدِ.

قـال الزَّجَّـاج: وأنشـدني بعـضُ أهـل اللُّغـة بيتـاً يـدلُّ عـلى أنَّ معنـى «جـزءٍ» معنـى الإنـاث، ولا أدري البيـتَ قديـمٌ أو مصنـوعٌ[٣]: [مـن البسـيط]

إنْ أَجْـزَأَتْ حُـرَّةٌ يَوْمًـا فَـلَا عَجَـبٌ     قَـدْ تُجْـزِئُ الحُـرَّةُ المِـذْكارُ أَحْيَانًـا

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٥).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٢).

(٣) بـلا نسـبة في معـاني القـرآن وإعرابـه؛ للزجـاج (٤/ ٤٠٧)، وتهذيـب اللغـة (١١/ ١٠٠)، والمحكـم والمحيـط الأعظـم (٧/ ٤٨٠)، والمخصـص (٤/ ٣٦٥)، ولسـان العـرب (١/ ٤٧)، وتـاج العـروس (١/ ١٧٢)، والتكملـة والذيـل والصلـة (١/ ١١).

أي: آنَثَتْ، وَلَدَتْ أُنثى[١].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ يعنـي الكافـرَ ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جحـودٌ لنِعَـمِ الله ﷻ ﴿مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهـرُ الكفـرِ.

ثـمَّ أنكـر عليهـم فقـال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾، وهـذا استفهامُ تَوبِيـخٍ وإنـكارٍ، ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ أي: أَخْلَصَكُـم بالبنـين.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا﴾ أي: بـما جَعَـلَ لله شـبهًا، وذلـك أنَّ وَلَـدَ كلِّ شيءٍ شِـبْهُهُ وجنسـه، والآيـة مفسَّرةٌ في النحـل[٢]. [٧١٢/أ]

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟﴾:

قَـرَأَ حَمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ، وخَلَـفُ، وحَفْـصٌ: ﴿يُنَشَّؤُا۟﴾ بضـمِّ اليـاء وفتـح النُّـون وتشـديد الشِّـين.

وقَرَأَ الباقون: بفتح الياء وسكونِ النُّون[٣].

قالَ المُبَرِّدُ: تقديره أو يجعلون مَنْ يَنْشَأُ في الحِليَة[٤].

قال أَبُو عُبَيْدَة: الحِليَة: الحُلِيّ[٥].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٥٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٨٤)، والحجة (٦/ ١٣٩)، والمبسوط (ص:٣٩٧)، والتحصيل (٦/ ٦٧).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٦٧)، والتفسير البسيط (٢٠/ ٢١).

(٥) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٣).

قَالَ المفَسِّرُون: والمراد بذلك: البَنَات، فإنَّهنَّ رَبَينَ في الحُلِيِّ، والخِصَامُ بمعنى المخَاصَمَة.

﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ حُجَّةً.

قال قَتَادَة: قلَّما تتكلَّم امرأةٌ بحُجَّتها إلَّا تكلَّمت بالحُجَّة عليها(١).

وَقَالَ بعضهم: هي الأصنامُ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[الزخرف: ١٩-٢٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: الجَعْلُ هاهنا بمعنى القَولِ والحُكمِ على الشيء، تقول: قد جعلتُ زيداً أعلَمَ الناسِ، أي: قد وصَفْتُه بذلك وحكمتُ به(٢).

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣٣١)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٦٧)، والتفسير البسيط (٢٠/ ٢٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٧).

قال المَفَسِّرُون: وجَعْلُهم الملائكةَ إناثاً قولُهم: هُنَّ بناتُ الله.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ، ونَافِعٌ، وابنُ عَامِرٍ، ويعقوبُ، وأبانُ عَن عَاصِمٍ، والشَّيْزَرِيُّ عَن الكِسَائِيِّ: «عِنْدَ الرحمن» بنونٍ من غير ألف.

وقَرَأَ الباقون: «عِبادُ الرحمن»[1]، ومعنى هذه القراءة: جعلوا له من عباده بناتٍ.

والقراءة الأُولى موافقةٌ لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف:٢٠٦]، وإذا كانوا في السَّماء كان أَبْعَدَ للعِلْم بحالهم.

﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾:

قَرَأَ نَافِعٌ، والمفضلُ عَن عَاصِم: «أَأُشْهِدوا» بهمزتين، الأولى مفتوحة والثَّانية مضمومة.

وروى المَسَيَّبِيُّ عَن نَافِعٍ: «آوُشْهِدوا» ممدودة من أشْهدْتُ، والباقون لا يُمدُّون[2].

«أشَهِدوا» من شَهِدْتُ، أي: أحَضَروه فعرَفوا أنَّهُم إناث؟! وهذا تَوبِيخٌ لهم إذ قَالُوا فيما يُعْلَمُ بالمشاهَدة من غيرِ مشاهَدة.

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ على الملائكة أنَّها بنات الله.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨٥)، والحجة (٦/ ١٤٠)، والمبسوط (ص:٣٩٨)، والتحصيل (٦/ ٦٧).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٨٥)، والحجة (٦/ ١٤١)، والمبسوط (ص:٣٩٨)، والتحصيل (٦/ ٦٨).

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: لما قَالَ الله ﷻ: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ سُئِلُوا عن ذلك فقالوا: لا. فقال النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَا يُدْرِيكُمْ أَنَّهَا إِنَاثٌ؟»، فقالوا: سَمِعْنَا من آبائنا ونحن نَشْهَدُ أَنَّهُم لم يَكذِبُوا، فقال الله: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنها في الآخرة[1].

وقَرَأَ أبو رَزِينٍ، ومُجَاهِد: «سنكْتُبُ» بنون مفتوحةٍ «شهادتَهم» بنصب التَّاء[2].

ووافقهم ابن أَبِي عَبْلَة في «سنكْتُبُ» وقرأ: «شهاداتِهم» بألف[3].

**قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ في المكني عنهم قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّهُم الملائكة، قَالَهُ قَتَادَة، ومُقَاتِل[4] في آخرين.

**والثَّاني:** الأوثان، قَالَهُ مُجَاهِد.

وإنَّما عَنَوا بهذا أَنَّه لو لم يَرْضَ عبادَتَنا لها لعَجَّلَ عقوبَتَنا، فَرَدَّ عليهم قولَهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾، وبعضُ المفَسِّرين يقول إنَّما أشار بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ إلى ادِّعائهم أنَّ الملائكةَ إناثٌ، قال:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٩١)، وهذا الحديث الذي أورده مقاتل لم نقف عليه.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٥) نسبها للأعرج، وفي التحصيل (٦/ ٦٨) نسبها لهبيرة عن حفص، وفي المحرر الوجيز (٥/ ٥٠) نسبها للأعرج وابن عبَّاس وأبي جعفر وأبي حيوة، وانظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦٥)، والكامل (ص:٦٣٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٥) نسبها للحسن، وانظر: البحر المحيط (٩/ ٣٦٥)، والكامل (ص:٦٣٣).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٩٢).

ولم يتعرَّض لقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ لأنَّه قولٌ صحيحٌ.

والذي اعتمدنا عليه أصحُّ، لأنَّ هذه الآية كقوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] وقوله: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾ [يس: ٤٧] وقد كَشَفْنا عَن هذا المعنى هنالك[١].

و﴿يَخْرُصُونَ﴾ بمعنى يَكذِبُون، وإنَّما كذَّبهم لأنَّهم اعتقدوا أنَّه رضي منهم الكفرَ دِينًا.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: مِنْ قبلِ هَذا القُرآن أي: بأن يعبدوا غَيرَ الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ يأخُذون بما فيه.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: على سُنَّةٍ وملَّةٍ ودِينٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ فجعلوا أنفسَهم مُهتَدِين بمجرَّد تَقْليدِ الآباءِ من غير حُجَّة؛ ثمَّ أخبر أنَّ غيرَهم قد قَالَ هذا القَولَ، فقالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما قَالُوا قَالَ مُترَفُو القُرى من قبلهم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ بهم.

«قُلْ أَوَلَوْ جئتكم»: [٧١٢/ب]

وقَرَأَ ابن عَامِر، وحَفْص عَن عَاصِم: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾ بألف[٢].

قالَ أبو عليّ: فاعلُ «قالَ» النَّذيرُ، المعنى: فقال لهم النَّذيرُ[٣].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٤٨)، وسورة يس الآية رقم (٤٧).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٨٥)، والحجة (٦/ ١٤٧)، والمبسوط (ص:٣٩٨)، والتحصيل (٦/ ٦٩).

(٣) انظر: الحجة (٦/ ١٤٨).

وقَرَأَ أبو جَعفَر: «أَوَلَوْ جئناكم» بألفٍ ونونٍ «بِأَهْدى» أي: بأصْوَبَ وأَرْشَدَ(١).

قال الزَّجَّاج: ومعنى الكلام: قُلْ: أَتَّبعُونَ ما وَجَدْتُم عليه آباءكم وإِن جئتُكم بأهدَى منه؟!(٢).

وفي هذه الآية إِبطالُ القولِ بالتَّقليد.

قال مُقَاتِل: فرَدُّوا على النَّبيِّ ﷺ فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ ثمَّ رَجَعَ إِلى الأُمم الخالية، فقال: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ الآية(٣).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[الزخرف: ٢٦-٣٠].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: البَرَاءُ بمعنى البرِيءُ، والعرب تقول للواحِدِ: أنا البَرَاءُ منكَ، وكذلك للاثنين والجماعة، وللذَّكَرِ والأنثى، يقولون: نحنُ البَرَاءُ منك والخَلَاء منكَ، لا يقولون: نحن البراءان منك، ولا البراؤون منك، وإنَّما المعنى: أنا ذو البراء منك، ونحن ذو البراء منك، كما يقال: رجلٌ عدلٌ وامرأةٌ عدلٌ(٤).

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٣٩٨)، والكامل (ص:٦٣٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٩٢-٧٩٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٩).

وقد بيَّنَّا استثناءَ إبراهيمَ ربَّه ﷻ ممَّا يعبدون عند قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧][(١)].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ يعني كلمةَ التوحيد، وهي لا إله إلَّا الله ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ أي: فيمَن يأتي بعدَه من وَلَدِه فلا يَزالُ فيهم موحِّدٌ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى التوحيد كلُّهم إذا سَمِعُوا أنَّ أباهم تبرَّأَ من الأصنام ووحَّد الله ﷻ.

ثمَّ ذَكَرَ نعمتَه على قريش فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ والمعنى: إنِّي أجْزَلْتُ لهم النِّعَمَ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ وهو القُرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ وهو محمَّدٌ ﷺ، فكان ينبغي لهم أن يُقابِلُوا النِّعَمَ بالطَّاعة للرَّسول فخالفوا.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ﴾ يعني قريشًا في قَولِ الأكثرين.

وَقَالَ قَتَادَةَ: هُمُ اليهود[(٢)].

و﴿ٱلْحَقُّ﴾ القرآنُ.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا

(١) انظر: تفسير سورة الشعراء الآية رقم (٧٧).

(٢) لم نقف عليه.



مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٣١- ٣٥].

قولُه تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا ﴾ أي: هلَّا ﴿ نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ أمَّا القريتان، فمكَّة والطَّائف، قَالَهُ ابن عبَّاس، والجماعة.

**وأمَّا عظيمُ مكَّةَ ففيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** الوليدُ بنُ المغيرَة القُرَشيّ، رواه العَوفيّ، وغيرُه عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ قتَادَة، والسُّدِّيّ.

**والثَّاني:** عتبة بن ربيعة، قَالَهُ مُجاهِد.

**وفي عظيم الطَّائفِ خمسةُ أقوالٍ:**

**أحدها:** حبيبُ بنُ عمرِو بنِ عُمَيرِ الثَّقَفِيّ، رواه العَوفي عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني:** مسعودُ بنُ عمرو بن عُبيَد الله، رواه الضَّحَّاك عَن ابن عبَّاس.

**والثَّالِث:** أَنَّه أبو مسعود عُروَة بن مسعود الثَّقفيّ، رواه ليث عَن مُجاهِد، وبه قَالَ قَتَادَة.

**والرَّابعُ:** أنَّه ابنُ عَبْدِ ياليل، رواه ابنُ أبي نَجِيحٍ عَن مُجاهِد.

**والخَامِسُ:** كِنَانَةُ بن عَبدِ بن عمرو بن عمير الطَّائفيّ، قَالَهُ السُّدِّيّ.

فقَالَ الله ﷻ ردًّا عليهم وإنكارًا: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ يعني النُّبوَّة فيضعونها حيث شاؤوا لأنَّهم اعترضوا على الله بما قالوا. ﴿ نَحْنُ

قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾ المعنى أنَّه إذا كانت الأرزاقُ بقدر الله لا بحَولِ المحتال وهو دون النبوَّة فكيف تَكُون النبوَّة؟.

قال قَتَادَة: إنَّك لتَلقى ضعيفَ الحيلة عَيِيَّ اللِّسان قد بُسط له الرِّزق، وتَلقى شديدَ الحيلةِ بَسِيطَ اللِّسان وهو مَقْتُورٌ عليه[1].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ فيه قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: بالغنى والفَقر.

**والثَّاني**: بالحرِّية والرِّق.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.

وقَرَأَ ابنُ السَّمَيْفَع، وابنُ مُحَيْصِنٍ: «سِخْرِيًّا» بكسر السين[2].

**ثمَّ فيه قَوْلان**: [٧١٣/أ]

**أَحَدُهُمَا**: يَسْتَخْدِمُ الأغنياءُ الفقراءَ بأموالهم فَيَلْتَئِمُ قوامُ العالم، وهذا على القول الأوَّل.

**والثَّاني**: ليَمْلِكَ بعضُهم بعضًا بالأموال فيتَّخذونهم عبيدًا، وهذا على الثَّاني.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٨٤) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٦) نسبها لابن محيص، وابن أبي ليلى، وعمرو بن ميمون، وفي المحرر الوجيز (٥/ ٥٣) نسبها لأبي رجاء، وابن محيصن، وفي البحر المحيط (٩/ ٣٧٠) نسبها لعمرو بن ميمون، وابن محيصن، وابن أبي ليلى، وأبي رجاء، والوليد ابن مسلم، وابن عامر.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ ﴾ فيها **قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: النُّبوَّة خيرٌ من أموالهم التي يجمعونها، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: الجنَّة خيرٌ ممَّا يجمعون في الدُّنيا، قَالَهُ السُّدِّيّ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ فيه **قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: لولا أن يجتمعوا على الكفر، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: على إيثار الدُّنيا على الدِّين، قَالَهُ ابن زيد.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ لهوان الدُّنيا عندنا.

قال الفَرَّاء: إن شِئتَ جَعَلْتَ اللام في لبيوتهم مكرَّرة كقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٧] وإن شِئتَ جَعَلْتَها بمعنى «على» كأنَّه قال: جعلنا لهم على بيوتهم، تقول للرَّجل: جعلتُ لك لقومك الأعطية، أي: جعلتها من أجلكَ لهم[١].

قَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ، ونَافِعٌ، وأَبُو عَمْرو: «سَقْفاً» على التَّوحيد.

وقَرَأَ الباقون: ﴿ سُقُفًا ﴾ بضمِّ السِّين والقاف جميعاً[٢].

قال الزَّجَّاج: والسَّقف واحدٌ يدلُّ على الجمع، فالمعنى: جعلْنا

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٨٥)، والحجة (٦/ ١٤٨)، والمبسوط (ص:٣٩٨)، والتيسير (ص:١٩٦)، والتحصيل (٦/ ٦٩).

لبيتِ كلِّ واحدٍ منهم سقفاً من فِضَّة، وَمَعارِجَ وهي الدَّرج[١]، والمعنى: وجعلْنا مَعَارجَ من فِضَّة، وكذلك ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾ أي من فِضَّة[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أي: يَعْلُون، يقال: ظَهَرْتُ على البيت إذا علوت سطحَه[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ وهو الذَّهب، والمعنى: ويجعل لهم مع ذلك ذهبًا وغنًى، ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ المعنى: لمتاع الحياة الدُّنيا، وما زائدةٌ.

وقَرَأَ عَاصِم، وحَمْزَة: ﴿لَمَّا﴾ بالتَّشديد[٤] فجعلاه بمعنى إلَّا، والمعنى: إنَّ ذلك يتمتع به قليلاً ثمَّ يزول.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خاصَّةٌ لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الزخرف: ٣٦-٤٠].

---

(١) من قوله: (فالمعنى: جعلنا لبيت كل واحد)... إلى هنا، سقط من (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٠-٤١١).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٧).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٨٦)، والحجة (٦/ ١٤٩)، والمبسوط (ص:٣٩٨)، والتيسير (ص:١٩٦)، والتحصيل (٦/ ٦٩).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يُعْرِض، قَالَهُ الضَّحَّاك عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ قَتَادَة، والفَرَّاء[1]، والزَّجَّاج[2].

والثَّاني: يَعْمَ، رُوِيَ عَن ابن عبَّاس أيضاً، وبه قَالَ عَطَاءُ، وابنُ زيد.

والثَّالِث: أنَّه البَصَر الضعيف، حكاه الماوَرْدِيّ[3].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: تُظْلِمْ عينُه عنه[4].

وَقَالَ الفَرَّاء: من قرأ: «يَعْشُ» ، فمعناه: يُعْرِض، ومن نصب الشِّينَ، أراد: يَعْمَ عنه[5].

قَالَ ابنُ قُتَيْبَة: لا أرى القولَ إلَّا قولَ أبي عبيدة، ولم نَرَ أحداً يجيز «عَشَوْتُ عَن الشيء»: أعرضتُ عنه، إنَّما يقال: «تَعاشَيْتُ عَن كذا»، أي: تغافلتُ عنه، كأنِّي لم أَرَهُ، ومثله: تعامَيْتُ، والعرب تقول: «عَشَوْتُ إلى النار»: إذا استدلَلْتَ إليها ببصرٍ ضعيف، قَالَ الحطيئة[6]: [من الطويل]

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١١) وقوله فيه: «أي من يَعْمَ عن ذكر الرَّحْمٰنِ».

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٢٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٤).

(٥) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٢).

(٦) البيت للحطيئة في غريب القرآن (ص:٣٩٨)، وغريب الحديث (٢/ ٥٥٦) كلاهما لابن قتيبة، وإصلاح المنطق (ص:١٤٨)، والعين (٢/ ١٨٧)، وتهذيب اللغة (٣/ ٣٧)، والصحاح (٦/ ٢٤٢٧)، والمحكم (٢/ ٢٨٦)، ولسان العرب (١٥/ ٥٧)، وتاج العروس (٣٩/ ٤٤).

مَتَـى تَأْتِـهِ تَعْشُـو إِلى ضَـوْءِ نَـارِهِ      تَجِـدْ خَـيْرَ نَـارٍ عِنْدَهَـا خَـيْرُ مُوقِـدِ

ومنـه حديـث ابـن المسيَّب: «أن إحـدَى عينَيْـه ذهبـتْ، وهـو يَعْشُـو بالأُخـرى»[١]، أي: يُبْـصِر بهـا بـصَراً ضعيفـاً[٢].

قـال المفَـسِّرُون: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فلـم يَخَـفْ عِقابَـه ولم يَلْتَفِـتْ إلى كلامِـه؛ نقيِّـضْ لـه أي: نسـبِّب لـه شَـيطاناً فنجعـلُ ذلـك جـزاءَه فهـو لـه قَرِيـنٌ لا يفارقـه.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعنـي الشَّـياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ يعنـي الكافريـن، أي: يمنعونهـم عَـن سَـبيلِ الهـدى وإِنَّـما جمـع، لأن «مَـنْ» في مذهـب جمـع، ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ يعنـي كفَّـار بنـي آدم ﴿أَنَّهُم﴾ عـلى هـدىً. [٧١٣/ ب]

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾.

وقَـرَأَ أبُـو عَمْـرٍو، وحَمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ، وحَفْـصٌ عَـن عَاصِـم: ﴿جَآءَنَا﴾ واحـدٌ، يعنـي الكافـر.

وقَـرَأَ ابـن كَثِـيرٍ، ونَافِـعٌ، وابـن عَامِـر، وأبـو بكـرٍ عَـن عَاصِـم: «جاءانـا» بألفـين عـلى التثنيـة[٣]، يعنـون الكافـرَ وشـيطانه.

---

(١) رواه الخرائطي في اعتـلال القلـوب (٢١٥)، وأبـو نعيـم في حليـة الأوليـاء (٢/ ١٦٦) مـن روايـة عـلي بـن زيـد، عـن سـعيد بـن المسيب قـال: «مـا أيـس الشـيطان مـن نبي قـط إلا أتـاه مـن قبـل النسـاء، ثـمَّ قَـالَ وهـو ابـن تسـع وثمانـين سـنة وقـد ذهبـت إحـدى عينيـه وهـو يعشـو بالأخـرى: ومـا شيء أخـوف عنـدي مـن النسـاء».

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٨٦)، والحجة (٦/ ١٥٠)، والمبسوط (ص:٣٩٩)، والتحصيل (٦/ ٧٠).

وجاء في التفسير أنَّهما يُجعلان يومَ البَعثِ في سلسلةٍ، فلا يفترقان حتَّى يُصيِّرَهما الله إلى النَّار، قَالَ الكافر للشيطان: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ أي: بُعْدَ ما بين المَشْرِقَيْن.

وفيهما قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّهما مَشْرِقُ الشَّمس في أقصرِ يوم في السنة، ومَشْرِقُها في أطول يوم، قَالَهُ ابن السَّائب، ومُقَاتِل[١].

والثَّاني: أنَّه أراد المَشْرِقَ والمَغْرِب، فغلَّب ذِكْر المَشْرِق، كما قالوا: سُنَّة العُمَرَيْن، يريدون: أبا بكرٍ وعمر، وأنشدوا من ذلك[٢]: [من الطويل]

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ ... لَنَا قَمَرَاهَا والنُّجُومُ الطَّوالِعُ

يريد: الشَّمس والقمر، وأنشدوا[٣]: [من البسيط]

فَبَصْرَةُ الأَزْدِ مِنَّا والعِراقُ لَنَا ... والمَوْصِلانِ ومِنَّا مِصْرُ والحَرَمُ

يريد: الجزيرة والموصل، وهذا اختيار الفَرَّاء[٤]، والزَّجَّاج[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٩٥).

(٢) البيت للفرزدق في شمس العلوم (١/ ٢٨٥)، ولسان العرب (١٥/ ١٠٧)، والحيوان (٣/ ١٢٢)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ١١٩)، وأسرار البلاغة (ص:٣١٥)، وأمالي ابن الشجري (١/ ١٩).

(٣) البيت بلا نسبة في الزاهر (١/ ٥٠٤)، والصحاح (٥/ ١٨٤٣)، ولسان العرب (١١/ ٧٣٠)، وتاج العروس (٣١/ ٨٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أي: أنتَ أيُّها الشَّيطان.

ويقول الله ﷻ يومئذ للكفَّار: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي: أشركتم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لن ينفعكُم الشَّركة في العذاب؛ لأنَّ لكلٍّ واحدٍ منه الحظُّ الأوفر.

قال المبرِّد: منعوا روح التأسّي؛ لأنَّ التأسّي يسهل المصيبة، وأنشد للخَنسَاء أخت صَخر بن مالك في هذا المعنى[1]: [من الوافر]

ولَوْلا كَثْرَةُ الباكينَ حَوْلِي ... على إِخْوانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وما يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي ولكِنْ ... أُعَزِي النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأسِّي

وقَرَأ ابن عَامِر: «إِنَّكم» بكسر الألف[2].

ثمَّ أخبر عنهم بما سَبَقَ لهم من الشَّقاوة بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ الآية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[الزخرف: ٤١-٤٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾.

قال أبو عُبَيْدَة: معناها: فإنْ نَذْهَبَنَّ[3].

---

(١) البيتان للخنساء في الصناعتين (ص:٢٢١)، وشرح ديوان الحماسة (ص:٦٠١)، ونهاية الأرب (٥/ ١٧٩)، وشرح مقامات الحريري (٣/ ١٦٨).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٨٦)، والحجة (٦/ ١٥٥)، والمحرر الوجيز (٥/ ٥٦)، والتحصيل (٦/ ٧٠).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٤).

وَقَالَ الزَّجَّاج: دَخَلَتْ «ما» توكيداً للشَّرط، ودخلت النُّون الثَّقيلة في «نَذْهَبَنَّ» توكيدًا أيضاً، والمعنى: إنَّا ننتقِمُ منهم إن تُوفِّيتَ أَوْ نُرِيَنَّكَ ما وَعَدْناهم ووعَدْناك فيهم من النَّصر[1].

قَالَ ابْنُ عبَّاس: ذلك يومَ بدر[2].

وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ مَنْسُوخٌ بآية السَّيف، ولا وجه له.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ أي: شرفٌ لَكَ بما أعطاك الله ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ في قومه ثلاثة أقوال:

**أحدها**: العرب قاطِبَة.

**والثَّاني**: قريش.

**والثَّالِث**: جميع مَن آمن به.

وقد رَوَى الضَّحَّاك عَنِ ابنِ عبَّاس أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا سُئِلَ: لمن هذا الأمرُ من بعدك؟ لم يخبر بشيءٍ، حتَّى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سُئِلَ قال: «لِقُرَيْشٍ»[3]، وهذا يدلُّ على أنَّ النَّبيَّ ﷺ فَهِمَ من

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٣).

(٢) رواه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٧/ ٣٨٠).

(٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣٣٦) من رواية الضحاك، عن ابن عبَّاس. قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة، ويعدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟، أمسك، فلم يخبرهم بشيء، لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نزل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾. فكان بعد ذلك إذا سئل، فقال: «القريش»، فلا يجيبونه،=

هـذا أنَّـه يـلي عـلى المسـلمين بحُكـم النبـوَّة وشرف القُـرآن، وأنَّ قَومَـه يخلفونـه مـن بعـده في الولايـة لـشَرَفِ القـرآن الـذي أُنْـزِلَ عـلى رجـلٍ منهـم.

ومَذْهَـبُ مُجاهِـد أنَّ القـوم هاهنـا العـرب والقُـرآن شرف لهـم إذْ أُنْـزِلَ بلغتهـم. [٧١٤/أ]

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: إنَّما وضع الذِّكر موضع الشَّرف لأنَّ الشَّريف يذكر[1].

وفي قوله: ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: عَن شُكْرِ ما أُعطِيتُم من ذلك.

والثَّاني: عمَّا لزمكم فيه من الحقوق.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ

=وقبلته الأنصار على ذلك.

وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٧/ ٣٨٠) لابـن عـدي وابـن مردويـه، وذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٤/ ٧٤)، والتفسـير البسـيط (٢٠/ ٥٠).

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٩٥).

عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾[الزخرف: ٤٥-٥٦].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ إن قيل: كيف يَسْأَلُ الرُّسل وقد ماتوا قبله؟ **فعنه ثلاثة أجوبة:**

**أحدها:** أنَّه لمَّا أُسْرِيَ به جمع له الأنبياء فصلَّى بهم، ثمَّ قَالَ له جبريل: سَلْ مَنْ أرسلنا قبلك الآية، فقال: لا أسأل، قد اكتفيت[١]، رواه عَطَاء عَنِ ابنِ عبَّاس.

وهذا قَول سَعيد بنِ جُبَير، والزُّهري، وابن زيد، قالوا: جمع له الرُّسل ليلة أُسْرِيَ به، فلقيهم، وأُمِرَ أن يسألهم، فما شَكَّ ولا سأل[٢].

**والثَّاني:** أنَّ المراد: اسْأَلْ مُؤمِنِي أهل الكِتَاب من الذين أَرْسَلْتُ إليهم الأنبياء، رُوِيَ عَن ابنِ عبَّاس، والحسن، ومُجاهِد، وقَتَادَة، والضَّحَّاك، والسُّدِّيّ في آخرين.

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِي: والمعنى سَلْ أتباع مَن أرسلنا قبلك كما تقول: السَّخاء حاتم، أي: سخاء حاتم، والشِّعر زهير، أي: شعر زهير.

وعند المفَسِّرين أنَّه لم يسأل على القولين.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٧٥)، والتفسير البسيط (٢٠/ ٥٣)، ومكي في الهداية (١٠/ ٦٦٦٩).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٧٥)، والتفسير البسيط (٢٠/ ٥٣).

وَقَالَ الزَّجَّاج: هـذا سؤال تقريرٍ فإذا سأل جميعَ الأمم لم يأتوا بأن في كتبهم: أنِ اعبدوا غيري(١).

**والثَّالِث**: أنَّ المرادَ بخطاب النَّبيِّ ﷺ خطاب أمَّته، فيَكُون المعنى: سَلُوا، قَالَهُ الزَّجَّاج(٢).

وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بها وتكذيبًا.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ يعني: ما ترادف عليهم من الطُّوفان والجَراد والقمَّل والضَّفادع والدَّم والطمس، فكانت كلُّ آية أكبر من التي قبلها وهي العذاب المذكور في قوله: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ فكانت عذابًا لهم ومعجزات لموسى عليه السلام.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ في خطابهم له بهذا ثلاثة أقوال:

**أحدها**: أنَّهم أرادوا يا أيُّها العالم، وكان السَّاحر فيهم عظيمًا، رواه أبو صَالِح عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: أنَّهم قالوه على جهة الاستهزاءِ، قَالَهُ الحسن.

**والثَّالِث**: أنَّهم خاطبوه بما تقدَّم له عندهم من التَّسمية بالسَّاحر، قَالَهُ الزَّجَّاج(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٤).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنـون بـكَ فدَعـا موسـى فكَشَـفَ عنهـم فلـم يؤمنـوا.

وقد ذكرنا ما تركناه هاهنا في الأعراف(١).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيَ﴾ أي: مـن تحتِ قصـوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتـي وشـدَّة مُلكي.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾.

قال أَبُو عُبَيْدَة: أراد: بَلْ أنا خَيْرٌ(٢).

وحكـى الزَّجَّـاج عَـن سـيبويه والخليـل أنَّهـا قـالا: عطـف ﴿أَنَا۠﴾ بــ﴿أَمْ﴾ عـلى ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ فكأنَّـه قـال: أفـلا تُبْـصِرون أم أنتـم بُـصَراء؟! لأنَّهُـم إذا قالـوا: أنـتَ خـيرٌ منـه، فقـد صـاروا عنـده بُـصَراءَ.

قال الزَّجَّاج: والمَهِينِ: القليلُ، يقال: شيء مَهِين، أي: قليل(٣).

وَقَالَ مُقَاتِل: «مَهِين» بمعنى ذليلٌ ضعيفٌ(٤).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أشار إِلى عُقدة لسانِه التي كانت به ثمَّ أذهبها الله عنه، فكأنَّه عيَّره بشيءٍ قد كانَ وَزَالَ، ويدلُّ على زواله قَولُهُ تَعَالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦] وكان في سؤاله ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٣٥).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٥).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٩٧).

وَقَالَ بعضُ العلماء: ولا يكاد يُبِين الحُجَّةَ ولا يأتي ببيانٍ يُفْهم.

﴿فَلَوْلَآ﴾ أي فهلّا ﴿أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾. [٧١٤/ ب]

وقَرَأَ حَفْص عَن عَاصِم: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ بغير ألف[١].

قال الفَرَّاء: واحدُ الأساوِرَة إسْوار، وقد تَكُون الأسَاوِرة جمع أَسْوِرة، كما يقال في جمع الأسْقِية: الأساقي، وفي جمع الأكْرُع: الأكارع[٢].

وَقَالَ الزَّجَّاج: يصلُح أن تَكُون الأسَاوِرة جمع الجمع، تقول: أَسْوِرَة وأَساوِرة، كما تقول: أَقْوَال وأقاويل، ويجوز أن تَكُون جمع إسْوار، وإنَّما صرفتَ أساوِرة، لأنك ضممتَ الهاء إلى أساوِر، فَصَار اسماً واحداً، وصار له مثال في الواحد، نحو «علانية»[٣].

قال المفَسِّرون: إنَّما قَالَ فرعون هذا، لأنَّهُم كانوا إذا سَوَّدوا الرجل منهم سوَّروه بِسِوار.

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: متتابعين، قَالَهُ قَتَادَة.

والثَّاني: يَمْشُون معه، قَالَهُ الزَّجَّاج[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨٧)، والحجة (٦/ ١٥١)، والمبسوط (ص:٣٩٩)، والتيسير (ص:١٩٧)، والتحصيل (٦/ ٨٦)، والمحرر الوجيز (٥/ ٥٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٥-٤١٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ ﴾.

قال الفَرَّاء: اسْتَفَزَّهم[١].

وَقَالَ غيره: استخفَّ أحلامَهم وحملهم على خفَّة الحلم بكَيدِه وغُرُوره ﴿فَأَطَاعُوهُۚ﴾ في تكذيب موسى.

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ قَالَ ابن عبَّاس: أغضبونا[٢].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: الأَسَف: الغَضَب، يقال: أَسِفْتُ آسَفُ أَسَفاً، أي: غَضِبْتُ[٣].

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا ﴾ أي: قومًا تقدَّموا.

وقرأها أبو هريرة، وسعيد بن جبير، ومُجَاهِد، وحميد الأعرج: «سُلَفاً» بضمِّ السِّين وفتح اللام[٤]، كأنَّ واحدتَه سُلْفَةٌ من النَّاس، مثل القِطعة، يقال: تقدمتْ سُلْفَةٌ من النَّاس، أي: قِطعة منهم.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «سُلُفاً» بضمِّ السِّين واللام[٥]، وهو جمع «سَلَف»، كما قالوا: خَشَب وخُشُب، وثَمَر وثُمُر، ويقال: هو جمع سَلِيفٍ، وكلُّه من التقدُّم.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٥٠)، (١٦/ ١٣١)، (٢٠/ ٦١٧) من رواية العوفي، عن ابن عبَّاس به.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٩٩).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٦) نسبه لمجاهد، وحميد، وفي التحصيل (٦/ ٨٦) نسبه لعلي وغيره، وفي المحرر الوجيز (٥/ ٦٠) نسبها لعلي بن أبي طالب وحميد الأعرج.

(٥) انظر: السبعة (ص:٥٨٧)، والحجة (٦/ ١٥٢)، والمبسوط (ص:٣٩٩)، والتيسير (ص:١٩٧)، والتحصيل (٦/ ٨٦).

وَقَالَ الزَّجَّاج: السَّلِيف جمعٌ قد مَضَى، والمعنى: جعلْناهم سَلَفاً متقدِّمين لِيَتَّعِظَ بهم الآخرون(١).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمَثَلًا﴾ أي: عِبْرَةً وعِظَةً.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[الزخرف: ٥٧-٦٦].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أكثر المفسِّرين على أنَّ هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزِّبعرى رسُولَ الله ﷺ حين نزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الأنبياء:٩٨]، وقد شرحنا القصة في سورة الأنبياء(٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (١٠١).

والمشركـون هُمُ الذين ضَربوا عيسـى مَثَـلاً لآلهتهم وشـبَّهوه بها، لأنَّ تلك الآيـة إنَّـما تضمَّنـت ذِكْـر الأصنـام، لأنَّهـا عُبِـدَتْ مِـنْ دون الله، فألزموه عيسـى، وضربـوه مَثَـلاً لأصنامهـم، لأنَّه مَعبـود النصـارى، والمراد بقومـه: المشركون.

فأمَّا ﴿يَصِدُّونَ﴾.

فقَرَأَ ابن عَامِرٍ، ونَافِعٌ، والكِسَائِيّ: بضمِّ الصَّاد، وكَسَرَها الباقون[1].

قـال الزَّجَّـاج: ومعناهمـا جميعـاً: يَضِجُّـون، ويجـوز أن يَكُـون معنـى المضمومـة: يُعْرِضـون[2].

وَقَـالَ أَبُـو عُبَيْـدَة: مـن كَـسَرَ الصّـاد، فمجازهـا: يَضِجُّـون، ومـن ضمَّها، فمجازهـا: يَعْدِلون[3].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ المعنـى: ليسـت خـيرًا منـه فـإن كان في النَّـار لأنَّـه عُبـد مـن دون الله فقـد رضينـا أن تَكُـون آلهتنـا بمنزلتـه.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ أي: مـا ذكـروا عيسـى إلَّا ليُجادلـوك بـه لأنَّهـم قـد علمـوا أنَّ المـراد بـحَصَب جهنَّـم مـا اتخـذوه مـن المـوات.

﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: أصحابُ خُصُومات.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨٧)، والحجة (٦/ ١٥٣)، والمبسوط (ص:٣٩٩)، والتيسير (ص:١٩٧)، والتحصيل (٦/ ٨٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٦).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٥).

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا﴾ أي: آية وعِبْرة ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعرفون به قدرة الله على ما يريد إذ خلقه من غير أب.

ثمَّ خاطَبَ كفَّار مكَّةَ، فقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّ المعنى لجعلنا بدلاً منكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾.

ثمَّ في معنى ﴿يَخْلُفُونَ﴾ ثلاثة أقوال: [١٥/٧أ]

أحدها: يخلُفُ بعضُهم بعضًا، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: يخلفونكم ليكُونوا بدلاً منكم، قَالَهُ مُجَاهِد.

والثَّالِث: يخلفون الرُّسل فيكُونون رُسُلاً إليكم بدلاً منهم، حَكَاه الماوَرْديّ[١].

والقول الثَّاني: أنَّ المعنى: ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكةً أي: قلبنا الخلقةَ فجعلنا بعضَكم ملائكةً يخلفون من ذهب منكم، ذكره الماوَرْدِيّ[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ في هاء الكناية قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها ترجع إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثمَّ في معنى الكلام قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: نزول عيسى من أشراط السَّاعة يعلم به قربها، وهذا قول ابن عبَّاس ومُجَاهِد وقَتَادَة والضَّحَّاك والسُّدِّيّ.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٣٥).

(٢) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٣٥).

والثَّـاني: أنَّ إحيـاء عيسـى الموتـى دليـلٌ عـلى السَّـاعة وبعـث الموتـى، قَالَـهُ ابـن إسـحاق.

والقول الثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى القرآن، قَالَهُ الحسَن وسعيد بن جبير.

وقَرَأ الجمهور: ﴿لَعِلْمٌ﴾ بكسر العين وتسكين اللام[1].

وقَـرَأ ابـن عبَّـاس وأبـو رزيـن وأبـو عبـد الرحمـن وقَتَـادَة وحميـد وابـن مُحَيْصـنٍ بفتحهـا[2].

قَـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـة: مـن قَـرَأ بكسـر العـين، فالمعنـى: أنَّـه يُعلـم بـه قُـرب السَّـاعة، ومـن فتـح العـين والـلام فإنَّـه بمعنـى العلامـة والدَّليـل[3].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: فـلا تشـكُّنَّ فيهـا ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ عـلى التوحيـد ﴿هَٰذَا﴾ الـذي أنـا عليـه ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قد شرحنا هذا في البقرة[4].

﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ وفيها قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: النبوَّة، قَالَهُ عَطَاء والسُّدِّيّ.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦١)، والتحصيل (٦/ ٨٧).

(٢) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٣٦) نسبها لأبي هريـرة، وابـن عبَّـاس، وقَتَـادَة، والضحـاك، وجماعـة، وفي التحصيـل (٦/ ٨٧) نسـبها لأبي هريـرة، وابـن عبَّـاس، وفي المحـرر الوجيـز (٥/ ٦١) نسـبها لابـن عبَّـاس وأبي هريـرة وقَتَـادَة وأبي هنـد الغفـاري ومجاهـد وأبي نـضرة ومالـك بـن دينـار والضحـاك.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٠).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٨٧).

والثَّاني: الإنجيل، قَالَهُ مُقَاتِل[١].

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: من أَمْرِ دينكم.

وَقَالَ مُجَاهِد: بعض الذي تختلفون فيه من تبديل التوراة[٢].

وَقَالَ ابن جرير: من أحكام التوراة[٣].

وقد ذهب قومٌ إلى أن البعض هاهنا بمعنى الكل، وقد شرحنا ذلك في حم المؤمن[٤].

قال الزَّجَّاج: والصحيح أن البعض لا يَكُون في معنى الكل، وإنما بيَّن لهم عيسى بعض الذي اختلفوا فيه مما احتاجوا إليه[٥].

وقد قَالَ ابن جرير: كان بينهم اختلاف في أمر دينهم ودنياهم فبيَّن لهم أمر دينهم فقط[٦].

وما بعد هذا قد سَبَقَ بيانه[٧] إلى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ يعني كفَّار مكَّة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٦٣٦) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٥٩٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٦٣٦).

(٤) انظر: تفسير سورة غافر الآية رقم (٢٨).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٦٣٦-٦٣٧).

(٧) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٧٥)، وسورة مريم الآية رقم (٣٧).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[الزخرف: ٦٧-٧٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ أي: في الدُّنيا ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ أي: في القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لأنَّ الخلَّة إذا كانت في الكفر والمعصية صارت عداوةً يوم القيامة.

وَقَالَ مُقَاتِل: نزلت في أميَّة بن خلف وعُقبة بن أبي معيط(١).

﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني الموحِّدين، فإذا وقع الخوف يوم القيامة نادى منادٍ ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ فيرفع الخلائق رؤوسهم فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ فينكس الكفَّار رؤوسهم.

قَرَأَ نَافِعٌ، وأَبُو عَمْرٍو، وابنُ عَامِرٍ، وأبو بكر عَن عَاصِم: «يا عبادي» بإثبات الياء في الحالين وإسكانها، وحَذَفَها في الحالين ابنُ كَثِير، وحَمْزَة، والكِسَائِيّ، وحَفْص، والمفضل عَن عَاصِم، وخَلَف(٢).

وفي أزواجهم قَوْلان:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٨٨)، والحجة (٦/ ١٥٧)، والمبسوط (ص:٤٠٠)، والتيسير (ص:١٩٧).

**أَحَدُهُمَا**: زوجاتهم.

**والثَّاني**: قرناؤهم.

وقد سبق معنى ﴿تُحْبَرُونَ﴾[١].

**قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: واحدها صَحْفَة، وهي القَصْعَة، والأكواب، واحدها كُوب، وهو إناء مستدير لا عُرْوَةَ له[٢].

قال الفَرَّاء[٣]: الكُوب: الكوز المستدير الرَّأس الذي لا أُذُن له. [٧١٥/ ب]

وَقَالَ عدي[٤]: [من البسيط]

متَّكِئاً تُصْفَقُ أبوابُه يسْعَى عَلَيْهِ العبْدُ بالكُوبِ

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: الأكواب: الأباريق التي لا عُرى لها[٥].

وَقَالَ شيخنا أبو منصور اللُّغوي: وإنَّما كانت بغير عُرىً لِيَشرب الشَّارب من أين شاء، لأنَّ العُروة تَرُدُّ الشَّارب من بعض الجهات.

(١) انظر: تفسير سورة الروم الآية رقم (١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٧).

(٤) البيت لعدي بن زيد العبادي في ديوانه (ص ٦٧)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٣/ ٣٧)، ولسان العرب (١/ ٧٢٩) (كوب)، (١٠/ ٢٠٣) (صفق)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢١٧)، وتاج العروس (٤/ ١٨١) (كوب)، وشرح ديوان المتنبي (١/ ١٠٦)، وبلا نسبة في معجم ديوان الأدب (٣/ ٣١٣)، والصحاح (١/ ٢١٥).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٠).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾.

وقَرَأَ نَافِعٌ، وابنُ عَامِرٍ، وحَفْص عَن عَاصِم: ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ بزيادة هاءٍ، وحذفُ الهاء كإثباتها في المعنى[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ يقال: لَذِذْتُ الشيءَ، واسْتَلْذَذْتُه، والمعنى: ما من شيء اشتهتْه نَفْسٌ أو استلذَّتْه عينٌ إلَّا وهو في الجنَّة، وقد جمع الله تعالى جميع نعيم الجنَّة في هذين الوصفين، فإنَّه ما من نِعمةٍ إلا وهي نصيب النَّفْس أو العين، وتمام النَّعيم الخلودُ، لأنَّه لو انقطع لم تَطِب.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾ يعني التي ذكرها في قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾.

﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ قد شرحنا هذا في الأعراف[٢] عند قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤- ٨٣].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨٨)، والحجة (٦/ ١٥٨)، والمبسوط (ص:٣٩٩)، والتيسير (ص:١٩٧)، والتحصيل (٦/ ٨٧).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٤٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ أي: لا يُخَفَّف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ﴾ يعني في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: آيسُون من رحمة الله(١).

وقد شرحنا هذا في الأنعام(٢).

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ أي: ما عذَّبْناهم على غير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم بما جنوا عليها.

قال الزَّجَّاج: والبصريُّون يقولون: «هُم» هاهنا فصلٌ، كذلك يسمُّونها، ويسمِّيها الكوفيون: العِماد(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾.

وقَرَأَ عليّ بنُ أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وابنُ مسعود، وابن يعمر: «يا مالِ» بغير كافٍ مع كسر اللام(٤).

قال الزَّجَّاج: وهذا يسمِّيه النحويُّون: التَّرخيم، ولكنِّي أكرهها لمخالفة المصحف(٥).

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٠).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٤٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٩-٤٢٠).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٧) نسبها للنبي ﷺ، وعلي، وابن مسعود، وفي التحصيل (٦/ ٨٧) نسبها لعلي، وابن مسعود، وفي المحرر الوجيز (٥/ ٦٤) نسبها لابن مسعود، ويحيى، والأعمش، وعلي، وأبي الدرداء عن النبي ﷺ. وانظر: البحر المحيط (٩/ ٣٨٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢٠).

قال المفَسِّرُون: يدعون مالكًا خازِن النَّار فيقولون: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: لِيُمِتْنا، والمعنى: أنَّهُم توسَّلوا به ليسأَل الله تعالى لهم الموت فيستريحوا من العذاب، فيسكت عَنْ جوابهم مدَّة، فيها أربعة أقوال:

أحدها: أربعون عامًا، قَالَهُ عبد الله بن عمرو ومُقَاتِل[١].

والثَّاني: ثلاثون سَنَة، قَالَهُ أنس.

والثَّالِث: ألف سَنَة، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والرَّابعُ: مائة سنة، قَالَهُ كعب.

وفي سكوته عَن جوابهم هذه المدَّة قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه سَكَت حتَّى أوحى الله إليه أنْ أجبهم، قَالَهُ مُقَاتِل[٢].

والثَّاني: لأنَّ بُعْدَ ما بين النِّداء والجواب أخزى لهم وأذَلّ.

قال الماوَرْدِيُّ: فردَّ عليهم مالكُ فقال: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أي: مقيمون في العَذاب[٣].

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أرسلنا رُسُلَنا بالتوحيد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾.

قَالَ ابنُ عبَّاس: يريد كلَّكم ﴿كَٰرِهُونَ﴾ لما جاء به محمَّد ﷺ[٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠٣).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٣٩).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٨٢)، والتفسير البسيط (٢٠/ ٧٨).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرًا﴾ في «أم» قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها للاستفهام.

والثَّاني: بمعنى «بَلْ»، والإبرام: الإحكام.

وفي هذا الأَمْرِ ثلاثة أقوال:

أحدها: المَكْرُ برسول الله ﷺ ليقتلوه أو يُخرِجُوه حين اجتمعوا في دار النَّدوة. وقد سبق بيان القصَّة(١)، قَالَهُ الأكثرون.

والثَّاني: أنَّه إحكامُ أمرهم في تكذيبهم، قَالَهُ قَتَادَة.

والثَّالِث: أنَّه إبرامُ أمرٍ يُنجيهم منَ العذابِ، قَالَهُ الفَرَّاء(٢).

﴿فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾ أي: مُحكِمُونَ أمرًا في مجازاتهم.

﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ﴾ وهو ما يسرُّونه من غيرهم ﴿وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾ ما يتناجَون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾(٣) والمعنى: إنَّا نسمع ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ يعني من الحَفَظَة ﴿لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾. [٧١٦/أ]

﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ﴾ في «إنْ» قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها بمعنى الشَّرط، والمعنى: إن كان له ولدٌ في قَولكم وعلى زَعمِكُم.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٣٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٨).

(٣) ليست في الأصل، و(ر)، وقد أثبتناها لتمام المعنى.

فعلى هذا في قولِه: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾ أربعة أقوال:

**أحدها**: فأنا أوَّل الجاحدين، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عَن ابن عبَّاس.

وفي رواية أخرى عَن ابن عبَّاس: أن أعرابيَّين اختصَما إليه، فقال أَحَدُهُمَا: إِنَّ هذا كانت لي في يده أرضٌ فعبدنيها، فقَالَ ابْنُ عبَّاس: الله أكبر، فأنا أوَّل العابدين الجاحدين أنَّ لله ولدًا[١].

**والثَّاني**: فأنا أوَّل من عبد الله مخالفًا لقولكم، هذا قول مُجَاهِد.

وَقَالَ الزَّجَّاج: معناه إن كنتم تزعمون للرَّحمن وَلَدًا فأنا أوَّل الموحِّدين[٢].

**والثَّالِث**: فأنا أوَّل الآنفين لله ممَّا قلتم، قَالَهُ ابن السَّائب وأَبُو عُبَيْدَة[٣].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: يقال: عَبِدْتُ من كذا، أَعبَدُ عَبَداً، فأنا عبدٌ وعابدٌ.

قال الفرزدق[٤]: [من الطويل]

........................ وأَعْبَدُ أنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدارِمِ

أي: آنَفُ[٥].

(١) لم نقف عليه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢٠).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٦).

(٤) عجز بيت للفرزدق في تاج العروس (٨/ ٣٣٤) (عبد)، (عني)؛ وإصلاح المنطق (ص٥٠)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص:٤٠١)، وجمهرة اللغة (ص٢٩٩)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ٢٣٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٠٧)، وصدر البيت: «أولئك قومي إن هجوني هجوتهم».

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠١).

وأنشد أَبُو عُبَيْدَة[١]:

وأَعْبَـدُ أنْ أسُـبَّهُمْ بقَوْمِـي وأُوثِـرُ دَارِمـاً وبَنِـي رَزاحِ

**والرَّابِـعُ**: أنَّ معنـى الآيـة: كـما أَنِّي لسـتُ أَوَّل عابـدٍ لله، فكذلـك ليـس لـه ولَـدٌ، وهـذا كـما تقـول: إن كنـتَ كاتبـاً فأنَـا حَاسِـبٌ، أي: لسـتَ كاتبـاً ولا أنـا حاسِـبٌ، حَكَـى هـذا القَـول الواحِـدِيّ[٢] عَـن سـفيانَ بـن عُيَينـة.

**والقـول الثَّـاني**: أنَّ «إنْ» بمعنـى «مـا»، قَالَـهُ الحسَـنُ، ومُجَاهِـد، وابـن زيـد، فيَكُـون المعنـى: مـا كان للرَّحمـن ولـدٌ فأنـا أوّلُ مـن عَبَـدَ اللهَ عـلى يقـين أنَّـه لا وَلَـدَ لـه.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: الفاء على هذا القَول بمعنى الواو[٣].

قَولُـهُ تَعـالى: ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ يعنـي كفَّـار مكَّـة ﴿ يَخُوضُواْ ﴾ في باطلهـم ﴿ وَيَلْعَبُواْ ﴾ في دنياهـم ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ ﴾.

وقَـرَأَ أبـو المتَـوَكِّلِ وأبـو الجَـوزَاء وابـنُ مُحَيْصِـنٍ وأبـو جعفـر: «حتَّـى يَلْقَـوا» بفتـح اليـاء والقـاف وسـكون الـلام مـن غـير ألـفٍ[٤].

---

(١) الذي في مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (٢/ ٢٠٦): «قال الفرزدق:

أولئـك قـوم إن هجونـي هجوتهـم وأعبـد إن أهجـو عبيدًا بـدارم».

وقد سبق عزوه قريبًا، وأما البيت الذي أورده المؤلف؛ فلم نقف عليه!.

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٤/ ٨٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٦).

(٤) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٣٧)، والمحـرر الوجيـز (٥/ ٦٦) كلاهمـا نسـبها لأبي جعفـر، وابـن محيصـن، وفي التحصيـل (٦/ ٨٧) نسـبها لابـن محيصـن، وابـن القعقـاع.

والمراد: يلاقوا يوم القيامة، وهذه الآية عند الجمهور منسوخةٌ بآية السَّيف.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف: ٨٤-٨٩].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾.

قال مُجَاهِد وقَتَادَة: يُعبد في السَّماء ويُعبد في الأرض[١].

وَقَالَ الزَّجَّاج: هو الموحَّد في السَّماء وفي الأرض[٢].

وقَرَأ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عبَّاس، وابن السَّميفع، وأبو الجَوزاء، والجحدرِيُّ: «في السَّماء اللهُ وفي الأرض اللهُ» بألف ولام من غير تنوينٍ ولا همز فيهما[٣].

وما بعد هذا سبق بيانُه[٤] إلى قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ سبب نزولها: أنَّ النَّضرَ بنَ الحارِثِ ونفرًا معه قالوا: إن كان

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٩٥)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ٦٦٠) من رواية معمر، عن قَتَادَة به، ولم نقف عليه من كلام مجاهد.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢١).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٧) نسبها لعلي، وابن مسعود، ويحيى بن يعمر، واليماني وجماعة، وفي التحصيل (٦/ ٨٧) نسبها لعمر، وابن مسعود، وغيرهما.

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٤)، وسورة لقمان الآية رقم (٣٤).

ما يقول محمَّد حقًّا فنحن نتولَّى الملائكة فهم أحقُّ بالشَّفاعة من محمَّد، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ مُقَاتِل(١).

**وفي معنى الآية قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه أرادَ بالذين يدعون من دونه آلهتهم، ثمَّ استثنى عيسى وعُزَير والملائكة فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو أن يشهدَ أن لا إلهَ إلَّا الله ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهذا مذهب الأكثرين منهم قَتَادَة.

**والثَّاني:** أن المراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة الذين عبدهم المشركون بالله لا يملك هؤلاء الشفاعة لأحد ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾ أي: إلا لمن شَهِدَ ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ وهي كلمة الإخلاص ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ الله ﷻ [٧١٦/ ب] خلق عيسى وعزير والملائكة، وهذا مذهب قومٍ منهم مُجَاهِد.

وفي الآية دليلٌ على أنَّ شرط جميع الشَّهادات أن يَكُون الشَّاهد عالمًا بما يشهد به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾.

قال قَتَادَة: هذا نبيُّكم يشكو قَومَه إلى ربِّه(٢).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠٦).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٦٦٤) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٨٤).

وَقَالَ ابن عبَّاس: شَكَا إلى الله تخلُّفَ قَومِه عَن الإيمان[١].

قَرَأ ابنُ كَثِير، ونَافِع، وابن عَامِر، وأَبُو عَمْرٍو: «وقِيلَه» بنصب اللام[٢].

**وفيها ثلاثة أوجه:**

**أحدها**: أنَّه أضمرَ معها قَولاً، كأنَّه قال: وَقَالَ قِيلَه، وشَكَا شَكْوَاه إلى ربِّه.

**والثَّاني**: أنَّه عطفٌ على قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ وقِيلَه، فالمعنى: ونَسمعُ قِيلَه، ذَكَرَ القولين الفَرَّاءُ[٣] والأخفَشُ.

**والثَّالِث**: أنَّه منصوبٌ على معنى: وعنده عِلْم السَّاعة ويَعْلَم قِيلَه، لأنَّ معنى «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ»: يَعْلَم السَّاعة ويَعْلَم قِيلَه، هذا اختيار الزَّجَّاج[٤].

وقَرَأَ عَاصِمٌ وحَمْزَةُ: «وقِيلِهِ» بكسر اللام والهاء حتَّى تبلغ إلى الياء[٥]، والمعنى: وعنده عِلْم السَّاعة وعِلْمُ قِيلِه.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٨٤)، والتفسير البسيط (٢٠/ ٨٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٨٩)، والحجة (٦/ ١٥٩)، والمبسوط (ص:٤٠٠)، والتيسير (ص:١٩٧)، والتحصيل (٦/ ٨٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢١).

(٥) انظر: السبعة (ص:٥٨٩)، والحجة (٦/ ١٥٩)، والمبسوط (ص:٤٠٠)، والتيسير (ص:١٩٧)، والتحصيل (٦/ ٨٨).

وقَـرَأَ أبـو هريـرةَ وأبـو رزيـنٍ وسـعيدُ بـن جُبـير وأبـو رجـاء والجحـدري وقَتَـادَة وحميـد برفـعِ الـلام[١]، والمعنـى: ونـداؤه هـذه الكلمـة: يـا ربِّ، ذَكَـرَ عِلَّـة الخفـض والرفـع الفَـرَّاءُ[٢] والزَّجَّـاجُ[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: فأعرض عنهم.

﴿وَقُلۡ سَلَٰمٌ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** قُلْ خيرًا بدلاً من شرِّهم، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والثَّاني:** ارْدُدْ عليهم معروفًا، قَالَهُ مُقَاتِل[٤].

**والثَّالِث:** قُل ما تسلَمُ به من شرِّهم، حكاه الماوَرْدِيُّ[٥].

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** يعلمون عاقبةَ كفرهم.

**والثَّاني:** أنَّك صادقٌ.

**والثَّالِث:** حلول العذاب بهم، وهذا تهديدٌ لهم: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٧) نسبها لأبي قلابة، والحسن، وقَتَادَة، وفي التحصيل (٦/ ٨٨) نسبها لابن هرمز، وقَتَادَة، وغيرهما، وفي الكامل (ص:٦٣٤) نسبها لابن مقسم، والزعفراني، وقَتَادَة، وخارجة، وحميد.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢١).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠٧).

(٥) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٤٣).

وقَرَأَ نَافِعٌ، وابن عَامِر: «تعلمون» بالتَّاء[1].

ومَـن قَـرَأَ باليـاء، فعـلى الأمـر للنَّبـيِّ ﷺ بـأن يخاطبهـم بهـذا، قَالَـهُ مُقَاتِـل[2]، فنَسـخَتْ آيـةُ السَّـيف الإعـراض والسَّـلام.

(١) انظر: السبعة (ص:٥٨٩)، والحجة (٦/ ١٦١)، والمبسوط (ص:٤٠٠)، والتيسير (ص:١٩٧)، والتحصيل (٦/ ٨٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠٧).

## سورة الدخان

وهي مَكِّيَّة كلُّها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾[الدخان: ١-٩].

قَوله ﷻ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ قد تقدَّم بيانه[1] وجواب القَسَمِ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ والهاء كناية عَن الكِتَاب، وهو القرآن.

﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ وفيها قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّها ليلة القدر، وهو قول الأكثرين.

ورَوَى عكرمة عَن ابن عبَّاس قال: أُنزِلَ القرآن من عند الرحمن ليلة القدر جملةً واحدةً فوضِعَ في السَّماء الدنيا ثمَّ أُنْزِلَ نجومًا[2].

وَقَالَ مُقَاتِل: نَزَلَ القرآن كلُّه في ليلة القدر من اللَّوح المحفوظ إلى السَّماء الدنيا[3].

---

(١) انظر: تفسير سورة غافر الآية رقم (١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ١٩٠) من رواية عكرمة، عن ابن عبَّاس به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨١٧).

والثَّاني: أنَّها ليلة النِّصف من شعبان، قَالَهُ عكرمة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: مخوِّفين عِقَابنا.

﴿فِيهَا﴾ أي: في تلك الليلة ﴿يُفْرَقُ كُلُّ﴾ أي: يُفْصَلُ.

وقَرَأَ أبو المتوكِّل، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ: «يَفرِقُ» بفتح الياء وكسر الراء «كُلَّ» بنصب اللام[١].

﴿أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: مُحْكَم.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: يُكتَب من أُمِّ الكِتَاب في ليلة القَدر ما هو كائنٌ في السَّنة من الخير والشرِّ والأرزاق والآجال، حتَّى الحاج، وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى[٢].

وعلى ما رُوِيَ عَن عكرمة أنَّ ذلِكَ في ليلة النصف من شعبان[٣]، والروايةُ عنه بذلك مضطربةٌ قد خُولِفَ الراوي لها، فروي عَن عكرمة [٧١٧/أ]
أنَّه قالَ: في ليلة القَدْر[٤]، وعلى هذا المفسِّرُون.

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٠) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس بلفظ: «إن الرجل ليمشي في الناس وقد رُفع في الأموات» قال: ثمَّ قرأ هذه الآية، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٩٩) لمحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: «يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان».

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٩) من رواية محمد بن سوقة، عن عكرمة به.

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٠٢) من رواية محمد بن سوقة، عن عكرمة به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾.

قال الأخْفَش: «أمراً» و «رحمةً» منصوبان على الحال، المعنى: إنَّا أنزَلْناه آمِرين أمراً وراحمين رحمةً[(١)].

قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أن يَكُون منصوباً بـ «يُفْرَقُ» بمنزلة يُفْرَقُ فَرْقاً، لأنَّ «أمراً» بمعنى «فَرْقاً»[(٢)].

قال الفَرَّاء: ويجوز أن تُنصب الرَّحمة بوقوع «مرسلين» عليها، فتكُون الرحمة هيَ النَّبي ﷺ[(٣)].

وَقَالَ مُقَاتِل: «مرسِلين» بمعنى منزِلين هذا القُرآن، أنزلناه رحمةً لمن آمن به[(٤)].

وَقَالَ غيره: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ أي: إنَّا نأمر بنَسخ ما يُنسخ من اللَّوح.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الأنبياء، رَحْمَةً منَّا بخلقنا.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

قَرَأَ ابنُ كَثِير ونَافِعٌ وأَبو عَمْرو وابن عَامِر: «ربُّ» بالرفع.

وقَرَأَ حَمْزَةُ والكِسَائِيّ وأبو بكر عَن عَاصِم: «ربِّ» بكسر الباء[(٥)].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٥١٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٣٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨١٨).

(٥) انظر: السبعة (ص:٥٩٢)، والحجة (٦/ ١٦٤)، والمبسوط (ص:٤٠١)، والتحصيل (٦/ ١٠٢).

وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ بَلْ هُمْ ﴾ يعني الكُفَّار ﴿ فِي شَكٍّ ﴾ مما جئناهم به ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ يهزؤون به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[الدخان: ١٠-١٦].

﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ أي: فانتظر ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾.

**اختلفوا في هذا الدُّخان ووقته على ثلاثة أقوال:**

**أحدها**: أنَّه دخانٌ يجيء قبل قيام السَّاعة، فروي عَن ابن عبَّاس عَن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ الدُّخَانَ يَجِيءُ فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ**»[1].

وروى عبدُ الله بن أبي مليكة قال: غَدَوتُ على ابن عبَّاس ذاتَ يوم، فقال: ما نمتُ الليلةَ حتَّى أصبحتُ، قلت: لِمَ؟ قال: طلع الكوكب ذو الذَّنَب، فخشيتُ أن يطرُقَ الدخان[2]، وهذا المعنى مرويٌّ عَن عليٍّ، وابن عمر، وأبي هريرة، والحسن.

---

(١) لم نقف عليه عن ابن عبَّاس لا مرفوعًا ولا موقوفًا!.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٠٥)، والطبري (٢١/ ١٨) من رواية ابن جريج، عن ابن أبي مليكة به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٠٧) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم بسند صحيح.

والثَّاني: أنَّ قريشاً أصابهم جوعٌ، فكانوا يرون بينهم وبين السَّماء دخانًا من الجوع.

فروى البخاريُّ ومسلم في «الصحيحين» من حديثِ مسروقٍ، قال: كنَّا عند عبد الله، فدخل علينا رجلٌ، فقال: جئتُكَ من المسجدِ وتركتُ رَجُلاً يقول في هذه الآية ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: يغشاهم يومَ القيامة دخانٌ يأخذ بأنفاسهم حتَّى يصيبَهم منه كهيئة الزُّكام، فقال عبد الله: من عَلِم عِلْماً فلْيَقُل به، ومَن لم يَعْلَم فلْيَقُل: الله أعلم، إنَّما كان هذا لأنَّ قريشاً لَمَّا استعصت على النبيِّ ﷺ دعا عليهم بسنين كَسِنِي يوسف، فأصابهم قحطٌ وجهدٌ، حتَّى أكلوا العظام والميتةَ، وجعل الرجلُ ينظُر إلى السَّماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدُّخان من الجهد، فقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾، فكشف عنهم، ثمَّ عادوا إلى الكفرِ، فأخذوا يومَ بدر، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[1]، وإلى نحو هذا ذهب مُجاهِد وأبو العالية والضَّحَّاك وابنُ السَّائب ومُقَاتِل[2].

والثَّالِث: أنَّه يوم فتح مكَّة لَمَّا حُجِبَتِ السَّماءُ بالغبرة، حَكَاه الماوَرْدِيُّ[3].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ﴾ أي: يقولون: هذا عذاب.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٧٧٤)، ومسلم في صحيحه (٢٧٩٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨١٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٤٧).

﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: الجوع.

والثَّاني: الدُّخان.

﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ بمحمَّدٍ ﷺ والقرآن.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: من أينَ لهم التذكُّر والاتِّعاظ بعد نزول هذا البلاء وحالهم أنَّه ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهرُ الصِّدق. [٧١٧/ ب]

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ أي: أعرضوا ولم يَقْبَلُوا قوله ﴿وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ أي: هو معلَّمٌ يعلِّمه بشرٌ مجنونٌ بادِّعائه النبوَّة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي: زمانًا يسيرًا.

وفي العذاب قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: الضرّ الذي نَزَلَ بهم كُشِفَ بالخصب، هذا على قول ابن مسعود.

قال مُقَاتِل: كَشفه إلى يوم بدرٍ[١].

والثَّاني: أنَّه الدُّخان، قَالَهُ قَتَادَة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: إلى الشِّرك، قَالَهُ ابن مسعود.

والثَّاني: إلى عَذَاب الله، قَالَهُ قَتَادَة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨١٩).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾.

وقَرَأَ الحسَنُ، وابنُ يعمر، وأبو عمران: «يومَ تُبْطَشُ» بتاء مرفوعة وفتح الطَّاء، «البَطْشَةُ» بالرفع(١).

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: واذكر يومَ نَبْطِش، ولا يجوز أن يَكُون منصوباً بقوله: ﴿مُنتَقِمُونَ﴾، لأنَّ ما بعد «إنَّا» لا يجوزُ أن يعمل فيما قبلها(٢).

**وفي هذا اليوم قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** يوم بدرٍ، قَالَهُ ابن مسعود وأُبيُّ بنُ كعبٍ وأبو هريرةَ وأبو العَاليـة ومُجَاهِد والضَّحَّاك.

**والثَّاني:** يوم القيامة، قَالَهُ ابن عبَّاس والحسن.

والبَطْش: الأَخْذُ بقوَّة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾[الدخان: ١٧-٢٩].

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢٥).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا﴾ أي: ابتَلَينا ﴿قَبۡلَهُمۡ﴾ أي: قبلَ قَومِك ﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾ بإرسال موسى إليهم ﴿وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ﴾ وهو موسى بن عِمران.

وفي معنى ﴿كَرِيمٌ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: حَسَنُ الخُلُقِ، قَالَهُ مُقَاتِل[١].

والثَّاني: كريمٌ على ربِّه، قَالَهُ الفَرَّاء[٢].

والثَّالِث: شريفٌ وسيطُ النَّسب، قَالَهُ أبو سُلَيمان.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ﴾ أي: بأن أدُّوا.

﴿إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أدُّوا إليَّ ما أدعوكم إليه من الحقِّ باتِّباعي، رَوَى هذا المعنى العَوفي عَن ابن عبَّاس، فعلى هذا ينتصب ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ بالنِّداء.

قال الزَّجَّاجُ: ويَكُون المعنى: أن أدُّوا إلي ما آمركم به يا عبادَ الله[٣].

والثَّاني: أرسلوا معيَ بني إسرائيل، قَالَهُ مُجاهِد وقَتَادَة.

والمعنى: أطْلِقُوهم من تسخيركم وسلِّموهم إليَّ.

﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٤٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢٥).

أحدها: لا تَفْتَرُوا عليه، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: لا تعتوا عليه، قَالَهُ قَتَادَة.

والثَّالِث: لا تعظَّموا عليه، قَالَهُ ابن جُرَيج.

﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أي: بحُجَّة تدلُّ على صدقي.

فلمَّا قَالَ هذا تواعدوه بالقتل فقال: ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ﴾.

وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه رجمُ القَول، قَالَهُ ابن عبَّاس، فيَكُون المعنى: أن يقولوا: شاعرٌ أو مجنونٌ.

والثَّاني: القتل، قَالَهُ السُّدِّيّ.

﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾ أي: فاتركوني لا مَعِيَ ولا عَلَيَ.

فكفروا ولم يؤمنوا ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: مَن فتَح «أنَّ»، فالمعنى: بأنَّ هؤلاء، ومن كَسَرَ، فالمعنى: قال: إنَّ هؤلاء، و«إنَّ» بعد القول مكسورة[1].

وَقَالَ المفَسِّرون: المجرمون هاهنا: المشركون.

فأجاب اللهُ دعاءه وقال: ﴿فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا﴾ يعني بالمؤمنين ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتَّبعكم فرعونُ وقومُه، فأعلمهم أنَّهم يتبعونهم وأنَّه سيَكُون سببًا لغَرَقِهم.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢٦).

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكنًا على حَاله بعد أنِ انفَرَقَ لك ولا تأمره أن يرجِعَ كما كان حتَّى يدخله فرعونُ وجنودُه، والرَّهْو: مشيٌ في سُكون.

قال قَتَادَة: لما قطع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ البحرَ، عطف يضرب البحر بعصاه ليلتئم، وخافَ أن يتبعَه فرعون وجنوده فقيل له: واترك البحر رهوًا أي: كما هو طريقًا يابسًا[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أخبرَه الله عَزَّ وَجَلَّ بغرَقِهم ليطمئنَّ قلبُه في ترك البحر على حاله.

[٧١٨/أ] ﴿كَمْ تَرَكُوا۟﴾ أي: بعد غرقهم ﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾ وقد فسَّرنا الآية في الشُّعراء[2]، فأمَّا النَّعمة فهو العيش الليِّن الرَّغد، وما بعد هذا قد سبق بيانه[3] إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: على آلِ فرعون.

**وفي معناها ثلاثة أقوال:**

**أحدها: أنَّه على الحقيقة.**

رَوَى أنس بنُ مالكٍ عَن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا وَلَهُ فِي السَّمَاءِ بَابَانِ، بَابٌ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ، وَبَابٌ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ، فَإِذَا**

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨١٤) من رواية معمر، عن قَتَادَة به.

(٢) انظر: تفسير سورة الشعراء الآية رقم (٥٧).

(٣) انظر: تفسير سورة يس الآية رقم (٥٥).

مَـاتَ بَكَيَـا عَلَيْـهِ»، وتـلا هـذه الآيـة[١].

وَقَـالَ عـليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ المؤمـن إذا مـات بكـى عليـه مُصَـلَّاه مـن الأرض ومَصْعَـدُ عملـه مـن السَّـماء، وإن آل فرعـون لم يكـن لهـم في الأرض مصـلًّى ولا في السَّـماء مصعـد عمـل، فقـال الله تعـالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾[٢]، وإلى نحـو هـذا ذهـب ابـنُ عبَّـاس، والضَّحَّـاك، ومُقَاتِـل[٣].

وَقَالَ ابن عبَّاس: الحمرة التي في السَّماء بكاؤها[٤].

وَقَـالَ مُجَاهِـد: مـا مـات مؤمـن إلَّا بكـت عليـه السَّـماء والأرض أربعـين صباحًـا، فقيـل لـه: أو تبكـي؟ قـال: ومـا لـلأرض لا تبكـي عـلى عبـدٍ كان يعمرهـا بالرُّكـوع والسُّـجود؟ ومـا للسـماء لا تبكـي عـلى عبـدٍ كان لتسـبيحه وتكبـيره فيهـا دَوِيٌّ كـدَوِيِّ النحـل[٥]؟.

---

(١) رواه الترمـذي في سـننه (٣٢٥٥) مـن روايـة موسـى بـن عبيـدة، عـن يزيـد بـن أبـان الرقاشي، عـن أنـس بـن مالـك بـه.
قـال الترمـذي: «هـذا حديـث غريـب لا نعرفـه مرفوعًـا إلا مـن هـذا الوجـه، وموسـى بـن عبيـدة، ويزيـد بـن أبـان الرقـاشي يُضعَّفـان في الحديـث».

(٢) رواه ابـن المبـارك في الزهـد والرقائـق (٣٣٦)، وابـن الجعـد في مسـنده (٢٣٠٥)، وأبـو داود في الزهـد (١٠٧)، ومحمـد بـن نـصر المـروزي في تعظيـم قـدر الصـلاة (٣٢٧)، وعبـد بـن حميـد، وابـن أبي الدنيـا، وابـن المنـذر كـما في الـدر المنثـور (٧/ ٤١٣) مـن روايـة المسيب بـن رافـع، عـن عـلي بـه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢٢).

(٤) لم نقـف عليـه مـن كلام ابـن عبَّـاس، وإنـما مـن كلام عطـاء، كـما عنـد الطـبري في تفسـيره (٢١/ ٤١) مـن روايـة ابـن جريـج، عـن عطـاء قـال: «بكاؤهـا حمـرة أطرافهـا».

(٥) رواه عبد بن حميد، وأبو الشيخ في العظمة كما في الدر المنثور (٧/ ٤١٢).

والثَّاني: أنَّ المراد أهل السماء وأهل الأرض، قَالَهُ الحسن.

ونظيرُ هذا قَولُهُ تَعَالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤] أي: أهل الحرب.

والثَّالث: أنَّ العرب تقول إذا أرادت تعظيم مهلك عظيم: أظلمت الشَّمس له وكَسَفَ القمرُ لفقده، وبَكَتْهُ الرِّيح والبرق والسَّماء والأرض، يريدون المبالغة في وصف المصيبة، وليس ذلك بكذبٍ منهم، لأنَّهُم جميعًا متواطئون عليه، والسَّامع له يعرف مذهبَ القائل فيه ونيتهم في قولهم: أظلمت الشَّمس كادت تُظْلِمُ وكَسَفَ القمر كاد يكسف. ومعنى كاد: همَّ أن يفعل ولم يفعل.

قَالَ ابْنُ مفرغٍ يرثي رجلاً[١]: [من مجزوء الكامل]

الرِّيحُ تَبكِي شَجْوَهُ والبَرْقُ يَلْمَعُ في غَمَامَهْ

وَقَالَ الآخرُ[٢]: [من البسيط]

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

(١)البيت لابن مفرغ في ديوانه (ص٢٠٨)، وغريب الحديث؛ للحربي (١/ ٧٧)، ولسان العرب (١٠/ ٤٢٠) (درك)، وبلا نسبة في الصاحبي (ص:١٨١)، والأضداد (ص:٤٢٤)، والزاهر (١/ ٢٨٤).

(٢)البيت لجرير في ديوانه (ص ٧٣٦)، وغريب الحديث؛ للحربي (١/ ١٧٣)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٩٧)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٤٦)، وأساس البلاغة (١/ ٧٣)، والأشباه والنظائر (٥/ ٣٠٧)، وأمالي المرتضي (١/ ٥٢)، وشرح شواهد الشافية (ص ٢٦)، والعقد الفريد (١/ ٩٦)، ولسان العرب (٩/ ٢٩٩) (كسف)، (١٤/ ٨٣) (بكي)؛ وبلا نسبة في لسان العرب (٦/ ١١٣) (شمس)، والمحكم (٧/ ٥٢٢)، والمخصص (٥/ ١٣٤).

أراد: الشَّمس طالعةٌ تبكي عليه وليست مع طلوعها كاسفةَ النجوم والقمر، لأنَّها مظلمةٌ وإنَّما تكسف بضوئها فنجوم الليل باديةٌ بالنهار، فيكُون معنى الكلام: إنَّ الله لَمَّا أهْلَكَ قومَ فرعون لم يَبْكِ عليهم باكٍ، ولم يجزعْ جازعٌ، ولم يوجد لهم فقد، هذا كلُّه كلامُ ابن قُتَيْبَة[١].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الدخان: ٣٠-٤٢].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ يعني قتلَ الأبناءِ واستخدامَ النِّساء والتعب في أعمال فرعون، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ أي: جبَّارًا.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ يعني بني إِسْرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عَلِمَه الله فيهم على عالمي زمانِهم، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ كانفراقِ البحر، وتظليلِ الغَمام، وإنزالِ المنِّ والسَّلوى، إلى غير ذلك ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ أي: نعمة ظاهرة.

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٠٨).

ثـمَّ رجـع إلى ذكـرِ كفَّـار مكَّـة، فقـال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يَعْنُـونَ التـي تكُـون في الدنيـا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي: بمبعوثـين ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أي: ابعثوهـم لَنَـا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في البعـث، [٧١٨/ ب] وهـذا جهـلٌ منهـم مـن وجهـين:

أَحَدُهُمَا: أنَّهُم قد رأوا من الآياتِ ما يكفي في الدّلالة فليس لهم أن يتنطعوا.

والثَّاني: أنَّ الإعادَةَ للجزاء وذلك في الآخرة لا في الدنيا.

ثـمَّ خوفهـم عـذاب الأمـم قبلَهـم فقـال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: أشـدّ وأقوى ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أي: لَيْسُـوا خـيرًا منهم.

رَوَى أبـو هريـرة عَـن رسـول الله ﷺ أنَّـه قـال: «مَـا أَدْرِي تُبَّعًـا نَبِـيٌّ، أَوْ غَـيْرُ نَبِـيٍّ»[(١)].

وقالـت عائشـةُ: لا تسـبُّوا تُبَّعًـا فإنَّـه كان رجـلاً صالحًـا، ألا تـرى أنَّ الله تعـالى ذمَّ قومَـه ولم يذمَّـه[(٢)].

وَقَالَ وهب: أسلَمَ تُبَّعٌ ولم يسلم قومُه فلذلك ذُكِرَ قومُه ولم يُذكَر[(٣)].

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ، لكنه عند أبي داود في سننه (٤٦٧٤) من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا، وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا»، وهو عند الحاكم في المستدرك أيضًا (٢١٧٤)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨١٩)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٥٠)، والحاكم في مستدركه (٣٦٨١) وصححه بلفظ: «كان تبع رجلاً صالحًا، ألا ترى أن الله ﷻ ذم قومه ولم يذمه؟».

(٣) لم نقف عليه.

وذكر بعضُ المفَسِّرِين أنَّه كان يعبد النَّار فأسلم ودَعَا قومَه وهم حِمْيَر إلى الإسلام فكذَّبوه.

فأمَّا تسميته بـ ﴿تُبَّعٍ﴾.

فقال أبو عُبَيْدَة: كلُّ مَلِكٍ من ملوك اليمن كان يسمَّى تُبَّعاً، لأنَّه يَتْبَع صاحبَه، فموضعُ «تُبَّع» في الجاهلية موضعُ الخليفة في الإِسلام[١].

وَقَالَ مُقَاتِل: إنَّما سمِّي تُبَّعاً لكثرة أتباعه، واسمه: مَلْكَيْكَرِب، وإنَّما ذكر قوم تُبَّع، لأنَّهُم كانوا أقربَ في الهلاك إلى كفَّار مكَّة من غيرهم[٢].

وما بعد هذا قد تقَدَّمَ[٣] إلى قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ وهو يوم يفصِلُ الله ﷻ بين العباد ﴿مِيقَـٰتُهُمْ﴾ أي: ميعادُهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ يأتيه الأوَّلون والآخرون.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: لا ينفع قريبٌ قريبًا، قَالَهُ مُقَاتِل[٤].

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: لا يُغْنِي وليٌّ عَن وليِّه بالقرابةِ أو غيرها[٥].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢٤) وعبارته هناك هكذا فقط: «لأن قوم تبع أقرب في الهلاك إلى كفار مكة».

(٣) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٨٥)، وسورة الأنبياء الآية رقم (١٦).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢٤).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٣).

والثَّاني: لا يَنْفَع ابنُ عمٍّ ابنَ عمِّه، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَة(١).

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا يُمْنَعون من عذابِ الله ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ وهمُ المؤمنون فإنَّه يشفع بعضُهم في بعضٍ.

قَولُهُ تَعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾[الدخان: ٤٣-٥٩].

قَولُهُ تَعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ قد ذكرناها في الصّافات(٢).

و﴿ٱلْأَثِيمِ﴾: الفَاجِر.

وَقَالَ مُقَاتِل: هو أبو جهل(٣).

وقد ذكرنا معنى المهلِ في الكهف(٤).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: تفسير سورة الصافات الآية رقم (٦٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢٤).

(٤) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٢٩).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، وابنُ عَامِر، وحَفْص عَن عَاصِم: ﴿يَغْلِي﴾ بالياء، والباقون بالتّاء[١].

فمن قَرَأَ «تغلي» بالتّاء فلتأنيث الشجرة، ومن قَرَأَ بالياء حَمَلَه على الطَّعام.

قال أبو عليٍّ الفَارِسيّ: ولا يجوز أن يُحْمَل الغَلْيُ على المُهْل، لأنَّ المهْلَ ذُكِر للتَّشبيه في الذَّوْب، وإنَّما يغلي ما شُبِّه به كَغَلْيِ الْحَمِيمِ وهو الماء الحارُّ إِذَا اشْتَدَّ غَلَيانُه[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ خُذُوهُ ﴾ أي: يُقَال للزَّبانِيَة: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ ﴾.

وقَرَأَ ابنُ كَثِير، ونَافِعٌ، وابنُ عَامِر، ويعقوبُ: بضمِّ التاء، وكسَرَها الباقون[٣].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: ومعناه: قُودوه بالعُنف، يقال: جِيء بفلان يُعْتَلُ إِلى السُّلطان[٤].

و﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وَسَطُ النَّار.

قال مُقَاتِل: الآيات في أبي جهل يضربُه الملَكُ من خُزَّان جهنم على رأسه بمِقْمَعَةٍ من حديدٍ فتنقُب عَن دماغَه، فيجري دماغُه على جسده،

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٩٢)، والحجة (٦/ ١٦٦)، والمبسوط (ص:٤٠١)، والتيسير (ص:١٩٨)، والتحصيل (٦/ ١٠٢).

(٢) انظر: الحجة (٦/ ١٦٦).

(٣) انظر: السبعة (ص:٥٩٢-٥٩٣)، والحجة (٦/ ١٦٥)، والمبسوط (ص:٤٠١)، والتحصيل (٦/ ١٠٢).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٣).

ثـمَّ يصُـبُّ الملَـكُ في النَّقْـب مـاءً حميـماً قـد انتهـى حَـرُّه، فيقـع في بطنـه، ثـمَّ يقـول لـه الملَـك: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ هـذا توبيـخٌ لـه بذلـك، وكان أبـو جهـلٍ يقـول: أنـا أعَـزُّ قريـشٍ وأكرمُهـا(١).

وقَرَأَ الكِسَائِيُّ: «ذُقْ أَنَّكَ» بفتح الهمزة، والباقون: بكسرها(٢).

[٧١٩/أ] قـال أبـو عـليٍّ: مَـن كَسَرَهـا، فالمعنـى: أنـتَ العزيـز في زعمـك، ومـن فتـح، فالمعنـى: بأَنَّـكَ(٣).

**فإن قيل**: كيف سُمِّي بالعزيزِ وليس به؟!.

**فالجواب من ثلاثة أوجهٍ**:

**أحدها**: أنَّه قيل ذلك استهزاءً به، قَالَهُ سَعيدُ بن جُبَير، ومُقَاتِل(٤).

**والثَّاني**: أنت العزيزُ الكريمُ عند نَفْسك، قَالَهُ قَتَادَة.

**والثَّالِث**: أنت العزيزُ في قَومِكَ، الكريمُ على أهلك، حَكَاه الماوَرْدِيّ(٥).

ويقـول الخـزَّان لأهـل النـار: ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴾ أي: تَشُـكُّون في كَونِـه.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٩٣)، والحجة (٦/ ١٦٦)، والمبسوط (ص:٤٠٢)، والتيسير (ص:١٩٨)، والتحصيل (٦/ ١٠٣).

(٣) انظر: الحجة (٦/ ١٦٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢٥).

(٥) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٥٨).

ثُمَّ ذَكَرَ مستقَرَّ المُتَّقِين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

قَرَأَ نَافِعٌ وابنُ عَامِرٍ: «في مُقام» بضمِّ الميم، والباقون: بفتحها[١].

قال الفَرَّاءُ: المَقام، بفتح الميم: المكانُ، وبضمِّها: الإقامة[٢].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَمِينٍ﴾ أي: أَمِنُوا فيه الغِيَرَ والحوادِثَ.

وقد ذكرنا «الجنَّات» في البقرة[٣]، وذكرنا معنى «العُيون» ومعنى «متقابِلين» في الحِجر[٤]، وذكرنا «السُّندُس والإِستبرق» في الكهف[٥].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ كما وَصَفْنا ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قَالَ المفَسِّرُون: المعنى: قَرَنَّاهم بِهِنَّ، وليس من عقدِ التزويجِ.

قال أَبُو عُبَيْدَة: المعنى: جَعَلْنا ذكورَ أهل الجنَّة أزواجاً بِحُورٍ عِينٍ من النِّساء، تقول للرجل: زوِّج هذه النَّعل الفردَ بالنَّعل الفردِ، أي: اجعلها زَوْجاً، والمعنى: جَعَلْناهم اثنين اثنين[٦].

وَقَالَ يونسُ: العرب لا تقول: تزوَّج بها، إنَّما يقولون: تزوجَّها،

(١) انظر: السبعة (ص:٥٩٣)، والحجة (٦/ ١٦٧)، والمبسوط (ص:٤٠٢)، والتيسير (ص:١٩٨)، والتحصيل (٦/ ١٠٣).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٤٤).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥).

(٤) انظر: تفسير سورة الحجر الآيات رقم (٤٥-٤٧).

(٥) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٣١).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٠٩).

ومعنى ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: قَرَنَّاهم[1].

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: يقال: زوَّجته امرأةً، وزوَّجته بامرأة[2].

وَقَالَ أبو عليٍّ الفارسيّ: والتنزيل على ما قَالَ يونسُ، وهو قَولُهُ تَعَالى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]، وما قال: زَوَّجْناك بها[3].

فأمَّا الحُورُ، فقال مُجاهِد: الحُور: النِّساء النقيَّات البياض[4].

وَقَالَ الفرَّاء: الحَوْراء: البيضاءُ من الإِبل قال:

وفي «الحُور العِين» لغتان: حُور عِين، وحِير عين، وأنشد[5]: [من الرجز]

أزْمانَ عَيْناءُ سُرورُ المَسْرورْ
وَحَوْرَاءُ عَيْنَاءُ مِنَ الْعَيْنِ الْحِيرُ

وَقَالَ أبو عُبَيْدَة: الحوراء الشَّديدة بياضِ العين الشَّديدة سواد سوادها[6].

وقد بيَّنا معنى العِين في الصّافات[7].

---

(١) انظر: إصلاح المنطق؛ لابن السكيت (ص:٢٣٥)، والصحاح (١/ ٢٣٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٠/ ١٢٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٤) ولفظه: «أي قَرَنَّاهم بهن».

(٣) انظر: الحجة (٤/ ٣٢٧).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣٥٦).

(٥) بلا نسبة في إصلاح المنطق (ص:٣٥)، والزاهر (١/ ٢٧)، وأدب الكاتب (ص:٦٠٠)، وهو لمنظور بن مرثد الأسدي في لسان العرب (٥/ ١٢١).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦).

(٧) انظر: تفسير سورة الصافات الآية رقم (٤٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: آمِنِينَ من انقِطَاعِها في بعض الأزمنة.

والثَّاني: آمِنِينَ من التَّخَم والأسْقَام والآفات.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها بمعنى سِوَى، فتقدير الكلام: لا يذوقون في الجنَّة الموتَ سِوى الموتة التي ذاقوها في الدُّنيا؛ ومثله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء:٢٢] وقوله: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] أي: سِوى ما شاء لهم ربُّك من الزِّيادة على مقدار الدُّنيا، هذا قول الفَرَّاء[١]، والزَّجَّاج[٢].

والثَّاني: أنَّ السُّعداء حين يموتون يصيرون إلى الرَّوح والرَّيحان، وأسباب من الجنَّة يرون منازلهم منها، وإذا ماتوا في الدُّنيا، فكأنَّهُم ماتوا في الجنَّة؛ لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدَتِهم إيَّاها، قَالَهُ ابن قُتَيْبَة[٣].

والثَّالِث: أنَّ «إلَّا» بمعنى «بعد»، كما ذكرنا في أحد الوجوه في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء:٢٢]، وهذا قولُ ابنِ جَرِيرٍ[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: فَعَلَ اللهُ ذلك بهم فَضْلاً منه.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٤٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٢٨).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٥٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٦٧).



﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ ﴾ أي: سَهَّلناه، والكناية عَنِ القُرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ أي: بلُغَةِ العَرَبِ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يتَّعِظُوا فيؤمنوا، ﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ أي: [٧١٩/ب] انتظر بهم العَذَاب ﴿ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ هلاكَكَ، وهذه عند أكثر المفَسِّرين منسوخةٌ بآية السَّيف، وليس بصحيحٍ.

## سورة الجاثية

وتُسَمَّى: سورة الشَّريعة.

رَوَى العَوفيُّ وابنُ أبي طَلْحَةَ عَن ابن عبَّاس أنَّها مَكِّيَّة، وهو قول الحسَنِ وعكرمة ومُجَاهِد وقَتَادَة والجمهور.

وَقَالَ مقاتل: هي مَكِّيَّة كلُّها[1].

وحُكِيَ عَن ابن عبَّاس وقَتَادَة أنهما قالا: هي مَكِّيَّة إلَّا آية، وهي قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَولُهُ تَعَالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ
لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ
وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ
لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١-١٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٣٣).

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ قد شرحناه في أوّل المؤمن[١].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَفِي خَلۡقِكُمۡ ﴾ أي: من تُراب ثمَّ من نُطْفة إلى أن يتكامل خَلْقُ الإنسان، ﴿ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ﴾ أي: وما يُفرِّق في الأرض من جميع ما خَلَقَ على اختلاف ذلك في الخَلْق والصُّور ﴿ ءَايَٰتٞ ﴾ تدُلُّ على وحدانيَّته.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، ونَافِعٌ، وعَاصِم، وأَبُو عَمْرو، وابنُ عَامِر: ﴿ ءَايَٰتٞ ﴾ رفعاً، ﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ ﴾ رفعاً أيضاً.

وقَرَأَ حَمْزَة، والكِسَائِيّ: بالكسر فيهما[٢].

والرِّزق هاهنا بمعنى المطر.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ أي: هذه حُجَجُ الله ﴿ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾ أي: بعد حَدِيثه ﴿ وَءَايَٰتِهِۦ ﴾ يؤمِنُ هؤلاء المشركون؟!

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾.

رَوَى أَبُو صَالِح عَنِ ابنِ عبَّاس أنَّها نزلت في النضر بن الحارث.

وقد بيَّنَّا معناها في الشُّعراء[٣]، والآية التي تليها مفسَّرة في لقمان[٤].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ﴾.

---

(١) انظر: تفسير سورة غافر الآية رقم (١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٩٤)، والحجة (٦/ ١٦٩)، والمبسوط (ص:٤٠٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الشعراء الآية رقم (٢٢٢).

(٤) انظر: تفسير سورة لقمان الآية رقم (٧).

قال مقاتل: معناه: إِذا سَمِعَ[١].

وقَرَأَ ابن مسعود: «وإِذا عُلِّمَ» برفع العين وكسر اللام وتشديدها[٢].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي: سَـخِر منهـا، وذلـك كفعـل أبي جهـل حـين نزلـت: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخـان: ٤٣-٤٤] فدعـا بتمـرٍ وزُبْـد، وقـال: تَزَقَّمـوا فـما يَعِدُكـم محمَّـدٌ إِلَّا هـذا[٣].

وإِنَّما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لأَنَّه ردَّ الكلام إلى معنى «كُلٍّ».

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ قد فسَّرناه في إبراهيم[٤].

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا﴾ منَ الأموال، ولا ما عبدوا مِنَ الآلهة.

قَولُـه تعـالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ يعنـي القُـرآن ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بـه، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، وحَفْصٌ عَن عَاصِم: ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع على نعت العذاب.

وقَرَأَ الباقون: بالكَسْرِ على نعت الرِّجْز[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٣٦).

(٢) في مختصر ابـن خالويـه (ص:١٣٩)، والمحـرر الوجيـز (٥/ ٨١) كلاهمـا نسـبها لمطـر الـوراق، وقَتَـادَة، وفي التحصيـل (٦/ ١١٥) نسـبها لقَتَادَة.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٥٢)، وأسباب النزول (ص:٢٨٩).

(٤) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية رقم (١٦).

(٥) انظر: السـبعة (ص:٥٩٤)، والحجة (٦/ ١٧٤)، والمبسوط (ص:٣٦٠)، والتيسير (ص:١٩٨)، والتحصيل (٦/ ١١٦).



والرِّجز بمعنى العذاب، وقد شرحناه في الأعراف[1].

قَولُـهُ تَعـالى: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: ذلِـكَ التَّسـخِير مِنْـهُ لا مِـنْ غـيره، فهـو مِـنْ فضلـه.

وقَـرَأَ عبـدُ الله بـنُ عمـرٍو، وابـنُ عبَّـاس، وأبـو مِجْلَـز، وابـن السَّـمَيفَع، وابـنُ مُحَيْصِـنٍ، والجَحْـدَرِيُّ: «جميعـاً مِنَّـةً» بفتـح النـون وتشـديدها وتـاء منصوبـة منوَّنـة[2].

وقَرَأَ سعيدُ بن جُبَير: «مَنُّهُ» بفتح الميم ورفع النون والهاء مشددة النون[3].

قَولُـهُ تَعـالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٣٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٩) نسبها لابن عبَّاس، وعبيد بن عمير، وفي التحصيل (٦/ ١١٦) نسبها لابن عبَّاس، والجحدري، وغيرهما، وفي المحرر الوجيز (٥/ ٨٢) نسبها لابن عبَّاس، وفي المحتسب (٢/ ٢٦٢) نسبها لابن عبَّاس، وعبد الله بن عمرو الجحدري، وعبد الله بن عبيد بن عمير.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٣٩)، وفي التحصيل (٦/ ١١٦)، والمحرر الوجيز (٥/ ٨٢) كلهم نسبوها لمسلمة بن محارب.

إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[الجاثية: ١٤-٢٢].

قَولُهُ تَعالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ الآية، **في سبب نزولها أربعة أقوال:**

**أحدها:** أنَّهم نزلوا في غَزاة بني المصْطَلِق على بئرٍ يقال لها: «المريسيع»، فأرسل عبدُ الله بن أُبي غلامَه ليستقيَ الماء، فأبطأ عليه، فلما أتاه قَالَ له: ما حَبَسَك؟ قال: غلام عمر، ما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قُرَب النبيِّ ﷺ وقُرَبَ أبي بكر، وملأ لمولاه، فقال عبد الله: ما مَثَلُنا ومَثَلُ هؤلاء إلا كما قيل: سَمِّن كَلْبَكَ يأكلكَ، فبلغَ قولُه عمرَ، فاشتمل سَيفَه يريد التوجُّه إليه، فنزلت هذه الآية، رواه عَطَاء عَن ابن عبَّاس[(١)].

**والثَّاني:** أنَّها لَّما نَزَلَتْ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قَالَ يهوديٌّ بالمدينة يقال له فنحاص: احتاجَ ربُّ محمَّدٍ. فلـمَّا سمع بذلك عمر، اشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فنزل جبريل ﷺ بهذه الآية، فبعث النبيُّ ﷺ [٧٢٠/أ] في طلب عمر، فلـمَّا جاء، قال: «**يا عُمَرُ، ضَعْ سَيْفَكَ**» وتلا عليه الآية، رواه ميمون بن مهران عَنِ ابن عبَّاس[(٢)].

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٨).

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣٥٩-٣٦٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٨) من رواية ميمون بن مهران، عن ابن عبَّاس به.

والثَّالِث: أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ من أهلِ مكَّة كانوا في أذىً شديدٍ من المشركين قَبْلَ أن يؤمَروا بالقتال، فشَكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ القرَظِيُّ، والسُّدِّيُّ[1].

والرَّابِعُ: أنَّ رجلاً من كفَّار قريش شَتَمَ عمر بن الخطاب، فَهَمَّ عمر أن يبطش به، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ مُقَاتِل[2].

ومعنى الآية: قُلْ للذين آمنوا اغْفِروا، ولكن شبَّه بالشرط والجزاء، كقوله: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وقد مضى بيان هذا[3].

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يَخافون وَقَائعَ الله في الأُمم الخالية، لأنَّهُم لا يؤمنون به، فلا يخافون عِقَابَه، وقيل: لا يَدْرُون أنْعَمَ اللهُ عليهم، أم لا.

وقد سَبَقَ بيان معنى ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ في سورة إبراهيم[4].

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤١٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٣٧).

(٣) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية رقم (٣١).

(٤) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية رقم (٥).

## فصل

وجمهور المفَسِّرين على أنَّ هذه الآية منسوخةٌ، لأنَّها تضمَّنت الأمْرَ بالإِعراض عَن المشركين.

**واختلفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال:**

**أحدها**: أنَّه قوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، رواه مَعْمَرُ عَن قَتَادَة.

**والثَّاني**: أنَّه قولُه في الأنفال: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾، وقوله في براءة: ﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾، رواه سعيد عَن قَتَادَة.

**والثَّالِث**: أنَّه قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ.

**قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًا﴾.

وقَرَأَ ابنُ عَامِرٍ، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «لِنَجْزِيَ» بالنون «قوماً»[1] يعني الكفَّار، فكأنَّه قال: لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن.

وما بعد هذا قد سَبَقَ[2] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني التوراةَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ وهو الفَهْمُ في الكِتَاب، ﴿وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ يعني المَنَّ والسَّلْوَى ﴿وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: عالَمي زَمَانِهم.

**﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: بيانُ الحلال والحرام، قَالَهُ السُّدِّيّ.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٩٤)، والحجة (٦/ ١٧٤)، والمبسوط (ص:٤٠٣)، والتحصيل (٦/ ١١٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٧).

والثَّاني: العلمُ بمبعث النَّبيِّ ﷺ وشواهِد نبوَّته، ذَكَره الماوَرْدِيّ[١].

وما بعد هذا قد تقدَّم بَيانُه[٢] إلى قَولِه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾.

سبب نزولها: أنَّ رؤساء قُرَيش دَعَوا رسولَ الله ﷺ إلى مِلَّة آبائه، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ أَبُو صَالِح عَن ابنِ عبَّاس.

فأمَّا قوله: ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾.

فقَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: على مِلَّةٍ ومَذْهَبٍ، ومنه يقال: شَرَعَ فلانٌ في كذا: إذا أخَذ فيه، ومنه «مَشَارِعُ الماء» وهي الفُرَض التي شَرَع فيها الوارد[٣].

قال المفَسِّرُون: ثمَّ جعلناك بعد موسى على طريقةٍ من الأمر، أي: من الدِّين فاتَّبِعْها.

و﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كفَّار قُرَيش.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ﴾ أي: لن يَدْفَعُوا عنك عذابَ الله إنِ اتَّبعتَهم، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني المشركين، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الَّذين اتَّقوا][٤] الشِّرْكَ.

والآية التي بعدَها مفسَّرةٌ في آخر الأعراف[٥].

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾.

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٦٣).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٩).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٥).

(٤) إضافة ليستقيم المعنى. ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٩٧).

(٥) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٢٠٣).

سبب نزولها: أنَّ كفَّار مكَّة قالوا للمؤمنين: إنَّا نُعطَى في الآخرة مثلما تُعْطَون من الأجْرِ، قَالَهُ مقاتل[١].

والاسْتِفْهَامُ هاهنا اسْتِفْهَامُ إنكارٍ، و ﴿ٱجْتَرَحُواْ﴾ بمعنى اكتسبوا.

﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

قَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيّ، وحَفْص عَن عَاصِم، وزيد عَن يعقوب: «سواءً» نصباً، وقَرَأَ الباقون: بالرَّفع[٢].

فمَنْ رَفَعَ فَعَلى الابتداء، ومَن نَصَب جعله مفعولاً ثانياً على تقدير: أنْ نَجْعَلَ مَحياهم ومماتَهم سواءً، والمعنى: إنَّ هؤلاء يَحْيَون مؤمنين ويموتون [٧٢٠/ ب] مؤمنين، وهؤلاء يَحْيَون كافرين ويموتون كافرين، وشتَّان ما هم في الحَال والمآل.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بئسَ ما يَقْضُون.

ثمَّ ذكرَ بالآية التي تَلِي هذه أنَّه خَلَقَ السَّموات والأرض بالحقِّ، أي: للحَقِّ والجزاء بالعدل، لئلّا يظُنَّ الكافرُ أنَّه لا يُجزَى بكفره.

قَولُهُ تَعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٣٩).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٩٥)، والحجة (٦/ ١٧٥)، والمبسوط (ص:٤٠٤)، والتحصيل (٦/ ١١٦).

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٢٣-٣١].

قَولُهُ تَعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قد شرحناه في الفرقان(١).

وَقَالَ مُقَاتِل: نَزَلَتْ هذه الآية في الحارث بن قيس السَّهميّ(٢).

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على عِلْمِه السَّابق فيه أنَّه لا يَهتدي ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ أي: طَبَعَ عليه فلم يسمع الهدَى، وَعلى قَلْبِهِ فلم يَعْقِل الهُدى، وقد ذكرنا الغِشَاوة والخَتْم في البقرة(٣).

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ بَعْدِ إضلالِه إيَّاه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتَعْرِفوا قُدرتَه على ما يشاء؟!.

وما بعدَ هذا مُفَسَّر في سورة المؤمنون(٤) إلى قولِه: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: اختلافُ الليلِ والنَّهار ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما قَالُوه

(١) انظر: تفسير سورة الفرقان الآية رقم (٤٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٣٩).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٧).

(٤) انظر: سورة المؤمنون الآية رقم (٣٧).

عَـن عِلْـمٍ، إِنَّـما قالـوه شَـاكِّين فيـه، ومـن أجـلِ هـذا قَـالَ نبيُّنـا عليـه الصَّـلاة والسَّـلام: «**لا تَسُـبُّوا الدَّهْـرَ فَـإِنَّ اللهَ هُـوَ الدَّهْـرُ**»، أي: هـو الَّـذي يُهْلِكُكُـم، لا مـا تتوهَّمونـه مـن مُـرُور الزَّمـان.

ومـا بعد هـذا ظاهرٌ، وقد تقـدَّم بيانُه[١] إلى قولـه: ﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ يعني المكذِّبين الكافرين أصحابَ الأباطيـل، والمعنى: يَظْهَـرُ خُسْرَانُهم يومئذٍ.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾.

قال الفَرَّاء: تَرَى أهلَ كلِّ دِينٍ[٢].

﴿جَاثِيَةً﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: أي: جالسـة عـلى الرُّكَـب، يقـال: قـد جثا فـلانٌ جُثُـوًّا: إذا جَلَـسَ عـلى ركبتيـه، ومِثْلُـه: جَـذا يَجْـذو، والجُـذُوُّ أشـدُّ اسـتيفازًا مـن الجُثُـوِّ، لأنَّ الجُـذُوَّ: أن يجلـس صاحبـه عـلى أطـراف أصابعـه[٣].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: والمعنى أنَّها غيرُ مُطْمَئِنَّة[٤].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه كتابُها الذي فيه حَسَنَاتُها وسيِّئاتها، قَالَهُ أَبُو صَالِح عَن ابن عبَّاس.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٨)، وسورة الشورى الآية رقم (٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٤٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣٥).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٥).

والثَّاني: أنَّه حِسَابُها، قَالَهُ الشَّعْبِيُّ، والفَرَّاء[١]، وابن قُتَيْبَة[٢].

والثَّالِث: كتابُها الذي أُنْزِلَ على رَسُولِه، حَكَاه الماوَرْدِيُّ[٣].

ويقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ **وَفِيْهِ ثَلاثَةُ أَقْوَال:**

**أحدها:** أنَّه كتَابُ الأعْمَالِ الذي تَكتُبُه الحَفَظة، قَالَهُ ابنُ السَّائب.

**والثَّاني:** اللَّوحُ المحفوظُ، قَالَهُ مقاتل[٤].

**والثَّالِث:** القُرآن، والمعنى أنَّهُم يقرؤونَه فيَدُلُّهم ويُذكِّرُهم، فكأنَّه يَنْطِق عليهم، قَالَهُ ابن قُتَيْبَة[٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمُرُ الملائكةَ بنَسخِ أعمالكم، أي بكَتْبها وإثْبَاتِها، وأكثرُ المفَسِّرين على أنَّ هذا الاستنساخَ، من اللَّوح المحفوظ، تَسْتَنْسِخُ الملائكةُ كلَّ عامٍ ما يَكُون من أعمالِ بني آدم، فيجدون ذلك مُوَافِقًا ما يعملونه. قالوا: والاسْتِنْسَاخُ لا يَكُون إلَّا مِنْ أصلٍ.

قَالَ الفَرَّاءُ: يرفعُ الملَكان العَمَلَ كلَّه، فيُثْبِتُ اللهُ منه ما فيه ثوابٌ أو عقابٌ، ويطرح منه اللَّغوَ[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٤٨).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٥).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٦٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٤١).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٥).

(٦) انظر: معاني القرآن (٣/ ٤٨).

وَقَالَ الزَّجَّاج: نَسْتَنْسِخُ ما تكتبُه الحَفَظة، ويثبت عند الله ﷻ[١].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾.

قال مُقَاتِل: في جنّته[٢].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ فيه إضمارٌ، تقديره: فيقال لهم ألم تكن آياتي، يعني آياتِ القُرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عَن الإِيمان بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: كافرين[٣].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الجاثية: ٣٢-٣٧].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ أي: كائن ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾.

قَرَأَ حَمْزَة: «والسَّاعةَ» بالنَّصب[٤]. [١/٧٢١أ]

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٤١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٠/ ١٥٤).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٩٥)، والحجة (٦/ ١٧٩)، والمبسوط (ص:٤٠٤)، والتيسير (ص:١٩٨).

﴿ لَا رَيۡبَ فِيهَا ﴾ أي: كائنةٌ بلا شَكٍّ ﴿ قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ ﴾ أي: أنكرتموها ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا ﴾ أي: ما نَعْلَمُ ذلك إلا ظنًّا وحَدْسًا، ولا نَسْتَيْقِنُ كونَها.

ومَا بَعْدَ هذا قد تَقَدَّمَ[1] إلى قوله: ﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ ﴾ أي: نتركُكم في النَّار ﴿ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾ أي: كما تَركتُم الإيمانَ والعملَ لِلِقَاءِ هذا اليوم.

﴿ ذَٰلِكُم ﴾ الذي فَعَلْنا بكم ﴿ بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا ﴾ أي: مهزوءًا بها ﴿ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ حتَّى قُلتُم: إنَّه لا بَعْثَ ولا حساب.

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ ﴾.

وقَرأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «لا يَخْرُجُونَ» بفتح الياء وضمِّ الرَّاء، وقرأَ الباقون: ﴿ لَا يُخۡرَجُونَ ﴾ بضمِّ الياءِ وفتح الرَّاء، ﴿ مِنۡهَا ﴾ أي: من النَّار[2].

﴿ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴾ أي: لا يُطْلَبُ منهم أن يَرْجِعوا إلى طَاعَةِ الله ﷻ، لأنَّه ليسَ بحينِ تَوبَةٍ ولا اعْتِذَارٍ.

**قَولُهُ تَعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** السُّلطانُ، قَالَهُ مُجاهِد.

**والثَّاني:** الشَّرفُ، قَالَهُ ابن زَيدٍ.

**والثَّالِث:** العَظَمة، قَالَهُ يحيى بنُ سلامٍ والزَّجَّاج[3].

---

(١) انظر: تفسير سورة الزمر الآية رقم (٤٨).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٩٥)، والحجة (٦/ ١٧٩)، والتيسير (ص:١٩٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣٦).

## سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ١-٤].

### فصلٌ في نزولها

رَوَى العَوفيُّ وابنُ أبي طلحَةَ عَنِ ابنِ عبَّاس أنَّها مكِّيَّة، وبه قَالَ الحَسَنُ، ومُجَاهِد، وعِكْرمَة، وقَتَادَة، والجمهور.

ورُوِيَ عَن ابنِ عبَّاس وقَتَادَة أنهما قالا: فيها آيةٌ مَدَنِيَّةٌ وهي قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ١٠].

وَقَالَ مقاتل: نزلَتْ بمَكَّة غيرَ آيتين؛ قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ١٠]، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] نزلتا بالمدينة[١].

وقد تقَدَّمَ تفسيرُ فَاتِحَتِها[٢] إلى قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجلُ فَنَاءِ السَّموات والأرض وهو يَومُ القيامَة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٣).

(٢) انظر: تفسير سورة غافر الآية رقم (١)، وسورة الحجر الآية رقم (٨٥).



قَولُهُ تَعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ مفسَّر في فاطر[١] إلى قوله: ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ﴾ وفي الآية اختصارٌ تقديرُه: فإنِ ادَّعَوا أنَّ شيئًا منَ المخلوقات صنعةُ آلهتِهِمْ فقل لهم: ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي: من قَبْلِ القُرآن فيه برهانُ ما تدَّعُون من أنَّ الأصنامَ شركاءُ الله.

﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ وَفِيْهِ ثَلاثَةُ أَقْوَال:

أحدها: أنَّه الشيءُ يُثِيرُه مُسْتَخرِجُه، قَالَهُ الحسن.

والثَّاني: بقيَّةٌ من عِلمٍ تُؤثَرُ عَنِ الأوَّلين، قَالَهُ ابن قُتَيْبَة[٢]، وإلى نحوه ذهب الفَرَّاءُ[٣] وأَبُو عُبَيْدَة[٤].

والثَّالِث: عَلامةٌ مِنْ عِلْمٍ، قَالَهُ الزَّجَّاج[٥].

وقَرأَ ابنُ مسعود، وأبو رزين، وأيُّوب السِّخْتياني، ويعقوبُ: «أَثَرَةٍ» بفتح الثَّاء[٦]، مثل شَجَرَة.

---

(١) انظر: تفسير سورة فاطر الآية رقم (٤٠).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٧).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٥٠).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢١٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣٨).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٠) نسبها لعلي، والسلمي، والحسن، وفي التحصيل (٦/ ١٣٧) نسبها لابن عبَّاس باختلاف عنه، وعكرمة، وغيرهما، وفي الهداية (١١/ ٦٨١٢) نسبها لأبي عبد الرحمن السلمي، وفي المحتسب (٢/ ٢٦٤) نسبها لابن عبَّاس -بخلاف- وعكرمة وقَتَادَة وعمرو بن ميمون، ورويت عن الأعمش.

ثمَّ ذكروا في معناها **ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه الخَطُّ، قَالَهُ ابن عبَّاس، وقال: هو خَطٌّ كانتِ العَرَبُ تخُطُّه في الأرض(١).

قال أبو بكرِ بنُ عيَّاش: الخَطُّ هو العِيافة(٢).

**والثَّاني:** أو عِلْم تأثُرونه عَنْ غيركم، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّالِث:** خاصَّة مِنْ عِلْمٍ، قَالَهُ قَتَادَة.

وقَرَأَ أُبيُّ بن كعبٍ، وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ، والحَسَنُ، وقَتَادَة، والضَّحَّاك، وابن يعمر: «أثْرَةٍ» بسكون الثَّاء من غير ألف بوزن نَظْرَةٍ(٣).

وَقَالَ الفَرَّاء: قُرِئَتْ «أَثَارَةٍ» و«أثَرَةٍ»، وهي لغات، ومعنى الكل: بقيَّة مِنْ عِلْم، ويقال: أو شيء مأثور من كُتُبِ الأوَّلين، فمن قَرَأَ «أثارةٍ» فهو المصدر، مثل قولك: السَّماحة والشَّجاعة، ومن قَرَأَ «أثَرَةٍ» فإنَّه بناه على الأثَر، كما قيل: قَتَرة، ومَن قَرَأَ «أثْرة» فكأنَّه أرادَ قوله: «الخَطْفة» و«الرَّجْفة»(٤).

وَقَالَ اليَزِيدِيُّ: الأثارة: البقيَّة، والأثَرَة مصدرُ أثَرَه يأثُرُه، أي: يذكُره ويَرويه، ومنه: حديثٌ مأثور.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١١٣) من رواية أبي سلمة، عن ابن عبَّاس به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١١٣) من رواية أبي كريب، عن أبي بكر بن عياش به.

(٣) في المحتسب (٢/ ٢٦٤) نسبها لعلي، وأبي عبد الرحمن السلمي.

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ٥٠).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الأحقـاف: ٥-٨].

[٧٢١/ب] قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ يعنـي الأصنـام ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ لأنَّهـا جمـاد لا تسـمعُ، فـإذا قامـت القيامـة صـارَتْ الآلهـة أعـداء لعابديهـا في الدُّنيـا.

ثمَّ ذكر بها بعد هذا أنَّهم يُسَمُّون القرآن سِحرًا وأنَّ محمدًا افتراه.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تَقْـدِرُون عـلى أن تَرُدُّوا عنِّـي عذابَـه؛ أي: فكيـفَ أفْـتَرِي مـن أجلِكـم وأنتـم لا تقـدرون عـلى دَفْـعِ عذابِـه عنِّـي، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بـما تقولـون في القُـرآن وتخوضـون فيـه مـن التَّكذيـب والقَـول بأنَّـه سـحرٌ ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أنَّ القُرآن جـاء مـن عنـد الله ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في تأخـيرِ العَـذاب عنكـم.

وَقَـالَ الزَّجَّـاجُ: إنَّـما ذَكَـرَ هاهنـا الغفـرانَ والرَّحـمة ليعلمهـم أنَّ مَـن أتـى مـا أتيتـم ثـمَّ تـابَ فـإنَّ الله تعـالى غفـورٌ لـه رحيـمٌ بـه[١].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٣٩).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأحقاف: ٩-١٠].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: مَا أَنَا بأَوَّلِ رَسُول، والبدع والبديعُ من كلِّ شيءٍ المبتدأُ ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾.

وقَرَأ ابنُ يعمر، وابن أَبِي عَبْلَة: «ما يَفْعَلُ» بفتح الياء[1]، ثمَّ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه أرادَ بذلك ما يَكُون في الدُّنيا، ثمَّ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه لما اشتدَّ البَلاء بأصحابِ رسولِ الله ﷺ، رأى في المَنَام أنَّه هاجَرَ إلى أرضٍ ذاتِ نَخْلٍ وشَجَرٍ وماءٍ، فقصَّها على أصحابه، فاستبشروا بذلِكَ لما يَلْقَون من أَذَى المشركين. ثمَّ إنَّهم مَكَثُوا بُرْهةً لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسولَ الله متى تُهاجِرُ إلى الأرض التي رأيت؟ فسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ يعني: لا أدري، أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا؟ ثمَّ قال: إنَّما هو شيءٌ رأيته في منامي، وما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾، رواه أَبو صَالِحٍ عَن ابن عبَّاسٍ.

وكذلك قَالَ عطيَّة: ما أدري هل يتركني بمكَّة أو يخرجني منها؟[2].

---

(١) في الكامل (ص:٦٣٧) نسبها لابن أبي عبلة، وفي البحر المحيط (٩/ ٤٣٥) نسبها لزيد بن علي، وابن أبي عبلة.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٣٥) لابن المنذر.



والثَّاني: ما أدري هَلْ أُخرَجُ كما أُخرِجَ الأنبياءُ قَبْلي أو أُقْتَلُ كما قُتِلُوا ولا أدري ما يفعل بكم أتعذَّبون أم تؤخَّرون أتصدِّقون أم تكذِّبون، قَالَهُ الحَسَنُ.

والقول الثَّاني: أنَّه أراد ما يَكُون في الآخرة.

روى ابنُ أبي طلحَةَ عَنِ ابنِ عبَّاس قال: لما نزلت هذه الآية نَزَلَ بعدها ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وقال: ﴿لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ الآية [الفتح: ٥] فأَعْلَمَ ما يفعلُ به وبالمؤمنين[1].

وقيل: إنَّ المشركين فَرِحُوا عند نُزُولِ هذه الآية وقالوا: ما أَمْرُنا وأَمْرُ محمَّدٍ إلَّا واحدٌ، ولولا أنَّه ابتدعَ ما يقوله لأَخبَرَه الذي بَعَثَه بما يُفعَلُ به، فنَزَلَ قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ الآية [الفتح: ٢] فقال الصَّحابة: هنيئًا لكَ يا رسول الله فماذا يفعل بنا؟ فنزلت ﴿لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ الآية [الفتح: ٥][2].

وممَّن ذهب إلى هذا القولِ أنسٌ وعكرمَةُ، وقَتَادَة، وروي عَن الحسن ذلك.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني القُرآن ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه عبدُ الله بنُ سَلام، رواه العَوفي عَن ابنِ عبَّاس، وبه قَالَ الحَسَن، ومُجَاهِد، وقَتَادَة، والضَّحَّاك، وابنُ زيد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢١) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٤٣٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ذكره مقاتل في تفسيره (٤/ ٦٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٧).

**والثَّاني**: أنَّه موسى بنُ عِمران ﷺ، قَالَهُ الشَّعبيُّ، ومَسْرُوق.

فعلى القَول الأَوَّل يَكُون ذِكْرُ المثَلِ صِلَةً، فيَكُون المعنى: وشَهِدَ شاهدٌ من بني إسرائيل عليه، أي: على أنَّه من عند الله، ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشَّاهد، وهو ابنُ سلام ﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ يا معشر اليهود. [٧٢٢/أ]

وعلى الثَّاني يَكُون المعنى: وشَهِدَ موسى على التَّوراة التي هي مثل القُرآن أنَّها من عند الله كما شَهِدَ محمَّدٌ على القرآن أنَّه كلام الله فآمن مَن آمَنَ بموسى والتَّوراة، واستكبرتم أنتم يا مَعْشَرَ العرب أن تؤمنوا بمحمَّدٍ والقرآن.

**فإن قيل**: أين جوابُ إن؟.

**قيل**: هو مُضْمَرٌ، **وفي تقديره سِتَّة أقوال**:

**أحدها**: أنَّ جوابَه: فمن أضلُّ منكم، قَالَهُ الحسن.

**والثَّاني**: أنَّ تقديرَ الكلام: وشَهِدَ شاهدٌ من بني إسرائيلَ على مِثْلِه فآمَن أتؤمنون، قَالَهُ الزَّجَّاج[١].

**والثَّالِث**: أنَّ تقديرَه أتَأْمَنُون عقوبَةَ الله، قَالَهُ أبو علي الفارسي[٢].

**والرَّابعُ**: أنَّ تقديرَه أفما تُهلَكُون، ذَكَرَه الماوَرْدِيُّ[٣].

**والخَامِسُ**: مَنِ المحِقُّ منَّا ومنكم ومَنِ المبطل؟، ذَكَرَه الثَّعلَبِيُّ[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٠٥).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٧٤).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٠).



والسَّادِسُ: أنَّ تقديره: أليسَ قد ظلمتم. ويدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ذكره الواحدي[1].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴿١١﴾ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾[الأحقاف: ١١-١٦].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أنَّ الكفَّار قالوا: لو كان دِينُ محمَّدٍ خيرًا ما سَبقَنا إليه اليهودُ، فنزلت هذه الآية، قالَهُ مسروق.

والثَّاني: أنَّ امرأةً ضعيفةَ البصرِ أسلمَتْ وكان الأشراف من قريش يهزؤون بها ويقولون: والله لو كان ما جاء به محمَّدٌ خيرًا ما سبقتنا هذه

---

(١) انظر: التفسير الوسيط (٤/ ١٠٥).

إليـه، فنزلـت هـذه الآيـة، قَالَـهُ أبـو الزِّنـاد.

**والثَّالِث**: أنَّ أبا ذَرٍّ الغفاريَّ أسـلمَ واسـتجاب به قومُه إلى الإسـلام، فقالت قريـش: لـو كان خيرًا ما سـبقونا إليه، فنزلت هـذه الآية، قَالَهُ أبـو المتوكِّل.

**والرَّابِعُ**: أنَّـه لما اهتـدَتْ مُزَينَـة وجُهَينة وأسـلمت، قالـت أَسَـدُ وغَطَفَان: لـو كان خـيرًا مـا سـبقنا إليـه رعـاءُ الشَّـاءِ يعنـون مزينـة وجهينـة، فنزلـت هـذه الآيـة، قَالَـهُ ابن السَّـائِب.

**والخَامِسُ**: أنَّ اليهـودَ قالـوا: لـو كان دِيـنُ محمَّـدٍ خـيرًا مـا سـبقتمونا إليـه؛ لأنَّـه لا علـم لكـم بذلـك ولـو كان حقًّـا لدخلنـا فيـه، ذَكَـرَه أبـو سُـلَيمان الدِّمَشْـقِيُّ، وقـال: هـو قَـول مَـن يقـول: إنَّ الآيـة نَزَلَـتْ بالمدينـة، ومـن قـال: هـي مكيَّـة، قـال: هـو قـول المشركـين.

**فقد خرَجَ في الذين كَفَروا قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّهُم المشركون.

**والثَّاني**: اليهود.

وقولـه: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ أي: لـو كان دِيـنُ محمَّـد خـيرًا ﴿مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ فمَـن قـال: هـم المشركـون، قـال: أرادوا إنَّـا أعـزُّ وأفضـل، ومَـن قَـالَ هـم اليهـود قـال: أرادوا لأنَّـا أعلـم.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾ أي: بالقُـرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: كَـذِبٌ متقـدِّمٌ، يعنـون أسـاطير الأوَّلـين.

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ أي: من قبلِ القُرآن التَّوراة، وفي الكلام محذوفٌ تقديره: فلم يهتدوا لأنَّ المشركين لم يهتدوا بالتَّوارة.

﴿إِمَامًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحال ﴿وَرَحْمَةً﴾ عَطْفٌ عليه ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ المعنى: مصدِّقٌ للتَّوراة ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوبٌ على الحال؛ المعنى: مصدِّقٌ لما بين يديه عربيًّا، وذكر لسانًا توكيدًا كما تقول: جاءني زيدٌ رجلاً صالحًا تريد جاءني زيدٌ صالحًا[1].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾.

قَرَأَ عَاصِمٌ، وأَبُو عَمْرو، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء.

[٧٢٢/ ب] وقَرَأَ نَافِعٌ، وابنُ عَامِر، ويعقوبُ: «لتُنذِرَ» بالتَّاء.

وعَن ابن كَثِيرٍ كالقراءتين[2].

و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ المشركين ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ أي: وهو بشرى ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وهمُ الموحِّدون يبشِّرهم بالجنَّة.

وما بعد هذا قد تقدَّم تفسيرُه[3] إلى قوله: «بِوالِدَيْهِ حُسْناً».

وقَرَأَ عَاصِمٌ، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: ﴿إِحْسَٰنًا﴾ بألف[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤٠-٤٤١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٩٦)، والحجة (٦/ ١٨٣)، والمبسوط (ص:٤٠٥)، والتحصيل (٦/ ١٣٧).

(٣) انظر: تفسير سورة فصلت الآية رقم (٣٠).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٩٦)، والحجة (٦/ ١٨٢)، والمبسوط (ص:٤٠٥)، والتحصيل (٦/ ١٣٧).

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، ونَافِعٌ، وأَبُو عَمْرو: «كَرْهاً» بفتح الكاف، وقَرَأَ الباقون بضمِّها[١].

قال الفَرَّاء: والنحويُّون يستحبُّون الضَّمَّ هاهنا، ويكرهون الفتح، للعلَّة التي بيَّنَّاها عند قوله: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦][٢].

قال الزَّجَّاج: والمعنى حملته على مشَقَّة ﴿وَوَضَعَتْهُ﴾ على مشَقَّة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: فِطَامُه[٣].

وقَرَأَ يعقوبُ: «وفَصْله» بفتح الفاء وسكون الصَّاد من غير ألف[٤].

وَقَالَ ابن عبَّاس: «ووضعتْه كُرْهاً» يريد به شِدَّةَ الطَّلْق[٥].

واعلم أنَّ هذه المُدَّة قُدِّرتْ لأقلِّ الحَمْل وأكثرِ الرَّضاع.

فأمَّا الأشُدُّ، ففيه أَقْوَال قد تقدَّمت، واختارَ الزَّجَّاج أنَّه بلوغ ثلاث وثلاثين سنة[٦]، لأنَّه وقتُ كَمَال الإِنسان في بدنه وقوَّتِه واسْتِحْكَام شأنِه وتمييزه.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٩٦)، والحجة (٦/ ١٨٤)، والمبسوط (ص:١٧٧)، والتحصيل (٦/ ١٣٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط (١/ ٣١٩)، والتفسير البسيط (٤/ ١٣٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤٢).

(٤) انظر: المبسوط (ص:٤٠٥)، والكامل (ص:٦١٧).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٤/ ١٠٧).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤٢).



وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة: أشُدُّ الرَّجُل غيرُ أشُدِّ اليتيم، لأنَّ أشُدَّ الرَّجُل: الاكتهال والحُنْكَةُ وأنْ يشتدَّ رأيُه وعقلُه، وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة، وأشُدُّ الغُلام: أن يشتدَّ خَلْقُه ويتناهى نَبَاتُه[1].

وقد ذكرنا بيانَ الأَشُدِّ في الأنعام وفي يوسف[2] وهذا تحقيقه.

**واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّها نَزَلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وذلك أنَّه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وهو ابنُ ثمان عشرة سنة ورسولُ الله ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشَّام في تجارة، فنزلوا منزلاً فيه سدرة، فقعد رسولُ الله ﷺ في ظلِّها، ومضى أبو بكر إلى راهبٍ هناك يسأله عَن الدِّين، فقال له: من الرجل الذي في ظلِّ السِّدرة؟ فقال: ذاك محمَّدُ بنُ عبدِ الله بن عبد المطلب، فقال: هذا والله نبيٌّ وما استظل تحتها أحدٌ بعد عيسى إلّا محمَّد نبي الله، فوقع في قلبِ أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارِقُ رسولَ الله ﷺ في أسْفَارِه وحَضَرِه، فلما نُبِّئَ رسول الله ﷺ وهو ابنُ أربعين سنة وأبو بكر ابنُ ثمان وثلاثين سنة صدَّق رسولَ الله ﷺ، فلمَّا بلغ أربعين سنة، قال: رب أوزعني أن أشكرَ نعمتك التي أنعمتَ عليَّ، رواه عَطَاء عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ الأكثرون. قالوا: فلما بلغَ أبو بكر أربعين سنة دعا الله ﷻ بما ذكرَه في هذه الآية، فأجابَه الله، فأسلمَ والدَاه وأولاده ذكورهم وإناثهم ولم يجتمع ذلك لغيره من الصَّحابة.

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٢٥٤).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٣)، وسورة يوسف الآية رقم (٢٢).

**والقول الثَّاني**: أنَّها نزلَتْ في سعدِ بنِ أبي وقَّاص.

وقد شرحنا قصَّتَه في سورة العنكبوت[١]، وهذا مذهبُ الضَّحَّاك والسُّدِّيّ.

**والثَّالِث**: أنَّها نزلت على العُمُوم، قَالَهُ الحَسَنُ.

وقد شرحنا في سورة النَّمل[٢] معنى قوله: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: أجابَه الله يعني أبا بكرٍ فأَعْتَقَ تسعةً من المؤمنين كانوا يُعَذَّبُون في الله ﷻ، ولم يرد شيئًا من الخير إلَّا أعانه الله عليه، واستجاب له في ذُرِّيَّته فآمَنوا[٣].

﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: رَجَعْتُ إلى كلِّ ما تحبُّ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، ونَافِعٌ، وأَبُو عَمْرٍو، وابنُ عَامِرٍ، وأبو بكر عَن [٧٢٣/أ] عَاصِم: «يُتَقَبَّلُ» «ويُتَجَاوَزُ» بالياء المضمومة فيهما.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحَفْصٌ عَن عَاصِم، وخَلَف: ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾ بالنُّون فيهما[٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة العنكبوت الآية رقم (٨).

(٢) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (١٩).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٠٧-١٠٨).

(٤) انظر: السبعة (ص:٥٩٧)، والحجة (٦/ ١٨٤)، والمبسوط (ص:٤٠٦)، والتيسير (ص:١٩٨)، والتحصيل (٦/ ١٣٨).



وقَـرَأَ أبـو المتوكِّل، وأبـو رجاء، وأبـو عِمران الجُـونيّ: «يَتقبَّـل» «ويَتجاوز» بيـاء مفتوحـة فيهـا[1]، يعني أهل هـذا القول. والأَحْسَـنُ بمعنى الحَسَـن.

﴿ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾ أي: في جملـة مَـن يُتجَـاوزُ عنهـم، وهـم أصحـاب الجنَّـة، وقيـل: «في» بمعنـى «مـع».

﴿ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: هـو منصـوبٌ، لأنَّـه مصـدرٌ مؤكِّـد لِمَا قَبْلـه، لأنَّ قولـه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ ﴾ بمعنـى الوعـد، لأنَّـه وعَدَهـم القبـولَ بقولـه: ﴿ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ﴾، يؤكِّـد ذلـك قولَـه: ﴿ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ أي: عـلى ألسِـنَةِ الرُّسُـل في الدُّنيـا[2].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴾ [الأحقـاف: ١٧- ٢٠].

---

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ١٤٠) نسـبها لعيسـى، والأعمـش، وفي المحرر الوجيـز (٥/ ٩٨) نسـبها للحسن.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤٣).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ ﴾.

قَـرَأَ أَبُـو عَمْـرٍو، وحَمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ، وأبـو بكـرٍ عَـن عَاصِـم: «أُفِّ لكما» بالخفـض مـن غـير تنوينٍ.

وقَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ، وابن عَامِرٍ: بفتح الفاء.

وقَرَأَ نَافِعٌ، وحَفْصٌ عَن عَاصِم: ﴿أُفّٖ﴾ بالخفض والتنوين(١).

وقَرَأَ ابن يعمر: «أُفٌّ» بتشديد الفاء مرفوعة منوَّنة(٢).

وقَرَأَ حميد، والجَحْدَرِيّ: «أُفًّا» بتشديد الفاء وبالنَّصب والتنوين(٣).

وقَرَأَ عمرُو بن دينار: «أُفُّ» بتشديد الفاء وبالرَّفع من غير تنوين(٤).

وقَرَأَ أبو المتوكل، وعكرمة، وأبو رجاء: «أُفْ لكما» بإسكان الفَاء خفيفة(٥).

وقَرَأَ أبو العالية، وأبو عمران: «أُفِّيْ» بتشديد الفاء وياءٍ ساكنة مُمالة(٦).

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٩٧)، والحجة (٦/ ١٨٥)، والمبسوط (ص:٢٦٨).

(٢) قَالَ ابـن عطيـة في المحـرر الوجيـز (٣/ ٤٤٨): «وفيهـا لغـات لم يقـرأ بهـا «أُفٌّ» بالرفـع والتنويـن عـلى أن هـارون حكاهـا قـراءة»، وكذلـك أنكرهـا مكـي في الهدايـة (٦/ ٤١٧٣).

(٣) انظـر: المحـرر الوجيـز (٣/ ٤٤٨)، وقـد أنكرهـا ابـن عطيـة، وكذلـك مكـي في الهدايـة (٦/ ٤١٧٣).

(٤) في المحرر الوجيز (٣/ ٤٨٨) نسبها لأبي السمال، وأنكرها مكي في الهداية (٦/ ٤١٧٣).

(٥) في المحرر الوجيز (٣/ ٤٨٨) نسبها لابن عبَّاس.

(٦) قَالَ مكي في الهداية (٦/ ٤١٧٣): «وحكى الأخفش: (أُفِّيْ) بالياء».



وروي عَن ابنِ عبَّاس: أنَّها نزلت في عبد الرحمن بنِ أبي بكرٍ قبل إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى[١]، وعلى هذا جمهور المفَسِّرين.

وقد رُوِيَ عَن عائشة أنَّها كانت تُنكِر أن تَكُون الآية نزلت في عبد الرحمن وتحلف على ذلك وتقول: لو شئت لسمَّيت الذي نزلت فيه[٢].

قال الزَّجَّاج: وقول من قال: إنَّها نزلت في عبد الرحمن باطلٌ بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ فأَعْلَمَ الله أنَّ هؤلاء لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمنٌ، والتفسير الصَّحيح أنَّها نزلت في الكافر العَاقِّ[٣].

وروي عَن مُجَاهِد: أنَّها نزلت في عبد الله بن أبي بكر[٤].

وعَن الحسَن: أنَّها نزلت في جماعة من كفَّار قريش قالوا ذلك لآبائهم[٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٤٤) من رواية العوفي، عن ابن عبَّاس قال: «الذي قَالَ هذا ابن لأبي بكر رضي الله عنه».

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٦٠) من طريق ميناء، عن عائشة رضي الله عنها، وفي صحيح البخاري (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك، قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عُذْري».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٤) لم نقف عليه من كلام مجاهد، لكن عزا إليه الواحدي في التفسير البسيط (٢٠/ ١٨٤) القول بأنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، وليس عبد الله، وعزا إليه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٣) أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر.

(٥) روى الطبري في تفسيره (٢١/ ١٤٥) من رواية عوف، عن الحسن في قوله: ﴿وَٱلَّذِي

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: مَضَتِ القُرون فلم يرجع منهم أحدٌ، قَالَهُ مُقَاتِل[١].

والثَّاني: مَضَتِ القرون مكذِّبَةٌ بهذا، قَالَهُ أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِيّ.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي: يدعـوان اللهَ لـه بالهـدى ويقـوْلان لـه: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ أي: صـدِّق بالبعـث ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ الـذي تقـوْلان ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقـد سَـبَقَ شرحُها[٢].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعنـي الكفَّـار ﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: وجَـبَ عليهـم قضـاءُ الله أنَّهُـم مـن أهـل النَّـار ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: مـع أمَـمٍ، فذكـر الله تعـالى في الآيتـين قبـلَ هـذه مَـنْ بَـرَّ والديـه وعَمِـلَ بوصيَّـة الله ﷻ، ثـمَّ ذكـر مَـن لم يعمـل بالوصيَّـة ولم يطـع ربَّـه ولا والديـه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

وقَرَأَ ابنُ السَّمَيفَع، وأبو عمران: «أَنَّهُمْ» بفتح الهمزة[٣].

ثمَّ قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي: منازلُ ومراتبُ بحَسَـبِ ما اكتسبوه مـن إيمانٍ وكفـرٍ، فيتفاضل أهلُ الجنَّـة في الكرامة، وأهلُ النَّـار في العذاب.

---

قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ [الأحقـاف: ١٧] قـال: «هـو الكافـر الفاجـر العـاق لوالديـه، المكـذب بالبعـث».

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢١).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٢٥).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٤٠) نسبها للعبَّاس عن أبي عمرو.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ، وعَاصِمٌ، وأَبُو عَمْرٍو: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ بالياء.

وقَرَأَ الباقون: بالنُّون[١]؛ أي: جزاءَ أعمالهم.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ المعنى: واذْكُرْ لهم يوم يُعرَض ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ﴾ أي: ويقال لهم: أذهبتم.

قَرَأَ ابنُ كَثِير: «آذْهَبْتُمْ» بهمزة مطوَّلة. [٧٢٣/ ب]

وقَرَأَ ابنُ عَامِر: «أأذْهَبْتُمْ» بهمزتين.

وقَرَأَ نَافِعٌ، وعَاصِمٌ، وأَبُو عَمْرٍو، وحَمْزَة، والكِسَائِيُّ: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ على الخَبَر[٢]، وهو توبيخٌ لهم.

قال الفَرَّاءُ[٣] والزَّجَّاجُ[٤]: العربُ توبِّخُ بالألف وبغير الألف، فتقول: أذَهَبْتَ وفَعَلْتَ كذا؟! وذهبتَ ففعلتَ؟!.

قال المُفَسِّرُون: والمراد بطيِّباتهم: ما كانوا فيه من اللذَّات مشتغلين بها عَنِ الآخرة مُعرِضِين عَنْ شُكرِها.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٥٩٧)، والحجة (٦/ ١٨٦)، والمبسوط (ص:٤٠٦)، والتحصيل (٦/ ١٣٨- ١٣٩).

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٩٨)، والحجة (٦/ ١٨٨)، والمبسوط (ص:٤٠٦)، والتحصيل (٦/ ١٣٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٥٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤٤).

ولمَّا وبَّخهم اللهُ بذلِكَ، آثَرَ النبيُّ ﷺ وأصحابُه والصَّالحون بعدهم اجتنابَ نعيمِ العَيشِ ولذَّته ليتكامل أجرُهم ولئلَّا يُلْهِيَهم عَن مَعادهم.

وقد رُوِيَ عَن عمر بن الخطاب أنَّه دخل على رسولِ الله ﷺ وهو مضطجعٌ على خَصَفةٍ وبعضُه على التراب وتحتَ رأسه وسادةٌ محشوَّة ليفاً، فقال: يا رسول الله، أنتَ نبيُّ الله وصفوتُه، وكِسْرى وقَيصَر على سُرُرِ الذَّهب وفُرُش الدِّيباج والحرير؟!، فقال ﷺ: «**يَا عُمَرُ إِنَّ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ، وَهِيَ وَشِيكَةُ الانْقِطَاعِ، وإِنَّا أُخِّرتْ لنا طيِّباتُنا**»(١).

وروى جابرُ بنُ عبدِ الله قال: رأى عمرُ بن الخطاب لحمًا معلّقًا في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ فقلت: اشتهيت لحمًا فاشتريته، فقال: أو كلَّما اشتهيت اشتريت يا جابر؟ أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾(٢).

ورُوِيَ عَن عمر أنَّه قيل له: لو أَمَرْتَ أن نصنعَ لك طعامًا ألين من هذا، فقال: إني سمعت الله عيَّر أقوامًا فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تتكبَّرون عَن عبادة الله والإيمان به.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٤٦٨)، ومسلم في صحيحه (١٤٧٩) بلفظ: «أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا».

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٥)، والواحدي في التفسير الوسيط (٨٣٧) عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٤٦) لأحمد في الزهد، و(٧/ ٤٤٥) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) رواه الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١١٢) من رواية عتبة بن فرقد، عن عمر رضي الله عنه.

قَولُـهُ تَعَالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[الأحقاف: ٢١-٢٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ يعني هُودًا ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾.

قال الخليلُ: الأحقاف الرِّمالُ العظام(١).

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة: واحدُ الأحقاف حِقْفٌ، وهو منَ الرَّمْل: ما أشرَفَ من كُثبانه واستطالَ وانحنى(٢).

وَقَالَ ابنُ جريرٍ: هو ما استطالَ من الرَّمل ولم يبلغ أن يَكُون جَبلاً(٣).

**واختلفوا في المكان الذي سمِّيَ بهذا الاسم على ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه جبلٌ بالشام، قَالَهُ ابن عبَّاس، والضَّحَّاك.

**والثَّاني:** أنَّه وادٍ، ذكره عطيَّة.

وَقَالَ مُجَاهِد: هي أرضٌ(٤).

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٥٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٥٢) من رواية منصور، عن مجاهد به.

وحكى ابن جرير أَنَّه واد بين عمان ومهرة[١].

وَقَالَ ابن إسحاق: كانوا ينزلون ما بين عمان وحضرموت واليمن كله[٢].

**والثَّالِث**: أن الأحقاف رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشِّحْر، قَالَهُ قَتَادَة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي: قد مَضَتِ الرُّسُل من قبل هُود ومن بعده بإنذار أممها ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ والمعنى لم يُبعَثْ رسولٌ قبل هود ولا بعدَه إلَّا بالأمر بعبادة الله وحدَه، وهذا كلامُ اعترضٍ بين إنذار هود وكلامه لقومه، ثمَّ عاد إلى كلام هود فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿لِتَأْفِكَنَا﴾ أي: لتَصرِفنا عَن عبادة آلهتنا بالإفْكِ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو يعلم متى يأتيكم العذاب.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني ما يُوعَدُون في قوله: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾.

﴿عَارِضًا﴾ أي: سحابٌ يَعرِضُ من ناحية السَّماء.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: العارض السَّحاب[٣].

قال المفَسِّرُون: كان المطر قد حُبس عَن عادٍ فَسَاقَ الله إليهم سحابةً سوداء فلَمَّا رأوها فرحوا وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ فقال لهم هود: ﴿بَلْ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٥١).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٢٨٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٧).



[٧٢٤/أ] ﴿هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ ثـمَّ بـيَّن مـا هـو فقـال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فنشـأت الريـحُ مـن تلـك السَّـحابة.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: تهلِـكُ كلَّ شيءٍ مـرَّتْ بـه مـن النَّـاس والـدَّوابِّ والأمـوال.

قـال عمـرو بـن ميمـون: لقـد كانـت الرِّيـحُ تحتمـل الظعينـة فترفعهـا حتـى تُـرَى كأنَّهـا جـرادة(١).

﴿فَأَصْبَحُوا﴾ يعني عَادًا ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾.

قَرَأَ عَاصِمٌ، وحَمْزَةُ: ﴿لَا يُرَىٰٓ﴾ برفع الياء ﴿إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ برفع النُّون(٢).

وقَـرَأَ علـي، وأبو عبـد الرحمـن السُّـلَمِيُّ، والحَسَـنُ، وقَتَـادَةُ، والجَحْـدَرِيُّ: «لا تُـرَى» بتـاء مضمومة(٣).

وقَـرَأَ أبـو عِمـران، وابـنُ السَّـمَيفَع: «لا تَـرَى» بتـاءٍ مفتوحـةٍ «إلا مسـكَنَهم» عـلى التوحيـد(٤).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٥٧) من رواية أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون به.

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٩٨)، والحجة (٦/ ١٨٦)، والتحصيل (٦/ ١٣٩).

(٣) في التحصيل (٦/ ١٣٩) نسبها لحماد بن سلمة عن ابن كثير، وجماعة من غير السبعة، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٠٢) نسبها للحسن بن أبي الحسن والجحدري وقَتَادَة وعمرو بن ميمون والأعمش وابن أبي إسحاق وأبي رجاء ومالك بن دينار، ورويت عن ابن عامر.

(٤) بلا نسبة في البحر المحيط (٩/ ٤٤٧)، وَقَالَ في المحرر الوجيز (٥/ ١٠٣): «وقرأ الأعمش وعيسى الهمداني: «إلا مسكنهم» على الإفراد».

وهـذا لأنَّ السُّكَّان هلكـوا، فقيـل: أصبحـوا وقـد غطَّتهـم الرِّيـح بالرَّمْل فلا يُـرَوْن.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَارُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[الأحقـاف: ٢٦-٢٨].

ثم خوَّف كفَّار مكَّة فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾.

في ﴿إِن﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَـا: أنَّهـا بمعنـى «لم»، فتقديـرُه: فيـما لم نمكِّنكـم فيـه، قَالَـهُ ابـن عبَّـاس، وابـنُ قُتَيْبَـة[1].

وَقَـالَ الفَـرَّاء: هـي بمنزلـة مـا في الجحـد، فتقديـر الـكلام: في الـذي لم نمكِّنكـم فيـه[2].

والثَّاني: أنَّها زائدةٌ، والمعنى فيما مكنَّاكم فيه، وحكاه ابن قُتَيْبَة[3] أيضًا.

ثـمَّ أخـبر أنَّـه جعـلَ لهـم آلاتِ الفَهـم فلـم يتدبَّـروا بهـا ولم يتفكَّـروا فيـما يدلهـم عـلى التَّوحيـد.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٥٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٨).



قال المفَسِّرُون: والمراد بالأفئدة القلوبُ، وهذه الآلات لم تَرُدَّ عنهم عذابَ الله.

ثمَّ زاد كفَّار مكَّة في التخويف فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كديارِ عادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ وغيرهم من الأممِ المهلَكة ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: بيَّناها ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعني أهلَ القُرى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عَن كفرهم.

وهاهنا محذوفٌ تقديره: فما رجعوا عَن كفرهم.

﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلَّا ﴿نَصَرَهُمُ﴾ أي: مَنَعَهم من عذاب الله ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ يعني الأصنامَ التي تقرَّبوا بعبادتها إلى الله على زعمهم، وهذا استفهام إنكارٍ معناه لم ينصروهم ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾ أي: لم ينفعوهم عند نزولِ العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني دعاءهم الآلهة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ أي: كَذِبُهم.

وقَرَأَ سعد بن أبي وقاص وابنُ يعمر وأبو عِمران: «وذلك أَفَّكَهم» بفتح الهمزة وقصرها وفتح الفاء وتشديدها ونصب الكاف[1].

وقَرَأَ أُبيُّ بنُ كعبٍ وابنُ عبَّاس وأبو رزين والشَّعبي وأبو العالية والجَحدَريُّ: «أَفَكَهم» بفتح الهمزة وقصرها ونصب الكاف والفاء وتخفيفها[2].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٠) نسبها لعياض!، وفي المحتسب (٢/ ٢٧٢)، والتحصيل (٦/ ١٤٠) كلاهما نسبها لأبي عياض باختلاف عنه، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٠٤) نسبها لأبي عياض وعكرمة فيما حكاه الثعلبي.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٠) نسبها لابن عبَّاس، وابن الزبير، ومجاهد، وفي التحصيل (٦/ ١٤٠) نسبها لابن عبَّاس، وعكرمة، وغيرهما، وفي المحتسب (٢/ ٢٧٢)،=

قَالَ ابْنُ جريرٍ: أي: أضلَّهم[١].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: معناها: صَرَفهم عَن الحقِّ فجعلَهم ضُلَّالاً[٢].

وقَرَأ ابنُ مسعودٍ وأبو المتوكِّل: «آفِكُهم» بفتح الهمزة ومدِّها وكسر الفاء وتخفيفها ورفع الكاف[٣]، أي: مضلُّهم.

قولُهُ تعَالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الأحقاف: ٢٩-٣٢].

قولُهُ تعَالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وبَّخ الله ﷻ بهذه الآية كفَّار قريشٍ بما آمنت به الجنُّ.

**وفي سبب صرفهم إلى النبي ﷺ ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّهم صُرِفُوا إليه بسبب ما حَدَثَ من رجمهم بالشُّهُبِ.

---

=والمحرر الوجيز (٥/ ١٠٤) كلاهما نسبها لابن عبَّاس وأبي عياض وعكرمة وحنظلة بن النعمان بن مرة.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٦٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤٦).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٠) نسبها لابن عبَّاس، وابن الزبير، وفي التحصيل (٦/ ١٤٠)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٠٤) كلاهما نسبها لابن عبَّاس.

رَوَىَ البخـاريُّ ومسـلم في الصحيحـين مـن حديـث ابـنِ عبَّـاس قـال:
[٧٢٤/ب] انطلـق رسـولُ الله ﷺ في طائفـةٍ مـن أصحابـه عامديـن إلى سـوق عـكاظ وقـد حِيـلَ بـين الشَّـياطين وبـين خـبرِ السَّـماء وأرسـلت عليهـم الشُّـهب فرجعـت الشَّـياطين فقالـوا: مـا لكـم؟ قالـوا: حِيـلَ بيننـا وبـينَ خـبر السَّـماء وأرسـلت علينـا الشُّـهب. قالـوا: مـا ذاك إلَّا مـن شيءٍ حَـدَثَ فاضربـوا مشـارقَ الأرضِ ومغاربهـا فانظـروا مـا هـذا الأمـر. فمرَّ النفـر الذيـن توجهـوا نحـو تهامـةَ بالنبـيِّ ﷺ وهـو بــ «نَخْلـةَ» وهـو يصلِّي بأصحابـه صـلاةَ الفجـر فلـمَّا سَـمِعُوا القـرآنَ تسـمَّعوا لـه، فقالـوا: هـذا الـذي حـالَ بينكـم وبـين خَـبَرِ السَّـماء فهنالـك رجعـوا إلى قومهـم فقالـوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١-٢] فأنـزلَ الله عـلى نبيِّـه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجـن:١] (١).

ورَوَى سـعيدُ بـن جُبَـير عَـنِ ابـنِ عبَّـاس قـال: مـا قَـرَأَ رسـولُ الله ﷺ عـلى الجـنِّ ولا رآهـم وإنَّـما أتـوه وهـو بــ «نَخْلـةَ» فسـمعوا القـرآن(٢).

والثَّـاني: أنَّهُـم صُرِفُـوا إليـه ليُنذِرَهـم وأمـرَ أن يقَـرَأَ عليهـم القـرآن، هـذا مذهـب جماعـة منهـم قَتَـادَة.

وفي أفـراد مسـلم مـن حديـث عَلْقَمَـةَ قـال: قلـتُ لعبـد الله مَـن كان منكـم مـع النَّبـيِّ ﷺ ليلـة الجـنِّ فقـال: مـا كان منَّـا معـه أحـدٌ. فقدنـاه ذات

---

(١) رواه البخـاري في صحيحـه (٧٧٣، ٤٩٢١)، ومسـلم في صحيحـه (٤٤٩) مـن حديـث ابـن عبَّـاس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣١٠) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس.

ليلة ونحن بمكَّة فقلنا: اغتيلَ رسولُ الله ﷺ أو استطير، فانطلقنا نطلبه في الشِّعاب فلقيناه مقبلاً من نحو حِراء. فقلنا: يا رسولَ الله أينَ كنتَ؟ لقد أشفقنا عليك وقلنا له: بتنا الليلةَ بشرِّ ليلة باتَ بها قومٌ حين فقدناك، فقال: «**إِنَّهُ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ أُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ**»، فذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم[(١)].

وَقَالَ قَتَادَة: ذكر لنا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى الْجِنِّ، فَأَيُّكُمْ يَتَّبِعُنِي؟**» ، فأطرقوا ثمَّ استتبعهم فأطرقوا ثمَّ استتبعهم الثَّالِثة فأطرقوا، فاتبعه عبد الله بن مسعود فدخل نبيُّ الله ﷺ شِعبًا يقال له شِعب الحجون وخطَّ على عبد الله خطًّا ليثبته به قال: فسمعت لغطًا شديدًا حتى خفت على نبيِّ الله ﷺ فلمَّا رجع قلت: يا نبي الله ما اللَّغط الذي سمعت؟، قال: «**اجْتَمَعُوا إِلَيَّ فِي قَتِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمْ، فَقَضَيْتُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ**»[(٢)].

**والثَّالِث**: أنَّهم مرُّوا به وهو يقْرَأُ فسمعوا القرآن، فذكر بعض المفَسِّرين أنَّه لما يئس من أهل مكَّة أن يجيبوه خرج إلى الطَّائف ليدعوهم إلى الإسلام، وقيل: ليلتَمِسَ نصرَهم، وذلك بعد موت أبي طالب، فلمَّا كان ببطن نخلةَ قام يقْرَأُ القرآن في صلاة الفجر فمرَّ به نفرٌ من أشراف جنِّ نصيبين فاستمعوا القرآن، فعلى هذا القول والقول الأوَّل لم يعلم بحضورهم حتَّى أخبره الله تعالى، وعلى القول الثَّاني: علم بهم حين جاؤوا.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤٥٠) من رواية علقمة، عن ابن مسعود به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٦٦) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به.

**وفي المكان الذي سمعوا فيه تلاوةَ النبيِّ ﷺ قَوْلان:**

أَحَدُهُمَا: الحجون، وقد ذكرناه عَن ابنِ مسعود، وبه قَالَ قَتَادَة.

والثَّاني: بطن نخلة، وقد ذكرناه عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ مُجَاهِد.

وأما النَّفَرُ، فقَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: يقال إنَّ النَّفرَ ما بين الثلاثة إلى العشرة[1].

**وللمُفَسِّرين في عدد هؤلاء النَّفرِ ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنَّهُم كانوا سبعة، قَالَهُ ابن مسعود، وزر بن حبيش، ومُجَاهِد، ورواه عكرمة عَن ابن عبَّاس.

[٧٢٥/أ] والثَّاني: تسعة، رواه أَبُو صَالِح عَن ابن عبَّاس.

والثَّالِث: اثني عشر ألفًا، روي عَن عكرمة، ولا يصح لأنَّ النَّفَرَ لا يطلق على الكثير.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: حضروا استماعَه و﴿قُضِيَ﴾ يعني فرغ من تلاوته ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ أي: محذِّرين عذابَ الله ﷻ إن لم يؤمنوا.

وهل أنذروا قومَهم من قِبَلِ أنفسهم أم جَعَلَهم رسولُ الله رُسُلاً إلى قومهم؟ فيه قَوْلان.

قال عَطَاء: كان دين أولئك الجنّ اليهوديّة فلذلك قالوا: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾[2].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤٨٩).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٥٠).

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ يعنون محمَّدًا ﷺ، وهذا يدلُّ على أنَّه أرسل إلى الجنِّ والإنسِ.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» هاهنا صلةٌ.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يُعجِزُ الله تعالى ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ أي: أنصارٌ يمنعونَه من عذاب الله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لا يجيبون الرُّسُل ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[الأحقاف: ٣٣-٣٥].

ثمَّ احتجَّ على إحياء الموتى بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ إلى آخر الآية.

والرؤية هاهنا بمعنى العِلمِ.

﴿وَلَمْ يَعْيَ﴾ أي: لم يَعْجَزْ عن ذلك يقال: عَيَّ فلانٌ بأمرِه، إذا لم يَهتدِ له ولم يَقدر عليه.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: عَيِيتُ بالأمرِ، إذا لم تعرف وجهَه، وأعييت، إذا تعبت[1].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٣).



قال أَبُو عُبَيْدَة[١]، والأخفشُ[٢]: الباء زائدةٌ مؤكِّدة.

وَقَالَ الفَرَّاءُ: العرب تدخل الباءَ مع الجحد مثل قولك: ما أظنك بقائمٍ[٣].

وهذا قول الكِسَائِيّ، والزَّجَّاج[٤].

وقَرَأ يعقوبُ: «يَقْدُرُ» بيَاءٍ مفتوحةٍ مكانَ الباء وسكون القاف ورفع الرَّاء من غير ألف[٥].

وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ أي: ذَوُو الحَزمِ والصَّبر.

**وفيهم عشرة أقوال:**

**أحدها:** أنَّهُم نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمَّد ﷺ، رواه الضَّحَّاك عَن ابنِ عبَّاس، وبه قَالَ مُجَاهِد، وقَتَادَة، وعَطَاء الخُرَاسَاني، وابن السَّائب.

**والثَّاني:** نوح، وهود، وإبراهيم، ومحمَّد ﷺ، قَالَهُ أبو العَالية الرياحي.

**والثَّالِث:** أنَّهُم الذين لم تصبهم فتنةٌ من الأنبياء، قَالَهُ الحَسَن.

**والرَّابعُ:** أنَّهُم العرب من الأنبياء، قَالَهُ مُجَاهِد والشَّعبيُّ.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢١٣).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٥١٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٥٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٤٧).

(٥) انظر: المبسوط (ص:٤٠٧).

**والخَامِسُ**: أَنَّهُم إبراهيم، وموسى، وداود، وسُلَيمان، وعيسى، ومحمَّد ﷺ، قَالَهُ السُّدِّيُّ.

**والسَّادِسُ**: أنَّ منهم إسماعيل، ويعقوب، وأيُّوب، وليس منهم آدم، ولا يونس، ولا سُلَيمان، قَالَهُ ابن جُرَيج.

**والسَّابِعُ**: أَنَّهُم الذين أمروا بالجهاد والقتال، قَالَهُ ابن السَّائب، وحكي عَن السُّدِّيِّ.

**والثَّامِنُ**: أَنَّهُم جميع الرُّسُل، فإنَّ الله لم يبعث رسولاً إلَّا كان من أولي العزم، قَالَهُ ابن زيدٍ، واختاره ابن الأَنْبَارِيِّ وقال: «مِنْ» دخلت للتجنيس لا للتبعيض، كما تقولُ: قد رأيتُ الثيابَ من الخزِّ والجباب من القزِّ.

**والتَّاسِعُ**: أَنَّهُم الأنبياء الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام(١)، قَالَهُ الحسين بن الفضل.

**والعَاشِرُ**: أَنَّهُم جميعُ الأنبياء إلَّا يونس، حَكَاه الثعلبي(٢).

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ يعني العذابَ.

قال بعضُ المفَسِّرين: كأن النبيَّ ﷺ ضجر بعضَ الضَّجَر، وأحبَّ أن ينزلَ العذابُ بمَن أبى من قومه، فأُمِرَ بالصَّبر.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآيات (٨٣-٨٦).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٩/ ٢٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: من العذابِ ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِن نَّهَارٍ﴾ لأنَّ ما مضى كأنَّه لم يكن وإن كان طويلاً.

[٧٢٥/ب] وقيل: لأنَّ مقدارَ مكثِهم في الدنيا قليلٌ في جنب مكثهم في عذاب الآخرة.

وهاهنا تَمَّ الكلامُ، ثمَّ قال: ﴿بَلَٰغٌ﴾ أي: هذا القُرآن وما فيه من البيانِ بلَاغٌ عَنِ الله إليكم.

**وفي معنى وصف القرآن بالبلاغ قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّ البلاغَ بمعنى التبليغ.

**والثَّاني**: أنَّ معناه: الكفاية، فيَكُون المعنى: ما أخبرناهم به لهم فيه كفايةٌ وغنى.

وذكر ابنُ جريرٍ وجهًا آخر، وهو أنَّ المعنى: لم يلبثوا إلَّا ساعةً من نهارٍ، ذلك لبث بلاغ، أي: ذلك بلاغٌ لهم في الدنيا إلى آجالهم، ثُمَّ حُذفتْ «ذلك لُبْث» اكتفاءً بدلالة ما ذُكِر في الكلام عليها[١].

وقَرَأَ أبو العالية، وأبو عمران: «بَلِّغْ» بكسر اللام وتشديدها وسكون الغين من غير ألفٍ[٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٧٨).

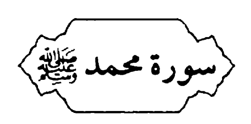
(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٠)، والمحتسب (٢/ ٢٦٨)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٠٨)، والبحر المحيط (٩/ ٤٥٢) كلهم نسبوها لأبي مجلز، وأبي سراج الهذلي، وفي الهداية (١١/ ٦٨٧٤) نسبها لأبي مجلز.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ ﴾.

وقَـرَأَ أبـو رزيـن، وأبـو المتـوكِّل، وابـنُ محيصـن: «يَهْلِـكُ» بفتـح اليـاء وكَـسْرِ الـلام[1]، أي: عنـد رؤيـة العـذاب.

﴿ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الخارجون عَنْ أمرِ الله ﷻ.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤١)، والتحصيل (٦/ ١٤١)، والمحتسب (٢/ ٢٦٨) كلهم نسبوها لابن محيصن.



وفيها قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها مَدَنِيَّة، قَالَهُ الأكثرون، منهم مُجاهِد، ومُقَاتِل[١].

وحكِيَ عَنِ ابنِ عبَّاس وقَتَادَة أنَّها مدنيَّة، إلَّا آية منها نزلت عليه بعد حجِّه حين خرجَ من مكَّة وجعل ينظر إلى البيت، وهي قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ [محمد:١٣].

والثَّاني: أنَّها مكية، قَالَهُ الضَّحَّاك، والسُّدِّيّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ١-٦].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: بتوحيدِ الله ﴿وَصَدُّوا۟﴾ النَّاس عَنِ الإيمان به وهم مشركو قريش ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: أبطَلَها، ولم يجعل

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤١).

لها ثوابًا، فكأنَّها لم تكن، وقد كانوا يطعمون الطَّعام، ويصِلُونَ الأرحامَ، ويتصدَّقُون، ويفعلون ما يعتقدونه قربةً.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ يعني: أصحابَ محمَّدٍ رسولِ الله ﷺ.

﴿ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾.

وقَرَأَ ابن مسعود: «نَزَّلَ» بفتح النُّون والزَّاي وتشديدها[1].

وقَرَأَ أُبَيٌّ بن كعبٍ ومعاذٌ القارئ: «أُنْزِلَ» بهمزة مضمومة مكسورة الزَّاي[2].

وقَرَأَ أبو رزين وأبو الجَوزاء وأبو عِمران: «نَزَلَ» بفتح النون والزاي وتخفيفها[3].

﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ أي: غفرها لهم ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ أي: حالهم، قالَهُ قَتَادَة، والمبرِّد.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾.

قال الزَّجَّاج: معناه: الأمرُ ذلك، وجائزٌ أن يَكُون: ذلك الإضلالُ، لاتِّباعهم الباطلَ، وتلك الهداية والكفَّارات باتِّباعِ المؤمنين الحقَّ[4].

﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ أي: كذلك يبيِّنُ أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين كهذا البيان.

---

(١) في البحر المحيط (٩/ ٤٥٨) نسبها لزيد بن علي، وابن مقسم.

(٢) في المحرر الوجيز (٥/ ١٠٩)، والبحر المحيط (٩/ ٤٥٩) كلاهما نسبها للأعمش.

(٣) ذكرها أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٥٩) بلا نسبة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ إغـراءٌ، والمعنـى: فاقتلوهـم؛ لأنَّ الأغلـبَ في موضـعِ القتـلِ ضربُ العنـق، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أي: أكثرتـم فيهـم القَتـلَ ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ يعنـي في الأسْرِ، وإنَّـما يَكُـون الأَسْرُ بعـد المبالغـة في القتـلِ.

و«الوَثَـاق» اسـمٌ مـن الإِيثَـاق تقـول: أَوْثَقْتُـه إِيثاقـاً ووَثاقـاً، إذا شَـدَدْتَ أسره لئـلا يُفْلِـت.

﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ﴾.

قـال أَبُـو عُبَيْـدَة: إِمَّـا أَنْ تمُنُّـوا، وإِمَّـا أنْ تفـادوا، ومثلُـه: سَـقْيًا، ورَعْيًـا، وإِنَّـما هـو سـقيت ورعيـت[١].

وَقَـالَ الزَّجَّـاج: إِمَّـا منَنْتُـم عليهـم بعـدَ أن تأسِروهـم مَنًّـا، وإِمَّـا أطلقتُموهـم بِفِـداء[٢].

فصلٌ

وهـذه الآيـة محكمةٌ عند عامَّة العلماء، وممَّن ذهبَ إلى أنَّ حكـمَ المنِّ والفِداء باقٍ لم ينسـخ: ابنُ عمر، ومُجَاهِد، والحسَـن، وابنُ سـيرين، وأحمد، والشَّافعي.

وذهـب قـومٌ إلى نسـخِ المـنِّ والفِـداء بقولـه: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾[التوبـة: ٥]، وممَّـن ذهـبَ إلى هـذا ابـنُ جُرَيـجٍ والسُّـدِّيّ وأبـو حنيفـة، وقـد أشرنـا إلى القولـين في بـراءة[٣]. [٧٢٦/أ]

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢١٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦).

(٣) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (٥).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: حتَّى لا يبقى أحدٌ من المشركين[١].

وَقَالَ مُجَاهِد: حتَّى لا يَكُونَ دينٌ إلا دين الإسلام[٢].

وَقَالَ سعيدُ بن جُبَير: حتَّى يخرجَ المسيح[٣].

وَقَالَ الفرَّاء: حتَّى لا يبقى إلا مسلمٌ أو مسالمٌ[٤].

**وفي معنى الكلام قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** حتَّى يضع أهلُ الحربِ سلاحهم.

قال الأعشى[٥]: [من المتقارب]

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا ... رِمَاحًا طِوَالًا وَخَيْلًا ذُكُورًا

وأصل الوِزرِ ما حملته، فسمِّيَ السِّلاح أوزارًا لأنَّه يحمل، هذا قول ابن قُتَيْبَة[٦].

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٢٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٢٠).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٢٠).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ٥٧).

(٥) البيت للأعشي في ديوانه (ص: ١٤٩)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص:٤٠٩)، وكتاب العين (٧/ ٣٨١)، والسلاح (ص:٣٠)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٠٨)، ولسان العرب (٥/ ٢٨٢) (وزر)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٦٧)، ومجمل اللغة (٤/ ٥٢٣)، وتاج العروس (١٤/ ٣٥٨)، وبلا نسبة في المخصص (٢/ ٤٨)، والصحاح (٢/ ٨٤٥).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:٤٠٩).

**والثَّاني**: حتَّى تضعَ حربُكم وقتالُكم أوزارَ المشركين وقبائحَ أعمالهم بأن يسلموا ولا يعبدوا إلَّا الله، ذكره الواحِدّي[1].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك الذي ذكرنا ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بإهلاكهم أو تعذيبهم بما شاء ﴿وَلَٰكِن﴾ أمَرَكُم بالحَرْبِ ﴿لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ فيثيب المؤمِنَ ويكرِمَه بالشَّهادة، ويخزيَ الكافر بالقتل والعذاب.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾.

قَرَأَ أَبُو عَمْرو، وحَفْص عَن عَاصِم: ﴿قُتِلُواْ﴾ بضمِّ القاف وكسر التاء.

والباقون: «قَاتَلُواْ» بألف[2].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ **فيه أربعة أقوال**:

**أحدها**: يهديهم إلى أرشدِ الأمورِ، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: يحقِّقُ لهم الهداية، قَالَهُ الحسَن.

**والثَّالِث**: إلى محاجَّة منكرٍ ونكيرٍ.

**والرَّابعُ**: إلى طريق الجنَّة، حكاهما الماوردي[3].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط (٤/ ١٢٠).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦٠٠)، والحجة (٦/ ١٩٠)، والمبسوط (ص:٤٠٨)، والتيسير (ص:٢٠٠)، والتحصيل (٦/ ١٥٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٢٩٤).

وفي قوله: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: عرَّفَهُم منازِلَهم فيها فلا يستدلُّون عليها ولا يخطئونها، هذا قولُ الجمهور منهم مُجاهِد وقَتَادَة، واختاره الفَرَّاء[1] وأَبُو عُبَيْدَة[2].

والثَّاني: طيَّبها لهم، رواه عَطَاء عَن ابنِ عبَّاس.

قَالَ ابنُ قُتَيْبَة: وهو قولُ أصحابِ اللُّغة، يقال: طعامٌ معرَّف، أي مطيَّب[3].

وقَرَأَ أبو مِجْلَز وأبو رجاء وابنُ مُحَيصِنٍ: «عَرَفَها لهم» بتخفيف الراء[4].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد: ٧-١٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٥٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢١٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٠).

(٤) لم نقف عليها.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: تنـصروا دينَـه ورسـولَه ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ عـلى عدوِّكـم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ عنـد القتـال.

وروى المفضل عَن عَاصِم: «ويُثْبِتْ» بالتخفيف[١].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾.

قال الفَرَّاء: المعنى: فأتْعَسَهم اللهُ، والدُّعاء قد يجري مَجرى الأمر والنهي[٢].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: هو من قولك: تَعَسْتُ، أي: عَثَرْتُ وسَقَطْتُ[٣].

وَقَالَ الزَّجَّاج: التَّعْسُ في اللغة: الانحطاط والعُثُور[٤].

ومـا بعـد هـذا قـد سبق بيانـه[٥] إلى قولـه: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: أهلكهم الله ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ أي: أمثـال تلـك العاقبة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الـذي فعلـه بالمؤمنـين مـن النَّـصر، وبالكافريـن مـن الدَّمـار ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وليُّهـم.

ومـا بعد هـذا ظاهـرٌ إلى قولـه: ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أي: إنَّ الأنعام تـأكل وتـشرب ولا تـدري ما في غـدٍ، فكذلك الكفَّـار لا يلتفتـون إلى الآخرة.

---

(١) انظـر: التحصيـل (٦/ ١٦٠)، والمحـرر الوجيـز (٥/ ١١٢)، والبحـر المحيـط (٩/ ٤٦٣)، والكامـل (ص:٦٣٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٥٨).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨).

(٥) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (١٠٩)، وتفسير سورة الكهف الآية رقم (١٠٥).

و«المثوى»: المَنْزِل.

﴿ وَكَأَيِّن ﴾ مشروحٌ في آل عمران[١]، والمرادُ بقريته مكَّة، وأضاف القوَّة والإخراج إليها، والمراد أهلها ولذلك قال: ﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه رسول الله ﷺ، قَالَهُ أبو العالية. [٧٢٦/ ب]

والثَّاني: أنَّه المؤمِن، قَالَهُ الحسَن.

وفي «البيِّنة» قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: القرآن، قَالَهُ ابن زيد.

والثَّاني: الدِّين، قَالَهُ ابن السَّائب.

﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ يعني عبادة الأوثان، وهو الكافر ﴿ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ بعبادتها.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[محمد: ١٥].

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ أي: صِفتُها، وقد شرحناه في الرعد[٢]، والمتَّقون عند المفسِّرين: الذين يتَّقون الشِّرك.

---

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٤٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٣٥).

و «الآسِن» المتغيِّر الرِّيح، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَة[١]، والزَّجَّاج[٢].

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة: هو المتغيِّر الرِّيح والطَّعم، و «الآجِن» نحوه[٣].

وقَرَأَ ابنُ كَثِير: «غيرِ أَسِنٍ» بغير مدٍّ[٤].

وقد شرحنا قوله: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ في الصَّافات[٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ أي: من عسلٍ ليس فيه عَكَرٌ ولا كَدَرٌ كعسلِ أهل الدُّنيا.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾.

قال الفَرَّاء: أراد مَن كان في هذا النَّعيم كمَن هو خالدٌ في النَّار[٦].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مَآءً حَمِيمًا﴾ أي: حارًّا شديدَ الحرارة.

والأمعاء جميع ما في البطن من الحَوَايا.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٠).

(٤) انظر: السبعة (ص:٦٠٠)، والحجة (٦/ ١٩٠)، والمبسوط (ص:٤٠٨)، والتحصيل (٦/ ١٦٠).

(٥) انظر: تفسير سورة الصافات الآية رقم (٤٦).

(٦) انظر: معاني القرآن (٣/ ٦٠).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾[محمد: ١٦-١٨].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين.

وفيما يستمعون قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه سماعُ خطبةِ رسولِ الله ﷺ يوم الجمعة.

والثَّاني: سماع قولِه على عموم الأوقات.

فأمَّا الذين أُوتُوا الْعِلْمَ، فالمراد بهم علماءُ الصحابة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: ماذا قَالَ السَّاعة؟، وهو مِنْ قولك: استأنفت الشيءَ: إذا ابتدأته، وروضةٌ أُنفٌ: لم تُرْعَ، أي: لها أوَّل يُرْعَى؛ فالمعنى: ماذا قَالَ في أوَّل وقتٍ يقرب منَّا[١].

وحُدِّثنا عَن أبي عمرَ غلام ثعلب أنَّه قال: معنى آنفًا مذ ساعة.

وقَرَأ ابنُ كَثِير، في بعض الروايات عنه: «أَنِفاً» بالقصر، وهذه قراءة عكرمة، وحميد، وابن محيصن[٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦٠٠)، والحجة (٦/ ١٩٢)، والتيسير (ص:٢٠٠)، والتحصيل (٦/ ١٦٠)، والمحرر الوجيز (٥/ ١١٥).

قال أبو عليٍّ: يجوز أن يَكُونَ ابنُ كَثِيرٍ توهَّم، مثل حاذِر وحَذِر، وفاكِه وفَكِه[1].

وفي استفهامهم قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: لأنَّهُم لم يَعْقِلوا ما يقول، ويدُلُّ عليه باقي الآية.

والثَّاني: أنَّهُم قالوه استهزاءً.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ فيهم قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّهُم المسلمون، قَالَهُ الجمهور.

والثَّاني: قومٌ من أهل الكِتَاب كانوا على الإيمان بأنبيائهم وبمحمَّدٍ ﷺ، فلمَّا بعث محمَّدٌ ﷺ آمنوا به، قَالَهُ عكرمة.

وفي الذي زادهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه الله ﷻ.

والثَّاني: قولُ الرَّسولِ ﷺ.

والثَّالِث: استهزاءُ المنافقين زادَ المؤمنين هدًى، ذكرهُنَّ الزَّجَّاج[2].

وفي معنى الهدى قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه العلمُ.

والثَّاني: البصيرةُ.

---

(١) انظر: الحجة (٦/ ١٩٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠-١١).



وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ ثلاثة أقوالٍ:

**أحدها**: ثواب تقواهُم في الآخرة، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والثَّاني**: اتِّقاء المنسوخِ والعمل بالنَّاسخ، قَالَهُ عطيَّة.

**والثَّالِث**: أعطاهم التَّقْوَى مع الهدى فاتَّقَوا معصيتَه خوفًا من عقوبته، قَالَهُ أبو سُلَيمانَ الدِّمْشقِيُّ.

و﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى ينتظرون.

﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾.

وقَرَأَ أُبيُّ بن كعب، وأبو الأشهب، وحميد: «إِنْ تَأْتِهِم» بكسر الهمزة من غير ياء بعد التاء[1].

و«الأشراط»: العلامات.

قال أبو عُبَيْدَة: الأشراطُ: الأعلام، وإنما سمِّيَ الشُّرط- فيما ترى- لأنَّهُم أعلموا أنفسهم[2].

قال المفَسِّرون: ظهورُ النبيِّ ﷺ من أشراط السَّاعة، وانشقاقُ القمر والدُّخان وغير ذلك.

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾ أي: فمن أينَ لهم ﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ السَّاعة ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤١)، والتحصيل (٦/ ١٦٠) كلاهما نسبها لأبي جعفر الرؤاسي، وغيره من أهل مكة.

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢١٥).

قال قَتَادَة: أنَّى لهم أن يذكروا ويتوبوا إذا جاءت(١). [٧٢٧/أ]

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾[محمد: ١٩-٢١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قَالَ بعضُهم: اثبت على عِلمِكَ.

وَقَالَ قوم: المرادُ بهذا الخطابِ غيرُه.

وقد شرحنا هذا في فاتحة الأحزاب، وقيل: إنَّه كان يضيق صدرُه بما يقولون، فقيل له: اعلم أنَّه لا كاشفَ لما بِكَ إلَّا الله.

فأمَّا قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ فإنَّه كان يستغفر في اليوم مِائة مرَّة، وأُمِرَ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إكرامًا لهم لأنَّه شفيعٌ مجابٌ.

**﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** متقلَّبكم في الدنيا ومثواكُم في الآخرة، وهو معنى قول ابنِ عبَّاس.

**والثَّاني:** متقلَّبَكم في أصلابِ الرِّجال إلى أرحامِ النِّساء ومقامَكم في القبور، قَالَهُ عكرمة.

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٨١)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٢٠٨) عن قَتَادَة به.



والثَّالِث: متقلَّبكم بالنَّهار ومثواكُم أي: مأواكُم باللَّيل، قَالَهُ مُقَاتِل[1].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ قَالَ المفَسِّرون: سألوا ربَّهم أن ينزِّلَ سورةً فيها ثوابُ القتال في سبيل الله، اشتياقًا منهم إلى الوحيِ وحرصًا على الجهاد فقالوا: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلَّا.

وكان أبو مالكٍ الأشجعيُّ يقول: (لا) هاهنا صلةٌ[2]، فالمعنى: لو أنزلت سورةٌ شوقًا منهم إلى الزيادة في العلمِ ورغبةً في الثَّواب والأجر بالاستكثار من الفرائض.

وفي معنى ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها التي يُذكَرُ فيها القتال، قَالَهُ قَتَادَة.

والثَّاني: أنَّها التي يُذكَرُ فيها الحلال والحرام.

والثَّالِث: التي لا منسوخَ فيها، حكاهما أبو سُلَيمانَ الدِّمشقِيُّ.

ومعنى قوله: ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي: فُرِضَ فيها الجِهَادُ.

وفي المراد بالمرض قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: النِّفاق، قَالَهُ ابن عبَّاس، والحسَن، ومُجَاهِد، والجمهور.

والثَّاني: الشَّكُّ، قَالَهُ مُقَاتِل[3].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٨).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٧٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٨).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يشـخصون نَحْـوَكَ بأبصَارِهِـمْ ينظـرون نَظَـرًا شـديدًا كـما ينظـر الشَّـاخِصُ ببـصرِه عنـد المـوت، لأَنَّهُـم يكرهـون القتـال، ويخافـون إن قَعَـدُوا أن يتبـيَّن نفاقهـم.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

قال الأصمعيُّ: معنى قولهم في التهديد: أَوْلَى لكَ؛ أي: وليُّك وقاربك ما تكرَه[١].

وَقَـالَ ابـن قُتَيْبَـة: هـذا وعيـدٌ وتهديـدٌ، تقـول للرجـل إذا أردت بـه سـوءًا ففاتـك: أَوْلى لـكَ، ثـمَّ ابتـدأ فقـال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾[٢].

وَقَالَ سيبويه والخليل: المعنى طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثل[٣].

وَقَـالَ الفَـرَّاء: الطَّاعـة معروفـةٌ في كلام العـرب إذا قيـل لهـم: افعلـوا كذلـك، قالـوا: سـمعٌ وطاعـة، فوصـف الله قولهـم قبـل أن تنـزل السُّـورة أنَّهُـم يقولـون: سـمعٌ وطاعـةٌ، فـإذا نـزلَ الأمـرُ كَرِهُـوا.

وأخـبرني حبَّـان عَـن الكلبـيِّ عَـنْ أبي صالـحٍ عَـن ابـنِ عبَّـاس قـال: قَـالَ الله تعـالى: ﴿فَأَوْلَىٰ﴾ ثـمَّ قـال: ﴿لَهُمْ﴾ أي: للذيـن آمنـوا منهـم ﴿طَاعَةٌ﴾ فصـارت «أَوْلى» وعيـدًا لمـن كَرِهَهـا، واسـتأنفَ الطاعـةَ بـ﴿لَهُمْ﴾؛ والأَوَّل عندنـا كلام العـرب، وهـذا غـير مـردودٍ، يعنـي حديـث أبي صالـح[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٢٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤١١).

(٣) ذكره الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٣)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٠/ ٢٥٠).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ٦٢).

وذكر بعض المفسِّرين أنَّ الكلام متَّصلٌ بما قبله، والمعنى: فأولى لهم أن يطيعوا وأن يقولوا معروفًا بالإجابة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾.

قال الحسَنُ: جَدَّ الأمْرُ(١).

وَقَالَ غيرُه: جدَّ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه في الجهاد، ولزم فرضُ القتال وصارَ الأمر معروفًا عليه، وجواب «إذا» محذوفٌ تقديره: فإذا [٧٢٧/ ب] عزمَ الأمرُ نَكَلُوا، يدلُّ على المحذوف ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: في إيمانهم وجهادِهم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من المعصية والكراهة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[محمد: ٢٢-٢٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ في المخاطب بهذا أربعة أقوال:

أحدها: المنافقون، وهو الظَّاهِرُ.

---

(١) لم نقف عليه من كلام الحسن، وقد رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢١٢) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

والثَّاني: منافقو اليهود، قَالَهُ مُقَاتِل[١].

والثَّالِث: الخوارج، قَالَهُ بكرُ بنُ عبد الله المزني.

والرَّابعُ: قريش، حكاه جماعةٌ منهم الماوَرْدِي[٢].

وفي قوله: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه بمعنى الإعْرَاض، فالمعنى: إنْ أَعْرَضْتُم عَنِ الإسلام ﴿أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن تَعُودوا إلى الجاهليَّة يقتلُ بعضُكم بعضًا، ويُغِيرُ بعضكم على بعضٍ، ذكره جماعة من المفسِّرين.

والثَّاني: أنَّه من الولايةِ لأمورِ النَّاس، قَالَهُ القرطبيّ. فعلى هذا يَكُون معنى ﴿أَن تُفْسِدُواْ﴾ في الأرض بالجَورِ والظلم.

وقَرَأ يعقوبُ: «وتَقْطَعوا» بفتح التَّاء والطَّاء وتخفيفها وسكون القاف[٣].

ثم ذَمَّ مَن يريد ذلك بالآية التي بعد هذه.

وما بعدَ هذا قد سَبَقَ[٤] إلى قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أم بمعنى بَلْ، وذِكْرُ الأقفالِ استعارةٌ، والمراد أنَّ القلبَ يَكُونُ كالبيت المقفل لا يَصِلُ إليه الهدى.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٨).

(٢) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٠٢).

(٣) انظر: المبسوط (ص:٤٠٩)، والتحصيل (٦/ ١٦٠).

(٤) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٨٢).



قال مُجَاهِد: الرَّان أيسَرُ من الطَّبعِ، والطَّبع أيسَرُ من الإقفالِ، والإقفال أشدُّ ذلك كلِّه[١].

وَقَالَ خالدُ بن مَعْدان: ما من آدميٍّ إلَّا وله أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه وما يصلحه من معيشته، وعينان في قلبه لدينه وما وَعَدَ الله من الغيب، فإذا أرادَ الله بعبدٍ خيرًا أبصرَتْ عيناه اللتان في قلبه، وإذا أراد به غيرَ ذلك طَمَسَ عليهما، فذلك قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ أي: رَجَعُوا كفارًا.

وفيهم قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّهم المنافقون، قَالَهُ ابنُ عبَّاس، والسُّدِّيّ، وابن زيد.

والثَّاني: أنَّهم اليهود، قَالَهُ قَتَادَة، ومُقَاتِل[٣].

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ أي: من بعد ما وَضَحَ لهم الحقُّ.

ومن قَالَ هم اليهود قال: من بعد أن تبيَّن لهم وصفُ رسول الله ﷺ ونعتُه في كتابهم.

و﴿سَوَّلَ﴾ بمعنى زيَّن ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾.

قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وزيدٌ عَن يعقوبَ: «وأُمْلِيَ لهم» بضمِّ الهمزة وكسْرِ اللام وبعدها ياء مفتوحة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٢٦٦) من رواية عبد الله بن كثير، عن مجاهد به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢١٦) من رواية ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٩).

وقَرَأَ يعقوبُ إِلَّا زيداً، وأبانُ عَنْ عَاصِم كذلك، إِلَّا أَنَّهما أسكنا الياء.

وقَرَأَ الباقون بفتح الهمزة واللام(١).

وقد سبق معنى الإملاء(٢).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: الأمرُ ذلك، أي: ذلكَ الإضلالُ بقولهم: ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾(٣).

**وفي الكارهين قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُم المنافقون، فعلى هذا في مَعْنَى قَولِه: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ **ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** في القعود عَن نُصْرَةِ محمَّد ﷺ، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والثَّاني:** في الميلِ إليْكُم والمظَاهَرة على محمَّد ﷺ.

**والثَّالِث:** في الارتداد بعدَ الإيمان، حَكَاهما الماوَرْدِيُّ(٤).

**والثَّاني:** أَنَّهُم اليهود، فعلى هذا في الذي أطاعوهم فيه **قَوْلان:**

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠٠)، والحجة (٦/ ١٩٤)، والمبسوط (ص:٤٠٨)، والتيسير (ص:٢٠١)، والتحصيل (٦/ ١٦٠).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٧٨)، وتفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٨٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٤).

(٤) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٠٣).



أَحَدُهُمَا: في أن لا يصدِّقوا شيئًا من مقالةِ رسولِ الله ﷺ، قَالَهُ الضَّحَّاك.

والثَّاني: في كَتْمِ ما عَلِمُوه من نبوَّته، قَالَهُ ابن جُريج.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

قَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وخَلَف، وحَفْص عَن عَاصِم، والوليدُ عَن يعقوب: بكسر الألف على أنَّه مصدر أسررت.

[٧٢٨/أ] وقَرَأَ الباقون: بفتحها على أنَّه جمع سِرٍّ[1]، والمعنى: أنَّه يعلم ما بين اليهود والمنافقين من السِّرِّ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: فكيف يَكُون حالهم حينئذٍ.

وقد بيَّنا في الأنفال[2] معنى قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي: كَرِهُوا ما فيه الرِّضوان، وهو الإيمان والطَّاعة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠١)، والحجة (٦/ ١٩٦)، والمبسوط (ص:٣٠٩)، والتيسير (ص:٢٠١)، والتحصيل (٦/ ١٦١).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٥٠).

تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[محمد: ٢٩-٣٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: نفاقٌ ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾.

قال الفَرَّاء: أي: لن يُبْدِيَ الله عداوتَهم وبُغضَهم لمحمَّدٍ ﷺ[١].

وَقَالَ الزَّجَّاج: أي: لن يُبْدِيَ عداوتَهم لرسوله ﷺ ويظهرَه على نفاقهم[٢].

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ أي: لعَرَّفْنَاكَهُم، تقول: قد أريتك هذا الأمر أي قد عرَّفتُكَ إيَّاه، المعنى: لو نشاء لجعلنا على المنافقين عَلامَةً وهي السِّيَماء ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: بتلك العَلامة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: في فَحْوَى القولِ.

فدلَّ بهذا على أنَّ قولَ القائلِ وفعلَه يدلُّ على نيَّته.

وقولُ النَّاس: قد لَحَنَ فلانٌ، تأويلُه: قد أخذ في ناحية عَن الصَّواب، وَعدَلَ عَن الصَّواب إليها، وقول الشاعر[٣]: [من الخفيف]

مَنْطِقٌ صائِبٌ وتَلْحَنُ أَحْياناً  وخيرُ الحديثِ مَا كانَ لَحْناً

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٦٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٥).

(٣) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري في العشرات في غريب اللغة (ص:١٣٢)، ولسان العرب (١٣/ ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢) (لحن)، والشعر والشعراء (٢/ ٧٦٩)، وبلا نسبة في الزاهر (١/ ٣٠٥)، والأضداد (ص:٢٤١)، وتهذيب اللغة (٥/ ٤٠)، وأساس البلاغة (لحن).

تأويلـه: خـيرُ الحديـث مـن مثـل هـذه مـا كان لا يَعرِفُـه كلُّ أحـدٍ إنَّـما يعـرف قولهـا في أنحـاء قولهـا.

قـال المفَسِّرُون: ولتعرفَنَّهـم في فَحْـوَى الـكلام ومَعْنَـاهُ ومقصـده فإنَّهـم يتَعَرَّضُـون بتهجـين أَمْـرِكَ والاسـتهزاء بالمسـلمين.

قَالَ ابْنُ جرير: ثمَّ عرَّفه اللهُ إيَّاهم(١).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ أي: ولَنُعَامِلَنَّكـم معاملـةَ المخْتَـبِرِ بـأن نأمرَكُم بالجهـاد ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ العلـم الـذي هـو علـم وجـود، وبـه يقـع الجـزاءُ؛ وقـد شرحنـا هـذا في العنكبـوت(٢).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ أي: نُظْهِرَهـا ونكشِـفها بإبـاءِ مَـن يأبـى القتـال ولا يصـبر عـلى الجهـاد.

وقَـرَأَ أبـو بكـرٍ عَـن عَاصِـم: «وَليَبْلُوَنَّكـم» باليـاء «حتـى يَعْلَـمَ» باليـاء «ويبلـو» باليـاء فيهـنَّ(٣).

وقَرَأَ معاذ القارئ، وأيُّوب السِّختياني: «أَخْيَارَكُم» بالياء جمع «خيِّر»(٤).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

**أحدها:** أنَّها في المطعمين يوم بدرٍ، قَالَهُ ابن عبَّاس.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٢٢).

(٢) انظر: تفسير سورة العنكبوت الآية رقم (٣).

(٣) انظر: السبعة (ص:٦٠١)، والحجة (٦/ ١٩٧)، والمبسوط (ص:٤٠٩)، والتحصيل (٦/ ١٦١).

(٤) لم نقف عليها.

والثَّاني: أنَّها نَزَلَتْ في الحارث بنِ سُوَيدٍ ووحوح الأنصاري أسْلَما ثمَّ ارتدَّا، فتابَ الحارثُ ورَجَعَ إلى رسول الله ﷺ، وأبى صاحبُه أن يرجِعَ حتَّى مات، قَالَهُ السُّدِّيّ.

والثَّالِث: أنَّها في اليهود، قَالَهُ مُقَاتِل[1].

والرَّابعُ: أنَّها في قريظة والنضير، ذكره الواحِديّ[2].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ اختلفوا في مُبْطِلِهَا على أربعة أقوال:

أحدها: المعاصي والكبائر، قَالَهُ الحسن.

والثَّاني: الشَّكُّ والنِّفاق، قَالَهُ عَطَاء.

والثَّالِث: الرِّياء والسُّمعة، قَالَهُ ابن السَّائب.

والرَّابِعُ: بالمنِّ وذلك أنَّ قومًا من الأعراب قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: أتيناك طائعين فلنا عليك حقٌّ فنزلت هذه الآية، ونزل قولُه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ [الحجرات: ١٧] هذا قول مُقَاتِل[3].

قال القاضي أبو يَعْلى: وهذا يدلُّ على أنَّ كلَّ مَن دخل في قربة لم يجز له الخروج منها قبل إتمامها، وهذا على ظاهره في الحجِّ فأمَّا في الصلاة والصيام فهو على سبيل الاستحباب.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٤/ ١٢٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥١).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[محمد: ٣٥-٣٨].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أي: فلا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، ونَافِعٌ، وأَبُو عَمْرو، وابن عَامِرٍ، والكِسَائِيّ، وحَفْص عَن عَاصِم: ﴿إِلَى السَّلْمِ﴾ بفتح السِّين.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، وأبو بكرٍ عَن عَاصِم: بكسر السِّين[1]، والمعنى: لا تدعوا [٧٢٨/ ب] الكفَّار إلى الصُّلح ابتداءً.

وفي هذا دلالةٌ على أنَّه لا يجوز طلبُ الصُّلح من المشركين، ودلالة على أن النبيَّ ﷺ لم يدخل مكّة صلحًا لأنَّه نهاه عَن الصلح.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي: أنتم أعزُّ منهم والحجَّة لكم وآخر الأمر لكم وإن غَلَبُوكم في بعض الأوقات ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعَونِ والنُّصرة ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾.

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠١)، والحجة (٦/ ١٩٨)، والمبسوط (ص:٤٠٩)، والتيسير (ص:٢٠١)، والتحصيل (٦/ ١٦١).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: لن يَنْقُصَكم ولن يَظْلِمَكم، يقال: وتَرْتَني حَقِّي، أي: بَخسْتَنِيه[١].

قال المفَسِّرون: المعنى لن ينقصكم من ثوابِ أعمالكم شيئًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي: لن يسألكموها كلّها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾.

قال الفَرَّاء: يُجْهِدكم[٢].

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: يُلِحُّ عليكم بما يوجِبُه في أموالكم تَبْخَلُوا، يقال: أحْفاني بالمسألة وألْحَف: إذا ألَحَّ[٣].

وَقَالَ السُّدِّيّ: إن يسألْكم جميعَ ما في أيديكم ﴿تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾[٤].

وقَرَأَ سعدُ بنُ أبي وقاص، وابنُ عبَّاس، وابن يعمر: «ويُخْرَج» بياء مرفوعة وفتح الراء «أضغانُكم» بالرَّفع[٥].

وقَرَأَ أُبَيُّ بنُ كعبٍ، وأبو رزين، وعكرمة، وابن السَّمَيفَع، وابنُ محيصن، والجَحدَريّ: «وتَخْرُج» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفع الرَّاء «أضغانُكم» بالرّفع[٦].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤١١).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٦٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤١١).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٣٠).

(٥) لم نقف عليها.

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٢) نسبها لابن عبَّاس، وابن سيرين، وأيوب بن=

وقَـرَأَ ابـنُ مسـعودٍ، والوليـد عَـن يعقـوب: «ونُخْـرِج» بنـون مرفوعـة وكسر الـرَّاء «أضغانَكـم» بنصـب النُّـون[1]، أي: يُظهـر بُغضَكـم وعداوتَكـم لله ولرسـولِه ﷺ، ولكنَّـه فـرض عليكـم يسـيراً.

**وفيمَن يضاف إليه هذا الإخراج وجهان:**

**أَحَدُهُمَا:** إلى الله ﷻ.

**والثَّاني:** البُخل، حكاهما الفَرَّاء[2].

وقـد زعـم قـومٌ أنَّ هـذه الآيـة منسـوخةٌ بآيـة الـزكاة، وليس بصحيـحٍ لأنَّا قـد بيَّنَّـا أنَّ معنـى الآيـة: إن يسـألْكم جميـعَ أموالكم، والـزكاةُ لا تنـافي ذلك.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنـي مـا فـرض عليكـم في أمولكـم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بـما فُـرِضَ عليـه مـن الـزَّكاة ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: عـلى نفسِـه بـما ينفعهـا في الآخـرة ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عنكـم وعَـن أموالكـم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إليـه إلى مـا عنـده مـن الخـير والرَّحمـة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ عَـن طاعتـه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أطـوعُ

=المتـوكل، وفي التحصيـل (٦/ ١٦١) نسـبها لابـن عبَّـاس وغـيره، وفي البحـر المحيـط (٩/ ٤٧٧) نسـبها لابـن عبَّـاس، ومجاهـد، وابـن سـيرين، وابـن محيصـن، وأيـوب بـن المتـوكل، واليـماني.

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٤٢) نسـبها لابـن عبَّـاس، وفي التحصيـل (٦/ ١٦١) نسـبها للوليـد عـن يعقـوب الحضرمـي، وفي المحرر الوجيـز (٥/ ١٢٣)، والبحـر المحيـط (٩/ ٤٧٧) كلاهمـا نسـبها ليعقـوب.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٦٤).

له منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ بل خيرًا منكم.

**وفي هؤلاء القوم ثمانية أقوال:**

**أحدها:** أنَّهُم العَجَمُ، قَالَهُ الحسن.

وفيه حديثٌ يرويه أبو هريرة قال: لما نزلت: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ كان سلمانُ إلى جنبِ رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله مَنْ هؤلاء الذين إذا تولينا استبدلوا بنا؟ فضرب رسولُ الله عليه السلام يدَه على مَنْكِبِ سلمان فقال: «**هَذَا وَقَوْمُهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ الدِّينَ مُعَلَّقٌ بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ**»[1].

**والثَّاني:** فارسُ والرُّوم، قَالَهُ عكرمة.

**والثَّالِث:** مَن يشاء من جميع النَّاس، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والرَّابِعُ:** يأتي بخلقٍ جديدٍ غيركم، وهو معنى قول قَتَادَة.

**والخَامِسُ:** كندة والنخع، قَالَهُ ابن السَّائب.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٢٦١)، وابن حبان في صحيحه (٧١٢٣) من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة به.
وهو في صحيح البخاري (٤٨٩٧) - لكن في تفسير آية أخرى - من حديث أبي هريرة قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ﴾ [الجمعة: ٣] قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثًا، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثمَّ قال: «**لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلَاءِ**».

والسَّادِسُ: أهلُ اليمن، قَالَهُ راشدُ بن سعد وعبدُ الرحمن بن جبير وشريح بن عبيد.

والسَّابعُ: الأنصارُ، قَالَهُ مُقَاتِل[(١)].

والثَّامِنُ: أنَّهُم الملائكة، حكاه الزَّجَّاجُ[(٢)]، وقال: فيه بعدٌ لأنَّه لا يقال للملائكة قومٌ إنَّما يقال ذلك للآدميين، قال: وقد قيل: إن تولَّى أهلُ مكَّة [٧٢٩/أ] استبدل الله بهم أهلَ المدينة، وهذا معنى ما ذكرنا عَن مُقَاتِل[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥٤).



وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[الفتح: ١-٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآية.

سببُ نزولها: أنَّه لما نَزَلَ قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:٩] قَالَ اليهود: كيف نتَّبعُ رجلاً لا يَدْرِي ما يُفعَلُ به؟ فاشتدَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه عَطَاء عَن ابن عبَّاس[(١)].

**وفي المراد بالفتح أربعةُ أقوالٍ:**

**أحدها:** أنَّه كان يومَ الحديبية، قَالَهُ الأكثرون.

قال البراءُ بنُ عازبٍ: نحن نعُدُّ الفتح بيعةَ الرِّضوان[(٢)].

وَقَالَ الشَّعبي: هو فتحُ الحديبية، غفرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وأطعموا نخلَ خَيْبر، وبلغ الهدي محلّه، وظهرت الرُّوم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهلِ الكِتَاب على المجوس[(٣)].

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٤٣) من رواية أبي إسحاق، عن البراء به.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٤٢).



قال الزُّهريُّ: لم يكن فتحٌ أعظمُ من صلح الحديبية، وذلك أنَّ المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامَهم فتمكَّن الإسلامُ في قلوبهم وأسلمَ في ثلاث سنين خلقٌ كثيرٌ، وكثر بهم سواد الإسلام(١).

قال مُجَاهِد: يعني بالفتح ما قضى الله له من نَحْرِ الهدي بالحديبية وحلْقِ رأسه(٢).

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة: إنَّا فتحنا لك فتحًا مبينًا أي: قضينا لك قضاءً عظيمًا، ويقال للقاضي: الفتَّاح(٣).

قال الفَرَّاء: والفتحُ قد يَكُون صلحًا، ويَكُون أخذُ الشَّيء عنوةً، ويَكُون بالقتال(٤).

وَقَالَ غيره: معنى الفتح في اللُّغة فتح المنغلقِ، والصُّلح الذي جعل مع المشركين بالحديبية كان مسدودًا متعذِّرًا حتَّى فتحَه الله تعالى.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣١٨) من رواية ابن إسحاق، عن الزهري به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٣٨) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٦٠٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ٦٤).

## الإشارة إلى قصة الحديبية

رَوَتْ عائشةُ ﵂ أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى في النَّوم كأنَّ قائلاً يقولُ له: لتدخلنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين، فأصبحَ فحدَّث النَّاس برؤياه وأمرَهم بالخروج للعمرة. فذكر أهلُ العلم بالسِّيَرِ[1] أنَّه خرج واستنفرَ أصحابَه للعُمرة، وذلك في سَنَة ستٍّ ولم يخرج بسلاحٍ إلَّا السيوف في القرب، وساقَ هو وأصحابُه البُدْنَ فصَلَّى الظُّهر بذي الحُلَيْفة ثمَّ دعا بالبُدْنِ فجُلِّلَتْ، ثمَّ أشْعَرَها وقلَّدها، وفعل ذلك أصحابُه، وأحرمَ ولبَّى، فبلغَ المشركينَ خروجُه، فأجمع رأيُهم على صَدِّه عَن المسجدِ الحرام، وخرجُوا حتَّى عسكروا بـبَلْدَح، وقدَّموا مِائتي فارسٍ إلى كُراع الغميم، وسارَ رسولُ الله ﷺ حتَّى دَنَا من الحديبية. قَالَ الزَّجَّاجُ: وهي بئرٌ، فسمِّيَ المكانُ باسم البئر، قالوا: وبينها وبين مكَّة تسعةُ أميال، فوقفت يَدَا راحلته، فقال المسلمون: حَلْ حَلْ، يَزْجُرُونها، فأبَتْ، فقالوا: خَلأَت القصْواءُ- والخِلاءُ في النَّاقة مثل الحِران في الفَرَس- فقال: «**مَا خَلأَتْ، وَلَكِنْ حَبَسها حَابِسُ الفِيلِ، أَمَا وَاللهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً فِيهَا تَعْظِيمُ حُرْمَةِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُم إِيَّاهَا**»، ثمَّ جرَّها فقامت، فولَّى راجعاً عَوْده على بَدْئه حتَّى نَزَلَ على ثمدٍ من أثماد الحديبية قليلِ الماء، فانتزعَ سهماً من كِنَانَتِه فغرزه فيها، فجَاشَتْ لهم بالرَّواء، وجاءه بُدَيْل بن وَرْقَاء في ركبٍ فسلَّموا وقالوا: جئناك من عند قومك وقد استنفروا لكَ الأحابيش ومَن أطاعهم، يُقْسِمون، لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتَّى تُبيد خَضْراءَهم، فقال [٧٢٩/ ب] رسول الله ﷺ: «**لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ إِنَّمَا جِئْنَا لِنَطُوفَ بِهَذَا الْبَيْتِ فَمَنْ صَدَّنَا**

(١) انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٢/ ٩٥).



عَنْـهُ قَاتَلْنَـاهُ». فرجـعَ بديل فأخبر قريشـاً، فبعثوا عـروة بن مسـعود، فكلَّمه بنحو ذلـك، فأخـبرَ قريشـاً، فقالـوا: نَـرُدُّه مِـن عامِنـا هـذا، ويَرْجِع مـن قابِـلٍ فيَدْخُل مكَّـة ويطـوف بالبيت، فأرسـلَ رسـولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفّـان، قـال: «**اذْهَبْ إِلَى قُرَيْـشٍ فَأَخْبِرْهُـمْ أَنَّا لَمْ نَـأْتِ لِقِتَالِ أَحَـدٍ وَإِنَّمَا جِئْنَـا زُوَّارًا لِهَذَا الْبَيْـتِ، مَعَنَا الْهَدْيِ نَنْحَـرَهُ وَنَنْـصَرِفُ**»، فأتاهـم فأخبرهـم، فقالـوا: لا كان هـذا أبـداً، ولا يَدخُلها العـامَ، وبَلَـغَ رسـولَ الله ﷺ أنَّ عثمانَ قَـدْ قُتِلَ، فقـال: «**لا نَبْرَحُ حَتَّـى نُنَاجِزَهُمْ**»، فـذاكَ حـين دَعَا المسـلمين إلى بيعـة الرِّضـوان، فبايعهـم تحت الشَّـجرة[١].

**وفي عددهم يومئذ أربعة أقوال:**

**أحدهـا**: ألـفٌ وأربعمائـة، قَالَـهُ الـبراء، وسـلمةُ بـن الأكـوع، وجابـر ومعقـل بـن يسـار.

**والثَّاني**: ألفٌ وخمسمِائة، روي عَن جابر أيضًا، وبه قَالَ قَتَادَة.

**والثَّالِث**: ألفٌ وخمسِمائة وخمسٌ وعشرون، رواه العوفي عَن ابن عبَّاس.

**والرَّابعُ**: ألفٌ وثلاثمِائة، قَالَهُ عبد الله بن أبي أوفى.

قـال: وضربَ يومئـذ رسـولُ الله ﷺ بشـماله عـلى يمينـه لعثـمان وقـال: إنَّه ذهـب في حاجـة الله ورسـوله. وجعلـت الرُّسُـل تختلـفُ بينهـم فأجمعـوا عـلى الصُّلـح فبعثـوا سُـهَيلَ بـنَ عمـرو في عـدَّة رجـالٍ فصالحـه كـما ذكرنا في بـراءة[٢] فأقـام بالحديبيـة بضعـةَ عـشر يومًـا، ويقـال: عشريـن ليلـة ثـمَّ انصرف فلـمَّا كان

(١) قصة الحديبية رواها البخاري في صحيحه (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة، ومروان.

(٢) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (٧).

بـ«ضَجَنَان» نَزَلَ عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فقال جبريل: يهنيك يا رسول الله وَهَنَّأَهُ المسلمون[١].

**والقول الثَّاني**: أنَّ هذا الفتحَ فتحُ مكَّة، رواه مسروق عَن عائشة، وبه قَالَ السُّدِّيّ.

وَقَالَ بعضُ مَن ذهب إلى هذا: إنَّما وعِدَ بفتح مكَّة بهذه الآية.

**والثَّالِث**: أنَّه فتحُ خَيبَرَ، قَالَهُ مُجَاهِد، والعوفي، وعَن أنس بن مالك كالقولين.

**والرَّابعُ**: أنَّه القضاءُ له بالإسلام، قَالَهُ مُقَاتِل[٢].

وَقَالَ غيرُه: حكمنا لك بإظهار دينك والنُّصْرَةِ على عدوِّكَ.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾.

قال ثعلبُ: اللام لامُ كَيْ، والمعنى: لكَيْ يجتمعَ لكَ مع المغفرة تمامُ النِّعمة في الفتح فلمَّا انضمَّ إلى المغفرة شيءٌ حادثٌ حَسُنَ معنى كي، وغلَّطَ من قال: ليس الفتح سبب المغفرة.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: والمعنى ما تقدَّم في الجاهليَّة وما تأخَّر ما لم تعلمه[٣].

وهذا على سبيلِ التأكيد كما تقول: فلانٌ يضرب مَن يلقاه ومَن لا يلقاه.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٢/ ٩٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٦٥).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٤/ ١٣٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّ ذلك في الجنَّة.

والثَّاني: أنَّه بالنُّبُوَّة والمغفرة، رُوِيَا عَنِ ابنِ عبَّاس.

والثَّالِث: بفتح مكَّة والطَّائف وخَيبر، حكاه الماوَرْدِيّ[1].

والرَّابعُ: بإظهارِ دينكَ على سائر الأديان، قَالَهُ أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: ويثبتك عليه، وقيل ويهدي بك ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ على عَدُوِّك ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

[٧٣٠/أ] قال الزَّجَّاجُ: أي: نصرًا ذا عزٍّ لا يقع معه ذُلّ[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٤-١٠].

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٠).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي: السُّـكون والطُّمَأنينـة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لئـلّا تنزعـجَ قلوبُهـم لمـا يـردُ عليهـم فسـلَّموا لقضـاءِ الله وكانـوا قـد اشـتدَّ عليهـم صـدُّ المشركـين لهـم عَـن البيـتِ، حتَّـى قَـالَ عمـر: عـلامَ نُعطِـي الدَّنِيَّـةَ في ديننـا، فقـال رسـولُ الله ﷺ: «أَنَـا عَبْـدُ اللهِ وَرَسُـولُهُ لَـنْ أُخَالِـفَ أَمْـرَهُ وَلَـنْ يُضَيِّعَنِـي»[١]، ثـمَّ أوقـعَ اللهُ الـرِّضَى بـما جـرى في قلـوب المسـلمين فسَـلَّمُوا وأطاعـوا.

﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ وذلك أنَّه كلَّما نزلت فريضةٌ زادَ إيمانُهم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريـدُ: أنَّ جميـعَ أهلِ السَّـموات والأرض ملـكٌ لـه لو أراد نـصرةَ نبيِّـه بغيركم لفعَـلَ، ولكنَّـه اختاركم لذلك فاشـكروه.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية.

سـببُ نزولهـا: أنَّـه لمـا نَـزَلَ قولُـه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قَـالَ أصحـابُ رسُـول الله ﷺ: هنيئًـا لـك يـا رسُـول الله بـما أعطـاك الله فـما لنـا؟ فنَزَلَـتْ هـذه الآيـة، قَالَـهُ أنـسُ بـن مالـك[٢].

قـال مُقَاتِـل: فلـمَّا سَـمِعَ عبـد الله بـن أُبَيّ بذلـك انطلـق في نفـرٍ إلى رسـول الله ﷺ فقالـوا: مـا لنـا عنـد الله فنزلـت: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ الآيـة[٣].

---

(١) رواه البخـاري في صحيحـه (٣١٨٢، ٤٨٤٤)، ومسـلم في صحيحـه (١٧٨٥) عـن سـهل بـن حنيـف بلفـظ: «يَـا ابْـنَ الْخَطَّـابِ، إِنِّي رَسُـولُ اللهِ وَلَـنْ يُضَيِّعَنِـي اللهُ أَبَـدًا».

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٤٠) من رواية قَتَادَة، عن أنس بن مالك به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٦٦).

قَالَ ابْنُ جريرٍ: كُرِّرَتِ اللام في «لِيُدْخِلَ» على اللام في «لِيَغْفِرَ»، فالمعنى: إنَّا فتحنا لك ليغفرَ لكَ الله ليدخل المؤمنين، ولذلك لم يدخل بينهما واو العطف، والمعنى: ليدخل وليعذِّب[1].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير وأَبُو عَمْرو بضمِّ السِّين، والباقون بفتحها[2].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الوَعْدُ بإدخالهم الجنَّة وتكفير سيِّئاتِهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ والمعنى: أنَّه حَكَمَ لهم بالفَوزِ فلذلك وعدهم إدخال الجنَّة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ:

**أحدُهَا**: أنَّهُم ظنُّوا أنَّ لله شريكًا.

**والثَّاني**: أنَّ الله لا يَنصُر محمّدًا وأصحابه.

**والثَّالِث**: أنَّهُم ظَنُّوا به حينَ خَرَجَ إلى الحديبيةِ أنَّه سيقتل أو يهزم ولا يعود ظافرًا.

**والرَّابعُ**: أنَّهُم ظنُّوا أنَّهُم ورسول الله ﷺ بمنزلةٍ واحدةٍ عند الله.

**والخَامِسُ**: ظنُّوا أنَّ الله لا يبعث الموتَى، وقد بينَّا معنى دائرة السّوء في براءة[3].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٤٧).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦٠٣)، والحجة (٦/ ٢٠٠)، والمبسوط (ص:٢٢٨).

(٣) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (٩٨).

وما بعدَ هذا قد سَبَقَ بيانُه[١] إلى قوله: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾.

قَـرَأَ ابـنُ كَثِـيرٍ وأَبُـو عَمْـرٍو: «لِيُؤْمِنـوا» باليـاء «ويُعـزِّروه ويُوقِّـروه ويُسـبِّحوه» كلُّهـن باليـاء، والباقـون: بالتَّـاء[٢]، عـلى معنـى: قُـلْ لهـم: إِنَّـا أرسـلناكَ لتؤمنـوا.

وقَرَأَ عليُّ بن أبي طالب وابنُ السَّمَيفَع: «ويُعَزِّزوه» بزاءين[٣].

وقـد ذكرنـا في الأعـراف[٤] معنـى ويُعَـزِّروه عنـد قولِـه: ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ [الأعـراف:١٥٧].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي: يعظِّموه ويبجِّلُوه.

واختارَ كثيرٌ من القرَّاء الوقفَ هاهنا لاختلاف الكناية فيه وفيما بعده.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ هـذه الهـاء ترجـعُ إلى الله ﷻ، والمرادُ بتَسْبِيحِهِ هاهنـا الصَّـلاة له.

قـال المفَسِّرُونَ: والمـراد بصـلاةِ البُكْـرَةِ الفجـرُ، وبصـلاة الأصيـلِ باقـي الصلـوات الخمـس.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ يعني بيعةَ الرضوان بالحديبية.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأحزاب الآية رقم (٤٥)، وتفسير سورة الفتح الآية رقم (٤).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦٠٣)، والحجة (٦/ ٢٠٠)، والتيسير (ص:٢٠١)، والتحصيل (٦/ ١٧٩).

(٣) في الكشـف والبيـان (٩/ ٤٣) نسـبها لمحمـد بـن السـميفع، وفي المحـرر الوجيـز (٥/ ١٢٩) نسـبها لمحمـد بـن السـميفع اليـماني، وابـن عبَّـاس.

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٥٧).

وعلى ماذا بايعوه؟ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُم بايَعُوهُ على الموْتِ، قَالَهُ عبادة بن الصامت.

والثَّاني: على أن لا يفرُّوا، قَالَهُ جابر بن عبد الله.

ومعناهما متقاربٌ لأَنَّه أرادَ على أن لا تفرُّوا ولو متُّم، وسمِّيَت بيعة لأَنَّهُم باعوا أنفسَهم منَ الله بالجَنَّة، وكان العقدُ مع رسُول الله ﷺ فكأَنَّهُم بايعوا اللهَ ﷻ لأَنَّه ضَمِنَ لهم الجَنَّة بوفائهم. [٧٣٠/ب]

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: يَدُ الله في الوفاء فوقَ أيديهم.

والثَّاني: يدُ الله في الثَّواب فوقَ أيديهم.

والثَّالِث: يد الله عليهم في المنَّة بالهداية فوقَ أيديهم بالطَّاعة، ذكر هذه الأَقْوَال الزَّجَّاج[1].

والرَّابِعُ: قوَّة الله ونصرتُه فوقَ قوَّتِهم ونصرتهم، ذكره ابن جرير[2] وابنُ كَيسَان.

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ أي: نَقَضَ ما عَقَدَه من هذه البَيعَة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ أي: يرجِعُ ذلك النَّقضُ عليه ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ من البيعة ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٥٤).

قَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ، ونَافِعٌ، وابنُ عَامِرٍ، وأبان عَن عَاصِم: «فسنُؤتيه» بالنُّون.

وقَرَأَ عَاصِمٌ، وأَبُو عَمْرٍو، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيّ: بالياء(١).

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنَّة.

قَالَ ابْنُ السَّائب: فلم ينكث العَهدَ منهم غير رجلٍ واحدٍ يقال له الجد بن قيس، وكان منافقًا.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١١-١٤].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾.

قَالَ ابْنُ إسحاق: لما أرادَ العُمْرَةَ استَنْفَرَ مَن حَولَ المدينة مِن أهلِ البَوَادي والأعراب ليخرجوا معه خوفًا من قَومه أن يعرضوا له بحربٍ أو بصَدٍّ، فتثاقل عنه كثيرٌ منهم، فهم الذين عَنَى اللهُ بقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠٣)، والحجة (٦/ ٢٠١)، والتيسير (ص:٢٠١)، والتحصيل (٦/ ١٧٩).

قـال أَبُـو صَالِـح عَـن ابـنِ عبَّـاس: وهـم غفـار ومزينـة وجهينـة وأشـجع والديل وأسـلَم.

قـال يونـسُ النحـوي: الدِّيـل في عبـد القيـس سـاكن اليـاء، والـدُّول مـن حنيفـة سـاكنُ الـواو، والدُّئـل في كنانـة رهـطُ أبي الأسـود الـدُّؤلي[١].

فأمَّا المخلَّفون فإنَّهم تخلَّفوا مخافةَ القتل.

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ أي: خِفْنـا عليهـم الضَّيعـة ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: ادْعُ اللهَ أن يَغفِـرَ لنـا تخلُّفَنـا عنـكَ ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: مـا يبالـون اسْـتَغْفَرْتَ لهـم أمْ لم تَسْـتَغْفِرْ لهـم.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾.

قَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وخَلَفُ: «ضُرًّا» بضمِّ الضَّاد، والباقون: بالفتح[٢].

قـال أبـو علـيٍّ: «الـضَّرُّ» بالفتـح: خـلافُ النَّفـع، وبالضـمِّ: سـوءُ الحـال، ويجـوز أن يَكُونـا لغتـين كالفَقْـر والفُقْـر[٣].

وذلـك أنَّهـم ظنُّـوا أنَّ تخلُّفَهـم يدفـعُ عنهـم الـضَّرَّ، ويعجِّـل لهـم النَّفـع بسـلامة أنفسِـهم وأموالهـم، فأخبرَهـم الله تَعَـالى أنَّـه إنْ أرادَ بهـم شـيئاً، لم يَقْـدِر أحـدٌ عـلى دفعـه عنهـم.

---

(١) انظر: شرح كتاب سيبويه؛ لأبي سعيد السيرافي (١/ ٣٠١)، ولسان العرب (١١/ ٢٣٤).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦٠٤)، والحجة (٦/ ٢٠٢)، والمبسوط (ص:٤١٠)، والتيسير (ص:٢٠١)، والتحصيل (٦/ ١٧٩).

(٣) انظر: الحجة (٦/ ٢٠٢).

﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ مِنْ تخلُّفِهم وقولهم عَنِ المسلمين أنَّهُم سيهلكون وذلِكَ قوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾ أي: توهَّمتُم ﴿أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ﴾ أي: لا يرجعون إلى المدينة، لاستِئْصَالِ العَدُوِّ إيَّاهم، ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وذلكَ من تزيين الشَّيطان.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ قد ذكرناه في الفرقان[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥].

وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلَّفوا عَن الحُدَيبِيَة ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ وذلك أنَّهُم لما انْصَرَفُوا عَن الحديبية بالصُّلح وعَدَهُمُ اللهُ فتحَ خَيبر، وخصَّ بها مَن شَهِدَ الحديبية فانطلقوا إليها، فقال هؤلاء المخلَّفون: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾.

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وخَلَفُ: «أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ الله» بكسر اللام[٢].

وفي المعنى قَوْلان: [٧٣١/أ]

أَحَدُهُمَا: أنَّه مواعيد الله بغَنِيمَةِ خَيبر لأهلِ الحُدَيبِية خاصَّة، قَالَهُ ابن عبَّاس.

---

(١) انظر: تفسير سورة الفرقان الآية رقم (١٨).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والحجة (٦/ ٢٠٢)، والمبسوط (ص: ٤١٠)، والتيسير (ص: ٢٠١)، والتحصيل (٦/ ١٧٩).



والثَّاني: أمرُ الله نبيَّه أن لا يسيرَ معه منهم أحَدٌ، وذلك أنَّ الله وعَدَه وهو بالحديبية أن يفتحَ عليه خَيبر، ونهاه أَنْ يَسِيرَ معه أحدٌ من المتخلِّفين، قَالَهُ مُقَاتِل[1].

وعلى القَولَين: قَصَدُوا أن يجيزَ لهم رسولُ الله ﷺ ما يخالِفُ أَمْرَ الله، فيَكُون تبديلاً لأمرِه.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: قَالَ إنَّ غَنَائِمَ خَيبر لمن شَهِدَ الحديبية، وهذا على القول الأوَّل.

والثَّاني: قَالَ لن تَتَّبِعُونا، وهذا قَولُ مُقَاتِل[2].

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: يمنعكم الحسَدُ من أن نُصيبَ معكم الغنائمَ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الفتح: ١٦-١٧].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ المعنى: إن كنتم تُرِيدُونَ الغَزْوَ والغَنِيمةَ فستُدعَون إلى جهاد قومٍ ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٢).

**وفي هؤلاء القوم ستَّة أقوالٍ:**

**أحدهـا**: أَنَّهُـم فـارس، رواه ابـن أبي طَلْحـة عَن ابن عبَّـاس، وبه قَـالَ عَطَاء بـن أبي رَبـاح، وعَطَاء الخُراسَـاني، وابنُ أبي لَيـلى، وابنُ جُرَيـج في آخرين.

**والثَّاني**: فارس والرُّوم، قَالَهُ الحسَن، ورواه ابن أبي نجيح عَن مُجَاهِد.

**والثَّالِث**: أَنَّهُم أهلُ الأوثان، رواه ليث عَن مُجَاهِد.

**والرَّابعُ**: أَنَّهُم الرُّوم، قَالَهُ كعب.

**والخَامِسُ**: أَنَّهُـم هـوازن وغطفـان وذلـك يـوم حُنَـينٍ، قَالَـهُ سـعيدُ بـن جُبَـير، وقَتَـادَة.

**والسَّـادِسُ**: بَنُـو حنيفـةَ يـومَ اليمامـة وهـم أصحـابُ مُسَـيْلَمَة الكـذَّاب، قَالَـهُ الزُّهـري، وابـنُ السَّـائب، ومُقَاتِـل[١].

قال مُقَاتِل: خلافةُ أبي بكرٍ في هذه الآية بيِّنَةٌ مؤكَّدة[٢].

وَقَـالَ رافـعُ بـنُ خديـج: كنَّـا نقَـرَأ هـذه الآيـة ولا نعلـم مَـن هُـم، حتَّـى دَعَـى أبـو بكـرٍ إلى قتـال بنـي حنيفـة، فعلمنـا أَنَّهُـم هـم[٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٣).

(٣) ذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (٩/ ٤٦)، والواحـدي في التفسـير الوسـيط (٤/ ١٣٨)، والتفسـير البسـيط (٢٠/ ٣٠٠)، وابـن عطيـة في المحـرر الوجيـز (٥/ ١٣٢)، وأبـو حيـان في البحـر المحيـط (٩/ ٤٩٠).

وَقَالَ بعضُ أهلِ العلم: لا يجوز أن تكُون هذه الآية إلَّا في العرب لقوله: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾ وفارس والرُّوم إنَّما يقاتَلُون حتَّى يسلموا أو يؤدُّوا الجزية، وقد استدلَّ جماعةٌ من العلماء على صحَّة إمامةِ أبي بكرٍ وعمر بهذه الآية، لأنَّه إن أُرِيدَ بها بنو حنيفة فأبو بكر دَعَا إلى قتالهم، وإن أُرِيد بها فارس والرُّوم فعمر دَعَا إلى قتالهم، والآية تلزمهم اتِّباع من يدعوهم وتَتَوَعَّدُهم على التخلُّف بالعقاب.

قال القاضي أبو يَعْلَى: وهذا يدلُّ على صحَّة إمامَتِها إذا كان المتولِّي عَن طاعتهما مستحقًّا للعقاب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾.

قَالَ ابْنُ جُرَيج: فإن تطيعوا أبا بكرٍ وعمر ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عَن طاعتِهما ﴿كَمَا تَوَلَّيۡتُم﴾ عَن طاعة محمَّدٍ ﷺ في المسير إلى الحديبية[1].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: المعنى: إن تبتم وتركتُم نِفَاقَكم وجاهدتم، يؤتكم الله أجرًا حَسَنًا، وإن توَلَّيتُم فأقمتم على نفاقكم، وأعْرَضْتُم عَنِ الإيمان والجهادِ كما تولَّيتم على عهد رَسُول الله ﷺ يعذبكم عذابًا أليمًا[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾.

قال المفَسِّرون: عَذَرَ اللهُ أهلَ الزَّمَانَةِ الذين تخلَّفوا عَن المسير إلى الحديبية بهذه الآية.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٣٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥).

قَولُهُ تَعالى: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾.

قَرَأَ نَافِعٌ، وابنُ عَامِر: «نُدْخِلْه» و «نُعَذِّبْه» بالنُّون فيهما، والباقون: بالياء[1].

قَولُهُ تَعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[الفتح: ١٨-٢٤].

ثُمَّ ذَكَرَ الذين أخلصوا نيَّتَهم وشَهِدُوا بيعَةَ الرضوان بقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد ذَكَرْنَا سببَ هذه البيعة آنفًا، وإنَّما سُمِّيَتْ بيعَة الرضوان لقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

رَوَى إِيَاسُ بنُ سَلَمَة بن الأكوع عَن أبيه قال: بينما نحن قَائِلُون [٧٣١/ب] زَمَنَ الحديبية نادَى منادي رسولِ الله ﷺ: أَيُّها النَّاسُ البيعَةَ البيعة نَزَلَ رُوحُ القدس قال: فَثُرْنَا إلى رسولِ الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه[2].

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠٤)، والحجة (٦/ ٢٠٣)، والتيسير (ص:٢٠١)، والتحصيل (٦/ ١٧٩).

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٩٠) (١٤٤) من رواية موسى بن عبيدة، عن إياس بن سلمة، عن أبيه به.
قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٨٤): «وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف».

وَقَـالَ عبـدُ الله بـنُ مغفَّـل: كانَ رسـولُ الله ﷺ تحت الشَّـجرة يبايـع النَّاس وإني لأرفـع أغصانَها عَن رأسِـه[١].

وَقَالَ بكير بن الأشج: كانت الشَّجرة بفجٍّ نحو مكَّة[٢].

قـال نَافِـعٌ: كان النَّـاس يأتـون تلـكَ الشـجرة فيصلُّـون عندهـا فبلَـغ ذلـك عمـر بـن الخطَّـاب فأوعَدَهـم فيهـا وأمـرَ بهـا فقُطِعَـتْ[٣].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: مـنَ الصِّـدق والوَفَـاء، والمعنـى: علـم أنَّهُـم مخلِصُـون ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعنـي الطُّمأنينـةَ والـرِّضى حتَّـى بايعـوا عـلى أن يقاتلـوا ولا يفـرُّوا ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ﴾ أي: عوَّضَهـم عـلى الـرِّضى بقضائِـه والصَّـبر عـلى أمـرِه ﴿فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ وهـو خَيـبَر، ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَا﴾ أي: مـن خَيـبر، لأنَّهـا كانَـتْ ذا عَقـارٍ وأمـوالٍ، فأمَّـا قولُـه بعـد هـذا: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا﴾ فقـال المفَـسِّرُون: هـي الفتـوح التـي تفتـح عـلى المسـلمين إلى يـومِ القيامَـةِ.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ **فيها قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّها غَنِيمَةُ خيبَر، قَالَهُ مُجَاهِد، وقَتَادَة، والجمهور.

---

(١) رواه البيهقـي في القضـاء والقـدر (٣٢٤) مـن روايـة الحسـن، عـن عبـد الله بـن مغفـل بـه، وذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (٩/ ٥٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٧٥) من رواية عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج به.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٥) من رواية ابن عون، عن نافع به.

**والثَّـاني:** أنَّـه الصُّلـح الـذي كان بَـينَ رسـول الله ﷺ وبـينَ قريـش، رواه العَـوفي عَـن ابـن عبَّـاس.

**قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ فيهم ثلاثة أقوال:**

**أحدهـا:** أنَّهُـم اليهـودُ همُّـوا أن يَغْتَالُـوا عيـالَ المسـلمين الذيـن خَلَّفوهـم في المدينـة فكفَّهـم اللهُ عَـنْ ذلـك، قَالَـهُ قَتَـادَة.

**والثَّـاني:** أنَّهُـم أسَـدُ وغطَفَـان جـاؤوا لينـصروا أهـلَ خَيـبر فَقَـذَفَ الله في قلوبهـم الرُّعْـبَ فانْصَرَفُـوا عنهـم، قَالَـهُ مُقَاتِـل[1].

وَقَـالَ الفَـرَّاء: كانـت أَسَـدُ وغطَفَـان مـع أهْـلِ خَيـبر فقَصَدَهـم رسـولُ الله ﷺ فصالحـوه وخلَّـوا بينَـه وبـين خيـبر[2].

وَقَـالَ غيرُهمـا: بـل همَّـت أَسَـدُ وغَطَفَـانُ باغْتِيَـالِ أَهْـلِ المدينـة فكَفَّهُـم الله عَـن ذلـك.

**والثَّالِث:** أنَّهُم أهلُ مكَّة كفَّهم الله بالصُّلح، حكاهما الثَّعلبي[3] وغيره.

**ففي قوله: ﴿عَنكُمْ﴾ قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه على أَصْلِه، قَالَهُ الأكثرون.

**والثَّاني:** عَن عِيَالِكُم، قَالَهُ ابن قُتَيْبَة[4]، وهو مقتضَى قولِ قَتَادَة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٦٧).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٩/ ٥٣).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٢).



﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في المشار إليها قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها الفِعْلَة التي فعَلَها بكم مَنْ كَفَّ أيديهم عنكم كانت آيةً للمؤمنين، فعلموا أنَّ الله تعالى مُتَوَلِّي حراسَتِهم في مَشهَدِهم ومغيبهم.

والثَّاني: أنَّها خَيبر كان فتحها علامةً للمؤمنين، في تصديق رسُولِ الله ﷺ فيما وعَدَهُم به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: طريق التوكُّل عليه والتفويض إليه، وهذا على القَول الأوَّل.

والثَّاني: يزيدكم هُدًى بالتَّصديق بمحمَّدٍ ﷺ فيما جاء به من وعد الله تعالى بالفتح والغنيمةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ المعنى: وعَدَكُم الله مغانمَ أخرى.

وفيها أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ما فَتَحَ للمسلمين بعد ذلك.

رَوَى سِماكُ الحنفيّ عَن ابن عبَّاس: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ قال: ما فتح لكم من هذه الفتوح، وبه قَالَ مُجاهِد. [٧٣٢/أ]

والثَّاني: أنَّها خَيبر، رواه عطيَّة والضَّحَّاك عَن ابن عبَّاس، وَبِه قَالَ ابنُ زَيدٍ.

والثَّالِث: فارس والرُّوم، رُوِيَ عَن ابن عبَّاس أيضًا، وبه قَالَ الحسَنُ، وعبد الرحمن بنُ أبي لَيلَى.

**والرَّابعُ**: مكَّة، ذَكَرَه قَتَادَة وابنُ قُتَيْبَة[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ **فيه قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: أحاطَ بها عِلْمًا أنَّها ستكُون من فتوحكم.

**والثَّاني**: حَفِظَها لكم ومَنَعَها من غيركم حتَّى فتحتموها.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هذا خطابٌ لأهْلِ الحُدَيبية، قَالَهُ قَتَادَة.

والذين كفروا مُشْرِكُو قُرَيش، فَعَلَى هذا يَكُون المعنى: لَو قَاتَلُوكم يوم الحُدَيبية ﴿لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾ لما في قلوبهم من الرُّعْبِ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا﴾ لأنَّ الله قد خَذَلَهم.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو قاتلكَ مَن لم يُقَاتِلْكَ لنُصِرْتَ عليه لأنَّ سُنَّةَ الله النُّصرة لأوليائه، و ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ منصوبةٌ على المصدر لأنَّ قوله: ﴿لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾ معناه: سَنَّ الله ﷻ خذلانهم سُنَّةً، وقد مرَّ مثلُ هذا في قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٤] وقوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨][٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾.

رَوَى أنسُ بنُ مالك أنَّ ثمانين رجلاً من أهلِ مكَّة هَبَطُوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسَلِّحِينَ يريدون غِرَّةَ النبيِّ ﷺ وأصحابه، فأخذهم سِلْمًا، فاسْتَحْيَاهُم وأنزلَ الله هذه الآية[٣].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٨٠٨)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٢٩٠)، والواحدي في=

ورَوَى عبدُ الله بنُ مغفَّلٍ قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ بالحُديبة في أصل الشَّجرة، فبينا نحن كذلك إذ خَرَجَ علينا ثلاثون شَابًّا فثاروا في وجوهنا، فدَعَا عليهم رسولُ الله ﷺ فأخَذَ الله بأبصارِهم، فقمنا إليهم فأخذناهم. فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**هَلْ جِئْتُمْ فِي عَهْدٍ أَوْ هَلْ جَعَلَ لَكُمْ أَحَدٌ أَمَانًا؟**» قالوا: اللهمَّ لا، فخَلَّى سبيلهم، ونزلت هذه الآية[1].

وذكر قَتَادَة: أنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ خَيلاً فأتوه باثني عشرَ فارسًا من الكفَّار فأرسَلَهم[2].

وَقَالَ مُقَاتِل: خَرَجُوا يقاتلون رَسُولَ الله ﷺ فهزمهم النبيُّ ﷺ بالطعَنِ والنَّبلِ حتَّى أدخلهم بيوتَ مكَّة[3].

قال المفَسِّرُون: ومعنى الآية: أنَّ الله تعالى ذكر مِنَّتَهُ إذْ حَجَزَ بين الفريقين فلم يَقْتَتِلا حتَّى تَمَّ الصُّلح بينهم.

---

=أسباب النزول (ص:٣٨٤) من رواية ثابت، عن أنس بن مالك به.

(١) رواه أحمد في مسنده (١٦٨٠٠)، والنسائي في الكبرى (١١٤٤٧)، والحاكم في المستدرك (٣٧١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٨٣٣)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٢٨٨)، والواحدي في التفسير الوسيط (٨٥٢) من رواية ثابت البناني، عن عبد الله بن مغفل به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إذ لا يبعد سماع ثابت من عبد الله بن مغفل».

وَقَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٤٥): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح».

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٩٠) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٥).

**وفي بطن مكة ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه الحُدَيبية، قَالَهُ أنس.

**والثَّاني:** وادِي مكَّة، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والثَّالِث:** التَّنْعِيمُ، حكاه أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِيّ.

فأمَّا مكَّة، فقال الزَّجَّاج: مكَّة لا تنصرف لأنَّها مؤنَّثة وهي معرفة، ويصلحُ أن يَكُون اشتقاقُها كاشتقاق بَكَّة، والميمُ تبدل من البَاء يقال: ضربةُ لازمٍ ولازِبٍ، ويصلح أن يَكُون اشتقاقُها من قولهم: امْتَكَّ الفَصيلُ ما في ضَرْع النَّاقة: إذا مَصَّ مَصًّا شديدًا حتَّى لا يُبْقي فيه شيئاً، فيَكُون سمِّيتْ بذلك لشِدَّة الازدحام فيها، قال: والقول الأَوَّل أحسَنُ[(١)].

وَقَالَ قطرب: مكة من تَمَكَّكْتُ المُخَّ: إذا أكلتُه[(٢)].

وَقَالَ ابن فارس: تَمَكَّكْتُ العظمَ: إِذَا أخرجتُ مُخَّه، والتمكُّكُ: الاستقصاء[(٣)]. [٧٣٢/ب]

وفي الحديث: «**لَا تُمَكِّكُوا عَلَى غُرَمَائِكُمْ**»[(٤)].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٤٥)، و(٥/ ٢٦).

(٢) انظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية؛ لقطرب (ص:٤٣) وعبارته هناك: «يُقال: تَمَكَّكْتُ العَظْمَ: أخذت ما فيه من المُخِّ».

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٤)، ومجمل اللغة (ص:٨١٦).

(٤) لم نقف عليه في أي كتاب من كتب الأحاديث المسندة، وقد ذكره بدون إسناد جمع من العلماء، منهم: أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث (٣/ ١٢٢)، وابن الحداد في كتاب الأفعال (٤/ ٢١٧)، وابن الأثير في النهاية (٤/ ٣٤٩)، والأزهري في تهذيب اللغة (٩/ ٣٤٤)، والجوهري في الصحاح (٤/ ١٦٠٩)، وابن فارس في مجمل=

وفي تسمية «مكة» أَرْبَعَةُ أقوالٍ:

أحدها: لأنَّها مَثَابَةٌ يؤمُّها الخَلْقُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ، وكأنَّها هيَ التي تجذِبُهم إليها، وذلكَ من قَولِ العَرَبِ: امْتَكَّ الفَصيلُ ما في ضَرْعِ النَّاقة.

والثَّاني: أنَّها سُمِّيتْ (مكَّة) من قولك: بَكَكْتُ الرجُل: إذا وضَعْتَ منه وَرَدَدْتَ نَخوتَه، فكأنَّها تَمُكُّ مَنْ ظلم فيها، أي: تُهلكه وتُنْقِصه، وأنشدوا[1]: [من الرجز]

يَا مَكَّةُ الفاجِرَ مُكِّي مَكَّا ... وَلَا تَمُكِّي مَذْحِجاً وعَكَّا

والثَّالِث: أنَّها سُمِّيتْ بذلك لجَهْد أهلها.

والرَّابعُ: لِقلَّة الماء بها.

وهل مكَّة وبكَّة واحدٌ؟ قد ذكرناه في آل عمران[2].

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: بهم يقال: ظَفِرْتُ بفلان، وظَفِرْتُ عليه.

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

---

=اللغة (ص:٨١٦)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٧٤)، وابن سيده في المحكم (٦/ ٦٧٤)، وابن منظور في لسان العرب (١٠/ ٤٩١)، والزبيدي في تاج العروس (٢٧/ ٣٤٣).

(١) البيت بلا نسبة في الزاهر (٢/ ١٠٦)، وتهذيب اللغة (٩/ ٣٤٤)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٧٥)، ولسان العرب (١٠/ ٤٩١)، وتاج العروس (٢٧/ ٣٤٣).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٩٦).

قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: «يعملون» بالياء، والباقون: بالتَّاء[(١)].

قَولُـهُ تَعَـالَى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[الفتح: ٢٥-٢٦].

قَولُـهُ تَعَـالَى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني أهل مكَّة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن تطوفوا به وتحلُّوا من عمرتكم ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾، قال الزَّجَّاج: أي: وصَدُّوا الهديَ، ﴿مَعْكُوفًا﴾ أي: محبوسًا ﴿أَن يَبْلُغَ﴾ أي: عن أن يبلغ ﴿مَحِلَّهُۥ﴾[(٢)]، قال المفَسِّرُون: محلَّه مَنْحَرُهُ وهو حيث يحِلُّ نحرُه.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ وهم المستضعفون بمكَّة ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي لم تعرفوهم ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بالقتلِ، ومعنى الآية: لولا أن تَطَؤوا رِجَالاً مؤمنين ونساءً مؤمناتٍ بالقتل وتُوقِعُوا بهم ولا تعرفونهم.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ وفيها أربعة أقوال:

**أَحَدُهُمَا**: إثم، قَالَهُ ابن زيد.

**والثَّاني**: غرم الدِّية، قَالَهُ ابن إسحاق.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والحجة (٦/ ٢٠٣)، والمبسوط (ص: ٤١١)، والتحصيل (٦/ ١٧٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧).

**والثَّالِث**: كفَّارة قتلِ الخطأ، قَالَهُ ابن السَّائب.

**والرَّابِعُ**: عيب بقتل مَن هو عَلَى دينكم، حكاه جماعةٌ من المفسِّرين.

وفي الآية محذوفٌ تقديرُه: لأَدْخَلتُكُمْ مِنْ عامكم هذا، وإنما حُلْتُ بينكم وبينهم؛ ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ أي في دينه ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من أهل مكَّة، وهم الذين أسلموا بعد الصُّلح.

﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ قَالَ ابن عبَّاس: لو تفرَّقوا[1].

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة[2] والزَّجَّاج[3]: لو تميَّزوا.

قال المفسِّرون: لوِ انْمازَ المؤمنون من المشركين ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالقتلِ والسَّبي بأيديكم.

وَقَالَ قومٌ: لو تَزَيَّل المؤمنون من أصلابِ الكفَّار لعذَّبنا الكفَّار.

وَقَالَ بعضهم: قوله: ﴿لَعَذَّبۡنَا﴾ **جواب لكلامين**:

**أَحَدُهُمَا**: لولا رجالٌ.

**والثَّاني**: لو تَزَيَّلُوا.

---

(١) لم نقف عليه من كلام ابن عبَّاس، وقد رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٠٧) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٣٢٠) من كلام الكلبي.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٢١٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧).

وقوله: ﴿ إِذْ جَعَلَ ﴾ من صلة قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا ﴾، و﴿ٱلْحَمِيَّةَ ﴾ الأنفة والجبرية.

قال المفسِّرون: وإنَّما أخذتهم الحَمِيَّةُ حين أرادَ رسولُ الله ﷺ دخولَ مكَّة فقالوا: يدخلون علينا وقد قَتَلُوا أبناءَنا وإخوانَنا فتتحدَّث العرب بذلك والله لا يَكُون ذلك، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فلم يدخلهم ما دَخَلَ أولئك فيخالفوا الله في قتالهم.

وقيل: الحميَّة ما تداخل سهيل بن عمرٍو من الأَنَفَة أن يكتب في كتاب الصُّلح ذِكْر «الرحمن الرحيم» وذكر «رسول الله» ﷺ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ **فيه خمسة أقوال:**

**أحدها:** لا إله إلا الله، قَالَهُ ابن عبَّاس ومُجَاهِد وسعيدُ بن جُبير وعكرمة وقَتَادَة والضَّحَّاك والسُّدِّيّ وابنُ زيدٍ في آخرين، وقد روي مرفوعًا إلى النبيِّ ﷺ[1]، فعلى هذا يَكُون معنى ألزمهم: حَكَمَ لهم بها وهي التي تنفي الشِّركَ.

**والثَّاني:** لا إله إلا الله والله أكبر، قَالَهُ ابنُ عمر، وعَن علي بن أبي طالب كالقولين.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٢٦٥)، وعبد الله في زوائد المسند (٢١٢٥٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٩٩) (٥٣٦)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٣١٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٠)، والواحدي في التفسير الوسيط (٨٥٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٦٣) من رواية الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، عن النبي ﷺ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ قال: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَقَالَ الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحسن بن قزعة. وسألت أبا زرعة، عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه».

والثَّالِث: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمد وهو على كلِّ شيءٍ قدير، قَالَهُ عَطَاءُ بن أبي رباح.

[٧٣٣/أ] والرَّابِعُ: لا إله إلا الله محمَّدٌ رسولُ الله، قَالَهُ عَطَاء الخرساني.

والخَامِسُ: بسم الله الرحمن الرحيم، قَالَهُ الزُّهري.

فعلى هذا يَكُون المعنى: أنَّه لما أَبى المشركون أن يكتبوا هذا في كتابِ الصُّلح ألزمه الله المؤمنين.

﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ من المشركين وكانوا أَهْلَها في علم الله تعالى.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح: ٢٧-٢٨].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾.

قال المفَسِّرون: سبب نزولها أنَّ رسولَ الله ﷺ كان أُرِيَ في المنام قبل خروجه إلى الحُدَيبية قائلاً يقول له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ ورأى كأنَّه هو وأصحابه يدخلون مكَّة وقد حَلَقُوا وقصَّروا، فأخبر بذلك أصحابَه ففرحوا، فلمَّا خرجوا إلى الحُدَيبية حَسِبُوا أنَّهم يدخلون مكَّة في عامهم ذلك، فلمَّا رجعوا ولم يدخلوا قَالَ المنافقون: أينَ رؤياه التي رأى، فنزلت هذه الآيةُ، فدخلوا في العام المقْبِلِ.

وفي قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ستَّة أقوال:

أحدها: أنَّ ﴿إِن﴾ بمعنى إذْ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَة وابنُ قُتَيْبَة.

والثَّاني: أنَّه استثناءٌ من الله، وقد عَلِمَه، والخلق يستثنون فيما لا يعلمون، قَالَهُ ثعلبُ، فعلى هذا يَكُون المعنى: إنَّه عَلِمَ أَنَّهُم سيدخلونه، ولكن استثنى على ما أمر الخلقَ به من الاستثناء.

والثَّالِث: أنَّ المعنى لتدخلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ أَمَرَكُمُ الله به، قَالَهُ الزَّجَّاج[1].

والرَّابِعُ: أنَّ الاستثناءَ يعودُ إلى دخول بعضِهم أو جميعهم؛ لأنَّه علم أنَّ بعضَهم يموت، حَكَاه الماوَرْدِي[2].

والخَامِسُ: أنَّه على وجه الحكاية لما رآه النبيُّ ﷺ في المنام أن قائلاً يقول: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، حكاه القاضي أبو يَعْلَى.

والسَّادِسُ: أنَّه يعود إلى الأمنِ والخوفِ، فأمَّا الدُّخول فلا شَكَّ فيه، حكاه الثعلبيّ[3].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ من العدوِّ ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ من الشَّعر ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ عدوًّا.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٨).

(٢) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٢٢).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٩/ ٦٤).

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: علم أنَّ الصَّلاح في الصُّلح.

والثَّاني: أنَّ في تأخير الدُّخول صلاحًا.

والثَّالِث: فعَلِمَ أن يفتح عليكم خَيبر قبل ذلك.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: فتح خيبر، قَالَهُ أَبُو صَالِح عَن ابنِ عبَّاس، وبه قَالَ عَطَاء وابن زيدٍ ومُقَاتِل[١].

والثَّاني: صلح الحديبية، قَالَهُ مُجَاهِد والزُّهري وابنُ إسحاق، وقد بيَّنا كيف كان فتحًا في أوَّل السُّورة.

وما بعد هذا مفسَّرٌ في براءة[٢].

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه شَهِدَ له على نفسه أنَّه يُظْهِره على الدِّين كلِّه، قَالَهُ الحسن.

والثَّاني: كفى به شهيدًا أن محمَّدًا رسوله، قَالَهُ مُقَاتِل[٣].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٧).

(٢) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (٣٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٧).

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: ٢٩].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾.

وقَرَأَ الشَّعبيُّ، وأبو رجاء، وأبو المتوكِّل، والجَحْدَرِيّ: «محمَّداً رسولَ الله» بالنُّصب فيهما[١].

قَالَ ابْنُ عبَّاس: شَهِدَ له بالرِّسالة[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني أصحابَه، والأشدَّاءُ جمع شديد.

قال الزَّجَّاجُ: والأصلُ: أَشْدِدَاءُ، نحو نصيبٌ وأنصباء، ولكن الدَّالَين تحركتا، فأُدْغِمَتْ الأولى في الثَّانية، ومثله ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ [المائدة:٥٤][٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الرُّحماء جمع رحيم، والمعنى: أنَّهم يغلظون على الكفَّار ويتوادُّون بينهم.

(١) في إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٤٩٧) بلا نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٤٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٨).

[٧٣٣/ ب] ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ يصفُ كثرةَ صَلاتِهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو الجنَّة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ وهو رضى الله عنهم، وهذا الوصف لجميع الصَّحابة عند الجُمهور.

ورَوَى مبارك بنُ فضاله عَن الحسَن البَصريِّ أنَّه قال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكرٍ ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عمر ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ عليُّ بن أبي طالب ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ طلحة والزُّبير وعبد الرَّحمن وسعد وسعيد وأبُو عُبَيْدَة(١).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿سِيمَاهُمْ﴾ أي: علامتهم ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾ وهل هذه العَلامة في الدُّنيا، أم في الآخرة؟ فيه قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: في الدُّنيا.

**ثمَّ فيه ثلاثة أقوالٍ:**

**أحدها**: أنَّها السَّمتُ الحَسَنُ، قَالَهُ ابن عبَّاس في رواية ابن أبي طلحة.

وَقَالَ في رواية مُجَاهِد: أما إنَّه ليس بالذي ترون، ولكنَّه سيما الإِسلام وسَمْتُه وخُشوعُه(٢).

وكذلك قَالَ مُجَاهِد: ليس بِنَدَبِ التراب في الوجه، ولكنَّه الخُشوع والوَقار والتواضع(٣).

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٦٦) من رواية مبارك بن فضالة، عن الحسن به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٢٣) من رواية مجاهد، عن ابن عبَّاس به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٢٣) من رواية حميد الأعرج، عن مجاهد بلفظ:=

**والثَّاني**: أَنَّه نَدَى الطَّهور وثرى الأرض، قَالَهُ سَعيد بنُ جُبير.

وَقَالَ أبو العَالية: لأَنَّهُم يسجُدون على التراب لا على الأثواب[١].

وَقَالَ الأوزاعي: بلغني أَنَّه ما حَمَلَتْ جباهُهم من الأرض[٢].

والثَّالِث: أَنَّه السُّهوم، فإذا سهم وجه الرجُل من الليل أصبح مُصفارًّا.

قال الحسنُ البصريُّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾: الصُّفرة[٣].

وَقَالَ سعيد بن جبير: أثر السَّهر[٤].

وَقَالَ شمر بن عطية: هو تهيُّج في الوجه من سهر الليل[٥].

**والقول الثَّاني**: أنَّها في الآخرة.

**ثم فيه قَوْلان**:

**أَحَدُهُما**: أنَّ مَواضِعَ السُّجود من وجوههم يَكُون أشدَّ وجوههم بياضاً يوم القيامة، قَالَهُ عطية العَوفي، وإلى نحو هذا ذهب الحَسَنُ، والزهري.

---

=«الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُعُ»

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٦٥).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٩٠٠).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٢٥) من طريق رجل، عن الحسن به.

(٤) الوراد عن سعيد بن جبير في هذه الآية هو ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الطهور (٣٤)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٣٢٥) من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال: «ثَرَى الْأَرْضِ، وَنَدَى الطُّهُورِ».

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٢٥) من رواية حفص، عن شمر بن عطية به.



وروى العَوفي عَن ابنِ عبَّاس قال: صلاتُهم تبدو في وجوههم يومَ القيامة[(١)].

والثَّاني: أنَّهُم يُبْعَثون غُرًّا محجَّلين من أثر الطَّهور، ذكره الزَّجَّاج[(٢)].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي صفتُهـم، والمعنـى أنَّ صفـةَ محمَّـدٍ ﷺ وأصحابِـه ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ هـذا.

فأمَّا قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ ففيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ هذا المثل المذكور أنَّه في التَّوراة هو مثلهم في الإنجيل.

قال مُجَاهِد: مثلهم في التَّوراة والإنجيل واحد.

والثَّـاني: أنَّ المتقـدم مثلهـم في التـوراة، فأمَّـا مثلهـم في الإنجيـل فهـو قولـه: ﴿كَزَرْعٍ﴾ وهـذا قـولُ الضَّحَّـاك وابـن زيـد.

والثَّالِـث: أنَّ مثلهـم في التـوراة والإنجيـل كـزرعٍ، ذكـر هـذه الأَقْـوَال أبـو سُـلَيمَان الدِّمَشْـقِيّ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾.

وقَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ، وابنُ عَامِرٍ: «شَطَأَهُ» بفتح الطاء والهمزة.

وقَـرَأَ نَافِـعٌ، وعَاصِـمٌ، وأَبُـو عَمْـرٍو، وحَمْـزَةُ، والكِسَـائِيُّ: «شَـطْأه» بسـكون الطَّـاء، وكلُّهـم يقَـرَأ بهمـزة مفتوحـة[(٣)].

---

(١) رواه الطـبري في تفسـيره (٢١/ ٣٢١) مـن روايـة العـوفي، عـن ابـن عبَّـاس بـه، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٧/ ٥٤٣) لابـن مردويـه أيضًـا.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٩).

(٣) انظر: السبعة (ص:٦٠٤)، والحجة (٦/ ٢٠٣)، والمبسوط (ص:٤١١)، والتحصيل (٦/ ١٨٠).

وقَـرَأَ أُبيُّ بـنُ كعـبٍ، وأبـو العاليـة، وابـنُ أَبِي عَبْلَـة: «شَـطَاءَهُ» بفتـح الطـاء وبالمـد والهمـزة وبألـف[١].

قال أَبُو عُبَيْدَة: أي: فِراخه، يقال: أشطأ الزَّرعُ فهو مشطئ: إِذا أفرخ[٢].

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: سَاوَاه وَصَار مثلَ الأُمِّ.

وقَرَأَ ابنُ عَامِر: «فأَزَرَهُ» مقصورة الهمزة مثل فَعَلَهُ[٣].

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: آزره: أعانه وقوَّاه[٤].

﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ أي: غَلُـظ ﴿فَٱسۡـتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ وهي جمع «سـاقٍ»، وهذا مَثَـلٌ ضَرَبَـه اللهُ ﷻ للنبـيِّ ﷺ إذ خـرج وحـدَه، فأيَّـده بأصحابه، كما قـوَّى الطَّاقة مـن الزَّرع بـما نَبَتَ منهـا حتَّى كَـبُرَتْ وغَلُظت واسـتحكمت.

وقَرَأَ ابنُ كَثِير: «على سُؤْقه» مهموزة، والباقون: بلا همزة[٥].

وَقَالَ قَتَادَةُ: في الإِنجيل: سيَخْرج قومٌ ينبتون نباتَ الزَّرع[٦]. [٧٣٤/أ]

---

(١) في المحتسـب (٢/ ٢٧٧)، والتحصيـل (٦/ ١٨٠)، والمحـرر الوجيـز (٥/ ١٤٢) عـن عيسـى الهمـداني.

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢١٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٦٠٥)، والحجة (٦/ ٢٠٤)، والمبسوط (ص:٤١١)، والتحصيل (٦/ ١٨٠).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٣).

(٥) انظر: السبعة (ص:٦٠٥)، والحجة (٦/ ٢٠٥).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٣٠) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به.

وفيمن أُريدَ بهذا المثَل قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّ أصل الزَّرع: عبد المطلب، ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أخرج محمَّدًا ﷺ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: بأبي بكر ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: بعمر ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: بعثمان ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: علي بن أبي طالب، رواه سعيدُ بنُ جُبير عَن ابن عبَّاس.

والثَّاني: أنَّ المراد بالزَّرع: محمَّد ﷺ، ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾: أبو بكر، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: بعمر ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: بعثمان، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: بعليٍّ ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: يعني المؤمنين ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ وهو قول عمر لأهل مكة: لا يُعْبَدُ اللهُ سِرًّا بعد اليوم، رواه الضَّحَّاك عَن ابنِ عبَّاس، ومبارك عَن الحسن.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي: إنَّما كثَّرهم وقوَّاهم لِيَغيظ بهم الكُفَّار.

وَقَالَ مالكُ بنُ أنس: مَن أصبحَ وفي قلبه غيظٌ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية[1].

وَقَالَ ابنُ إدريس: لا آمَنُ أن يَكُونوا قد ضارعوا الكُفَّار، يعني الرَّافضة، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[2].

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٤٧).

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٦٧) من رواية الحسين بن الربيع، عن محمد بن إدريس الشافعي به، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٠/ ٣٣٤).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾.

قال الزَّجَّاج: في «مِنْ» قَوْلان:

أَحَدُهُمَـا: أَنْ يَكُـون تخليصـاً للجنـس مـن غـيره، كقولـه: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾[الحـج: ٣٠]، ومثلـه أن تقـول: أَنْفِـقْ مـن الدَّراهـم، أي: اجعـل نَفَقَتَـكَ مـن هـذا الجنـس.

قَـالَ ابْـنُ الأَنْبَـارِي: معنـى الآيـة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مـن هـذا الجنـس، أي: مـن جِنْـسِ الصَّحابـة.

والثَّاني: أن يَكُون هذا الوعْدُ لِمن أقامَ منهم على الإيمان والعمل الصَّالح[١].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٩-٣٠).

## سورة الحجرات

وهي مَدَنيَّة بإجماعهم.

رَوَى ثوبانُ عَن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ اللهَ أَعْطَانِي السَّبْعَ الطُّوَلَ مَكَانَ التَّوْرَاةِ، وَأَعْطَانِي المِئِينَ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ، وَأَعْطَانِي مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَثَانِي، وَفَضَّلَنِي رَبِّي بِالْمُفَصَّلِ**»(١).

أمَّا السَّبع الطُّوَل فقد ذكرناها «عند قوله»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾(٢).

وأمَّا المئون، فقَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: هي ما وَلِيَ الطُّول، وإنَّما سُمِّيت بالمئين، لأنَّ كلَّ سورةٍ تزيد على مِائة آية أو تقاربها، والمثاني: ما وَلِيَ المئين من السُّوَر التي دون المائة، كأنَّ المئين مبادٍ، وهذه مثانٍ، وأمَّا المفصَّل فهو ما يلي المثاني من قصارِ السُّوَرِ، وإنَّما سمِّيَتْ مُفَصَّلاً لقِصَرِها وكثرةِ الفصول فيها بسطر: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم(٣).

وقد ذكر الماوَرْدِيُّ في أوَّل «تفسيره»(٤) **في المفصَّل ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه من أوَّلِ سورة «محمَّد» إلى آخر القرآن، قَالَهُ الأكثرون.

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٦٧-٦٨) من طريق أيوب بن عتبة، عن يحيى بن أبي كثير، عن شداد بن عبد الله، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان به. وفي إسناده: أيوب بن عتبة اليمامي، وهو ضعيف.

(٢) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٨٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٣٥-٣٦).

(٤) انظر: النكت والعيون (١/ ٢٦-٢٧).



**والثَّاني**: من سورة «قاف» إلى آخره، حكاه عيسى بنُ عمر عَن كثيرٍ من الصحابة.

**والثَّالِث**: من «الضُّحى» إلى آخره، قَالَهُ ابن عبَّاس.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[الحجرات: ١-٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ **في سبب نزولها أربعة أقوالٍ**:

**أحدها**: أن رَكْباً من بني تميم قدموا على رسولِ الله ﷺ، فقال أبو بكرٍ: أَمِّرِ القعقاع بنَ معبد، وَقَالَ عمر: أَمِّرِ الأقرعَ بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردتَ إِلَّا خِلافي، وَقَالَ عمر: ما أردتُ خلافَك، فتماريَا حتَّى ارتفعت أصواتُهما، فنزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ﴾، فما كان عمرُ يُسْمِع رسولَ الله ﷺ بعد هذه الآية حتَّى يستفهمه، رواه عبد الله بن الزبير[1]. [٧٣٤/ ب]

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٣٦٧، ٤٨٤٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٧٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٥) عن عبد الله بن الزبير به.

والثَّـاني: أنَّ قومـاً ذَبحـوا قبـلَ أن يصلِّيَ رسـولُ الله ﷺ يـوم النَّحـر، فأمرَهـم رسـولُ الله ﷺ أن يعيـدوا الذَّبـحَ، فنزلـت هـذه الآيـة، قَالَـهُ الحسَـن[١].

والثَّالِـث: أنَّهـا نزلـت في قـومٍ كانـوا يقولـون: لـو أنـزَلَ اللهُ فِيَّ كـذا وكـذا! فكَـرِه اللهُ ذلـك، وقـدَّم فيـه، قَالَـهُ قَتَـادَة[٢].

والرَّابِـعُ: أنَّهـا نزلـت في عمـرو بـن أميَّـة الضَّمْـري، وكان قـد قتـل رجُلين مـن بنـي سـليم قبـل أن يسـتأذن رسـولَ الله ﷺ، قَالَـهُ ابن السـائب.

وروى ابن أبي طلحة عَن ابن عبَّاس قال: لا تقولوا خلاف الكِتَاب والسنة[٣].

وروى العَوفي عنه قال: نهوا أن يتكلَّموا بين يَدَيْ كلامه[٤].

ورُوِيَ عَن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في هذه الآية قالت: لا تصوموا قبل أن يصومَ نبيُّكم[٥].

ومعنـى الآيـة عـلى جميـع الأقـوال: لا تَعْجَلُـوا بقـولٍ أو فعـلٍ قبـل أن يقـولَ رسـولُ الله ﷺ أو يفعـل.

قَـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـة: يقـال فـلانٌ يُقَـدِّم بـين يَـدَيِ الإمـام وبـين يَـدَي أبيـه، أي: يُعجِّـل بالأمـرِ والنَّهـي دونـه[٦].

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٣٦)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٧٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٣٦) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٣٥) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٣٦) من رواية العوفي، عن ابن عبَّاس به.

(٥) رواه الثعلبـي في الكشـف والبيـان (٩/ ٧٠)، والواحـدي في التفسـير الوسـيط (٤/ ١٥٠) مـن روايـة مـسروق، عـن عائشـة بـه.

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٥).

فأمَّا ﴿تُقَدِّمُواْ﴾.

فقَـرَأَ ابـنُ مسـعودٍ، وأبـو هريـرةَ، وأبـو رزيـن، وعائشـة، وأبـو عبـد الرحمـن السُّـلَمي، وعكرمـة، والضَّحَّـاك وابـنُ سـيرين، وقتَـادَة، وابـن يعمـر، ويعقـوبُ: بفتـح التَّـاء والـدَّال[١].

وقَرَأَ الباقون: بضمِّ التَّاء وكسر الدَّال[٢].

قال الفَرَّاء: كلاهما صواب، يقال: قَدَّمْتُ، وتَقَدَّمْتُ[٣].

وَقَـالَ الزَّجَّاج: كلاهمـا واحدٌ، فأمَّـا ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فهو عبارةٌ عَن الأمـام، لأنَّ ما بين يَدَيِ الإنسـان أمامَـه، فالمعنى: لا تَقَدَّموا قُـدَّام الأمير[٤].

**قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ في سبب نزولها قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّ أبـا بكـرٍ وعمـر رَفَعَـا أصواتهـما فيـما ذكرنـاه آنفـاً في حديـث ابـنِ الزُّبـير[٥]، وهـذا قـول ابـن أبي مليكـة[٦].

---

(١) في المحتسب (٢/ ٢٧٨)، والتحصيل (٦/ ١٩٧) عن الضحاك، ويعقوب الحضرمي، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٤٤) عن ابن عبَّاس، والضحاك، ويعقوب، وفي البحر المحيط (٩/ ٥٠٧) عن ابن عبَّاس، وأبي حيوة، والضحاك، ويعقوب، ابن مقسم، وفي الكامل (ص:٦٣٩) عن يعقوب، والزعفراني، وابن مقسم، وأبي حيوة.

(٢) انظر: المبسوط (ص:٤١٢)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٤٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٦٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣١).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤٣٦٧، ٤٨٤٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٧٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٥) عن عبد الله بن الزبير به.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول (٣٨٦).

والثَّاني: أنَّها نزلَت في ثابتِ بنِ قيس بن شمَّاس، وكان جَهْوَرِيَّ الصَّوت، فربَّما كان إذا تكلَّم تأذَّى رسولَ الله ﷺ بصوته، قَالَهُ مُقَاتِل[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه الجَهرُ بالصَّوت في المخاطبة، قَالَهُ الأكثرون.

والثَّاني: لا تَدْعوه باسمه يا محمَّد كما يدعو بعضُكم بعضاً ولكن قولوا: يا رسولَ الله، ويا نبيَّ الله، وهو معنى قول سعيد بن جُبير والضَّحَّاك ومُقَاتِل[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: لئلَّا تَحْبَطَ[٣].

وَقَالَ الأخْفَشُ: مَخافة أن تَحْبَطَ[٤].

قال أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِيّ: وقد قيل معنى الإحباط هاهنا: نقص المَنْزِلة، لا إِسقاط العمل من أصله كما يسقط بالكفر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: لمَّا نزلَ قولُه: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ تألَّى أبو بكرٍ أن لا يكلِّمَ رسولَ الله ﷺ إلَّا كأخي السِّرار، فأنزلَ اللهُ في أبي بكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٨٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٥).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٥٢١).

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (٣٨٦)، والتفسير الوسيط (٤/ ١٥١)، والتفسير=

والغَضُّ: النَّقْصُ كما بيَّنَّا عند قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا﴾[1] [النور: ٣٠].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: أخلصَها لِلتَّقْوى من المعصية[2].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: اختبر قلوبَهم فوَجَدَهم مُخلصين، كما تقول: قد امتحنت هذا الذَّهب والفضَّة، أي: اختبرتهما بأن أذبتهما حتَّى خَلَصا، فعلمت حقيقة كلِّ واحدٍ منهما[3].

وَقَالَ ابن جرير: اختبرها بامتحانه إيَّاها، فاصطفاها وأخلصها للتَّقوى[4].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات: ٤-٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾.

**في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

[٧٣٥/أ] **أحدها**: أنَّ بني تميم جاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ فنادَوْا على الباب: يا محمَّد اخرُج إلينا، فإنَّ مَدْحَنا زَيْن وإن ذَمَّنا شَيْن، فخرج وهو يقول:

---

=البسيط (٢٠/ ٣٤٥)، والماوردي في النكت والعيون (٥/ ٣٢٦).

(١) انظر: تفسير سورة النور الآية رقم (٣٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٠/ ٣٤٦) بلفظ: «قال عطاء عن ابن عبَّاس: يريد طهَّر قلوبهم من كل قبيح، وجعل التقوى في قلوبهم والخوف من الله».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٤٣).

«**إِنَّمَا ذَلِكُم اللهُ**» فقالوا: نحنُ ناسٌ من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نُشَاعِرُك ونُفَاخِرُك، فقال: «**مَا بِالشِّعْرِ بُعِثْتُ وَلَا بِالْفَخَارِ أُمِرْتُ، وَلَكِنْ هَاتُوا**»، فقال الزِّبرقانُ بنُ بدرٍ لشاب منهم: قمْ فاذكُر فَضْلك وفَضْلَ قومك، فقام فذكرَ ذلك، فأمر رسولُ الله ﷺ ثابتَ بن قيسٍ، فأجابه، وقام شاعرُهم، فأجابَه حسّان، فقال الأقرعُ بنُ حابسٍ: والله ما أدري ما هذا الأمر؟! تكلَّم خطيبُنا فكان خطيبُهم أحسنَ قولًا، وتكلم شاعرُنا فكان شاعرُهم أشعَر، ثمَّ دنا فأسلمَ، فأعطاهم رسولُ الله ﷺ وكساهم، وارتفعت الأصواتُ وكثر اللَّغَطُ عند رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قولُ جابر بن عبد الله في آخرين[(١)].

وَقَالَ ابنُ إسحاق: نزلت في جُفاة بني تميم، وكان فيهم الأقرعُ بن حابسٍ، وعيينة بن حصن، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عَاصِم المنقري، وخالد بن مالك، وسويد بن هشام، وهما نهشليَّان، والقعقاع بن معبد، وعَطَاء بن حابس، ووكيع بن وكيع.

**والثَّاني**: أنَّ رسولَ الله ﷺ بعث سريَّة إلى بني العنبر، وأمَّرَ عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلمَّا عَلِموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالُهم يَفْدون الذَّراري، فقَدِموا وقتَ الظَّهيرة ورسولُ الله ﷺ قائلٌ، فجعلوا ينادون: يا محمَّد اخْرُج إلينا، حتَّى أيقظوه، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ ابن عبَّاس[(٢)].

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٨) من رواية عمر بن الحكم، عن جابر بن عبد الله به.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٧٦).

والثَّالِـث: أنَّ ناساً مـن العـرب قَـالَ بعضُهـم لبعـضٍ: انطلِقـوا بنـا إلى هـذا الرَّجُـل، فـإن يَكُـنْ نبيًّـا نكُـنْ أسـعدَ النَّـاس بـه، وإن يكـن مَلِـكاً نَعِـشْ في جناحـه، فجـاؤوا، فجعلـوا ينـادون: يـا محمَّـد، يـا محمَّـد، فنزلـت هـذه الآيـة، قَالَـهُ زيـد بن أرقـم[1].

فأمَّا ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾.

فقَـرَأَ أُبيُّ بـن كعـب، وعائشـة، وأبـو عبـد الرحمـن السُّـلمي، ومُجَاهِـد، وأبـو العاليـة، وابـن يعمـر، وأبـو جعفـر، وشـيبة: بفتـح الجيـم[2].

وأسكنها أبو رزين، وسعيدُ بن المسيب، وابن أَبِي عَبْلَة[3].

وضمَّها الباقون[4].

قـالَ الفَـرَّاء: وجـهُ الـكلام أن تُضـمَّ الحـاءُ والجيـم، وبعـضُ العـرب يقـول: الحُجَـرات والرُّكَبـات[5].

وربَّـما خفَّفـوا فقالـوا: «الحُجْـرات»، والتخفيـف في تميـم، والتثقيـل في أهـل الحجـاز.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٧) من رواية أبي مسلم البجلي، عن زيد بن أرقم به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٥٢) أيضًا لابن راهويه ومسدد وأبي يعلى والطبراني وابن أبي حاتم بسند حسن.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٣)، وفي التحصيل (٦/ ١٩٧) عن أبي جعفر.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٤) عن ابن أبي عبلة.

(٤) انظر: المبسوط (ص:٤١٢).

(٥) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٠).

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة: واحد الحُجُرات حُجرة، مثل ظُلْمة وظُلُمات[١].

قال المفَسِّرون: وإنَّما نادَوا من وراء الحُجرات، لأنَّهُم لم يعلموا في أيِّ الحُجَر رسولُ الله ﷺ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: لكان الصَّبر خيراً لهم[٢].

**وفي كونه خيراً لهم قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: لكَانَ خيراً لهم فيما قَدِموا له من فداءِ ذراريهم، فلو صَبَروا خلَّى سبيلهم بغير فداءٍ، قَالَهُ مُقَاتِل[٣].

**والثَّاني**: لكانَ أحسنَ لآدابهم في طَاعَة الله ورسولِه، ذكره الماوَرْدِيُّ[٤].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لمن تابَ منهم.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحجرات: ٦-٨].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٢).

(٤) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٢٨).

قوله ﷻ: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾.

نَزَلَتْ في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط، بعثه رسولُ الله ﷺ إلى بني المصْطَلِق ليقبضَ صدقاتهم، وقد كانت بينَه وبينهم عداوةٌ في الجاهلية، فسَار بعض الطريق ثمَّ خاف فرجعَ فقال: إنَّهم قد منعوا الصَّدقة وأرادوا قتلي، [٧٣٥/ب] فصرفَ رسولُ الله ﷺ البعْثَ إليهم، فنزلت هذه الآية[(١)].

وقد ذكرتُ القصَّة في كتاب «المُغني» وفي «الحدائق» مستوفاة، وذكرتُ معنى ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ في سورة النِّساء[(٢)]، والنَّبأ: الخبر، و«أنْ» بمعنى «لئلَّا»، والجهالة هاهنا: أن يجهل حال القوم.

﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ﴾ من إصابتهم بالخَطأ ﴿نَٰدِمِينَ﴾.

ثمَّ خوَّفهم فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن كَذَبتموه أخبره اللهُ فافتُضِحْتُم، ثمَّ قال: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: مما تخبرونه فيه بالباطلِ ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ أي لَوَقَعْتُم في عَنَتٍ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: وهو الضَّرر والفَساد[(٣)].

وَقَالَ غيره: هو الإِثمُ والهلاك، وذلك أنَّ المسلمين لَمَّا سَمِعوا أنَّ أولئك القوم قد كَفَروا قالوا: ابْعَثْ إليهم يا رسولَ الله واغْزُهم واقْتُلهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٢٩) من رواية معمر، عن قَتَادَة به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٦١٠)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٢)، وأسباب النزول؛ للواحدي (ص:٣٩٠).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٩٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٦).

ثمَّ خاطب المؤمنين فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾، ثمَّ عاد إلى الخبر عنهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ أي: المهتدون إلى محاسنِ الأُمور، فَضْلًا مِنَ اللهِ.

قال الزَّجَّاج: المعنى: ففعل بكم ذلك فَضْلاً، أي: للفضل والنِّعمة(١).

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ الآية.

في سبب نزولها قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: ما روى البخاريُّ ومسلم في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: قيل لِرَسُولِ الله ﷺ: لو أتيتَ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ، فركب حماراً وانطلقَ معه المسلمون يمشون، فلمَّا أتاه النَّبيُّ ﷺ، قال: إليك عنِّي، فوالله لقد آذاني نَتَنُ حِمَارِكَ، فقال رجل من الأنصار: واللهِ لحمارُ رسولِ الله ﷺ أطيبُ ريحًا منك، فغضب لعبدِ الله رجلٌ من قَومه، وغضبَ لكلِّ واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينهم ضربٌ بالجريد والأيدي والنِّعال، فبلغَنا أنَّه أُنزلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ الآية(٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٩١)، ومسلم في صحيحه (١٧٩٩) من حديث أنس بن مالك.

وقـد أخرجـا جميعـاً مـن حديـثِ أسـامة بـن زيـدٍ أنَّ رسـولَ الله ﷺ خَـرَجَ يعُـودُ سـعدَ بـنَ عبـادة، فمرَّ بمجلس فيهـم عبدُ الله بـن أُبيٍّ، وعبـدُ الله بـنُ رواحـة، فخمَّـر ابـنُ أُبيٍّ وجهـه بردائـه، وقـال: لا تغـبِّروا علينـا، فذكـر الحديـث، وأنَّ المسـلمين والمشركـين واليهـود اسـتَبُّوا[١].

وقد ذكرتُ الحديثَ بطُوله في «المغني» و«الحدائق».

وَقَـالَ مُقَاتِـل: وَقَـفَ رسـولُ الله ﷺ عـلى الأنصـارِ وهـو عـلى حمـارٍ لـه، فبَـال الحـمارُ، فقـال عبـد الله بـنُ أُبيٍّ: أف، وأمسـكَ عـلى أنفـه، فقـال عبـدُ الله بـن رواحـة: واللهِ لَهُـوَ أطيـبُ ريحـاً منـكَ، فـكان بين قـومِ ابـن أُبيٍّ وابـن رواحة ضربٌ بالنِّعـال والأيـدي والسَّـعَف، ونزلـت هـذه الآية[٢].

**والقـول الثَّـاني:** أنَّهـا كانـت بينهـما مُمـاراةٌ في حـقٍّ بينهـما، فقـال أَحَدُهُمَـا: لآخـذنَّ حقِّـي عَنـوة، وذلـك لكثـرة عشـيرته، ودعـاه الآخـر ليحاكمـه إلى رسـول الله ﷺ، فلـم يـزل الأمـر بينهـما حتَّـى تنـاول بعضهـم بعضـاً بالأيـدي والنعـال، قَالَـهُ قَتَـادَة[٣].

وَقَالَ مُجَاهِد: المراد بالطائفتين: الأوس والخزرج اقتتلوا بالعِصِيّ بينهم[٤].

---

(١) رواه البخـاري في صحيحـه (٤٥٦٦، ٥٦٦٣) ومواضـع أخـرى، ومسـلم في صحيحـه (١٧٩٨) مـن حديـث أسـامة بـن زيـد.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٦١) من رواية سعيد، عن قَتَادَة به.

(٤) رواه الطـبري في تفسـيره (٢١/ ٣٦٠) مـن روايـة ابـن أبي نجيـح، عـن مجاهـد بـه، وهـو في تفسـير مجاهـد (ص:٦١١).

وقَـرَأَ أبيٌّ بـن كعـب، وابـن مسـعود، وأبـو عمـران الجـوني: «اقتتـلا» عـلى فعـل اثنـين مذكَّريـن[١].

وقَـرَأَ أبـو المتـوكل الناجـي، وأبـو الجـون، وابـن أَبِي عَبْلَـة: «اقتتلتـا» بتـاء وألـف بعـد الـلام عـلى فعـل اثنـين مؤنثتـين[٢].

وَقَـالَ الحسـنُ وقَتَـادَة والسُّـدِّيّ: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ بالدُّعـاء إِلى حكـم كتـابِ الله ﷻ والـرِّضى بـما فيـه لهـما وعليهـما[٣]. [٧٣٦/أ]

﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ طَلَبَـتْ مـا ليـس لهـا ولم ترجـع إلى الصُّلـح ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ أي تَرْجِـع ﴿إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي إِلى طاعتـه في الصُّلـح الـذي أمـر بـه.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْ﴾ أي: اعدِلوا في الإِصْلاح بينهما.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾.

قـال الزَّجّـاج: إِذا كانـوا متَّفقـين في دينهـم رجَعـوا باتفاقهـم إِلى أصـل النَّسـب، لأنَّهـم لآدم وحـوَّاءَ، فـإذا اختلفـت أديانهـم افترقـوا في النَّسـب[٤].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾.

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) في البحر المحيط (٩/ ٥١٦) عن ابن أبي عبلة، وزيد بن علي، وعبيد بن عمير.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٥٣-١٥٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٦).



قَرَأَ الأكثرون: ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ بياء على التثنية[(١)].

وقَرَأَ أُبيُّ بنُ كعبٍ، ومُعاويَة، وسَعيدُ بنُ المسيِّب، وابنُ جبير، وقَتادَة، وأبو العالية، وابنُ يعمر، وابنُ أَبِي عَبْلَة، ويعقوبُ: «بين إِخوتكم» بتاء مع كسر الهمزة على الجمع[(٢)].

وقَرَأَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رزين، وأبو عبدِ الرحمن السُّلَمي، والحسن، والشَّعبي، وابن سيرين: «بين إخوانكم» بالنون وألف قبلها[(٣)].

قال قَتادَة: ويعني بذلك الأَوْسَ والخَزْرَجَ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الحجرات: ١١].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠٦)، والحجة (٦/ ٢٠٧)، والمبسوط (ص:٤١٢).

(٢) في السبعة (ص:٦٠٦)، والحجة (٦/ ٢٠٧) عن ابن عامر، وفي التحصيل (٦/ ١٩٧) عن التغلبي عن ابن ذكوان وغيره، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٤٨) عن ابن عامر، والحسن بخلاف عنه، وفي البحر المحيط (٩/ ٥١٦) عن الحسن، وابن عامر في رواية، وزيد بن علي، ويعقوب.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٤) عن زيد بن ثابت، وابن مسعود، وابن سيرين، وفي التحصيل (٦/ ١٩٧) عن زيد بن ثابت، وابن مسعود، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٤٩) عن ابن سيرين، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، والحسن، وعاصم الجحدري، وحماد بن سلمة، وفي البحر المحيط (٩/ ٥١٦) عن زيد بن ثابت، وابن مسعود، والحسن: بخلاف عنه والجحدري، وثابت البناني، وحماد بن سلمة، وابن سيرين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ هذه الآية نزلت على ثلاثة أسباب:

فأمّا أوّلها إلى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ فنزلت على سببٍ، وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّ ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شمّاس جاء يوماً يريد الدُّنوَّ من رسولِ الله ﷺ، وكان به صَمَمٌ، فقال لرجلٍ بين يديه: افسح، فقال له الرجل: قد أصبتَ مجلساً، فجَلَسَ مُغْضَباً، ثمَّ قَالَ للرجل: مَن أنت؟ قال: أنا فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة!، فذكر أمّاً له كان يعيَّر بها في الجاهليَّة، فأغضى الرجل ونكَسَ رأسَه، ونزل قَولُهُ تَعَالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾، قَالَهُ أَبُو صَالِح عَن ابنِ عبَّاس[١].

والثَّاني: أنَّ وَفْدَ تميم استهزؤوا بفقراء أصحابِ رَسُول الله ﷺ لِما رأَوا من رَثَاثَة حالهم، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ الضَّحَّاكُ ومُقَاتِل[٢].

وأمَّا قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ فنزلت على سبب، وَفِيْهِ ثَلاثَةُ أَقْوَال:

أحدها: أنَّ نساءَ رسولِ الله ﷺ عيَّرْنَ أمَّ سَلَمة بالقِصَر، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ أنس بن مالك[٣].

وزَعَمَ مُقَاتِل: أنَّ عائشة استهزأت من قِصَر أمِّ سَلَمة[٤].

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٨٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٩٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٤).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٨١)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٩٣).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٥).



والثَّـاني: أنَّ امرأتَـين مـن أزواجِ رسـولِ الله ﷺ سَـخِرتا مـن أمِّ سـلمة زوجِ رسـولِ الله ﷺ، وكانـت أمُّ سـلمة قـد خَرَجَـتْ ذات يـومٍ وقـد ربطـت أحـد طـرفي جلبابها عـلى حَقْوها، وأرْخَـتِ الطَّـرفَ الآخر خَلْفَها، ولا تعلم، فقالـت إحداهمـا للأخـرى: انظُـري مـا خَلْـفَ أمِّ سـلمة كأنَّـه لسـانُ كلـب، قَالَهُ أَبُـو صَالِـح عَـن ابـن عبَّـاس[١].

والثَّالِـث: أنَّ صفيَّـة بنت حُيَـي بـنِ أخْطَـب أَتَـتْ رسـولَ الله ﷺ فقالت: إنَّ النِّسـاء يعيِّرنَنِـي ويقُلـنَ: يـا يهوديَّـة بنـت يهوديَّـين، فقـال رسـول الله ﷺ: «هَـلَّا قُلْـتِ: إِنَّ أَبِي هَـارُونُ، وَإِنَّ عَمِّـي مُوسَـى، وَإِنَّ زَوْجِـي مُحَمَّـدٌ»، فنزلـت هـذه الآيـة، رواه عكرمـة عَـن ابـن عبَّـاس[٢].

وأما قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾.

فنزلت على سببٍ، وَفِيْهِ ثَلاثَةُ أَقْوَال:

أحدهـا: أنَّ رسـولَ الله ﷺ قَـدِمَ المدينـةَ ولهـم ألقـابٌ يُدْعَـون بهـا، فجعل

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٨١)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٩٣).

(٢) ذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (٩/ ٨١)، والواحـدي في أسـباب النـزول (ص:٣٩٣) عـن عكرمـة عـن ابـن عبَّـاس معلَّقًـا دون إسـناد، هـذا وقـد روى أحمـد في مسـنده (١٢٣٩٢)، والترمـذي في سـننه (٣٨٩٤)، والنسـائي في الكـبرى (٨٨٧٠)، وأبـو يعـلى في مسـنده (٣٤٣٧) بإسـناد صحيـح عـن أنـس بـن مالـك ﵁ قـال: بلـغ صفيـة أن حفصـة قالـت: إني ابنـة يهـودي، فبكـت، فدخـل عليهـا النبـي ﷺ وهـي تبكـي، فقـال: «مَا شَـأْنُكِ؟» فقالـت: قالـت لي حفصـة: إني ابنـة يهـودي. فقـال النبـي ﷺ: «إِنَّـكِ ابْنَـةُ نَبِـيٍّ، وَإِنَّ عَمَّـكِ لَنَبِـيٌّ، وَإِنَّـكِ لَتَحْـتَ نَبِـيٍّ، فَفِيـمَ تَفْخَـرُ عَلَيْـكِ»، فقـال: «اتَّقِـي اللهَ يَـا حَفْصَـةُ». لكـن لم يـرد أن ذلـك هـو سـبب نـزول الآيـة.

الرجل يدعو الرَّجُل بلقبه، فقيل له: يا رسول الله، إنهم يكرهون هذا، فنَزَلَ قَولُهُ تَعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَٰبِ﴾، قَالَهُ أبو جبيرة بن الضَّحَّاك[١]. [٧٣٦/ ب]

والثَّاني: أنَّ أبا ذَرٍّ كان بينه وبين رجلٍ مُنَازَعَةٌ، فقال له الرجل: يا ابنَ اليهودية، فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَٰبِ﴾، قَالَهُ الحسن[٢].

والثَّالث: أنَّ كعب بن مالك الأنصاري كانَ بينه وبين عَبدِ الله بنِ أبي حَدرد الأسْلَميّ كلامٌ، فقال له: يا أعرابيّ، فقال له عبد الله: يا يهودي، فنزلت فيهما: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَٰبِ﴾، قَالَهُ مُقَاتِل[٣].

وأمَّا التفسير، فقَولُهُ تَعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ أي: لا يَسْتَهزِئُ غنيٌّ بفقيرٍ، ولا مستورٌ عليه ذنْبُه بمَن لم يُستَر عليه، ولا ذو حَسَب بلئيمِ الحَسَب، وأشباه ذلك ممَّا يتنقَّصه به، عسى أن يَكُون عندَ الله خيراً منه.

وقد بيَّنَّا في البقرة[٤] أنَّ القوم اسمُ الرِّجال دون النِّساء، ولذلك قال: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾، و﴿تَلْمِزُوٓا﴾ بمعنى تَعيبوا، وقد سبق بيانه[٥].

والمراد بالأنفُس هاهنا: الإخْوَان.

والمعنى: لا تَعيبوا إخْوانَكم منَ المسلمين لأنَّهم كأنفُسِكُم.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٦٨) من طريق عامر، عن أبي جبيرة بن الضحاك به.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٥).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٤).

(٥) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (٥٨).



و«التنابز»: التَّفاعل من النَّبْز، وهو مصدرٌ، والنَّبَز الاسم.

و«الألقاب»: جمع لَقَبٍ، وهو اسم يُدعى به الإنسانُ سِوى الاسم الذي سُمِّي به.

قَالَ ابنُ قُتَيْبَة: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تَتَداعَوْا بها، والألقاب والأنباز واحدٌ، ومنه الحديث: «نبزُهُم الرَّافِضَةُ»[1] أي: لقبُهم[2].

وللمُفَسِّرين في المراد بهذه الألقاب أربعة أقوال:

**أحدها**: تعيير التَّائب بسيِّئاتٍ قد كان عَمِلَها، رواه عطية العَوفي عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: أنَّه تسميته بعد إسلامه بدينه قَبْلَ الإسلام، كقَولِه لليَهُودِيِّ إذا أسلم: يا يَهُودِيّ، وهذا مَرْوِيٌّ عَن ابن عبَّاس أيضًا، وبه قَالَ الحسَن، وسعيد بن جبير، وعَطَاء الخراساني، والقرظي.

**والثَّالِث**: أنَّه قَولُ الرَّجُل للرَّجل: يا كافر، يا منافق، قَالَهُ عكرمة.

**والرَّابِعُ**: أنَّه تسميته بالأعمال السَّيِّئة، كقَوله: يا زاني يا سارق، يا فاسِق، قَالَهُ ابنُ زيد.

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٦٥١)، وعبد بن حميد في المنتخب (٦٩٨)، والحارث في مسنده (١٠٤٣/ بغية الحارث)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٨١)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٨٦) وغيرهم من رواية الحجاج بن تميم، عن ميمون بن مهران، عن ابن عبَّاس قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يُنْبَزُونَ الرَّافِضَةَ، يَرْفُضُونَ الْإِسْلَامَ وَيَلْفِظُونَهُ، فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ»**. وفي إسناده الحجاج بن تميم، وهو ضعيف. وقد ورد الحديث أيضًا من مسند علي بن أبي طالب، وإسناده لا يخلو من مقال أيضًا.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٦).

قال أهلُ العلمِ: والمرادُ بهذه الألقاب: ما يكرهُه المنادَى به، أو يُعَدُّ ذمًّا له، فأمَّا الألقابُ التي تكسبُ حَمْدًا وتكُون صِدقًا، فلا تُكره، كما قيل لأبي بكرٍ: عتيقٌ، ولعمر: فاروق، ولعثمان: ذو النُّورَين، ولعليٍّ: أبو تُراب: ولخالد: سَيفُ الله، ونحو ذلك.

وقوله: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ أي: تسميتُه فاسقاً أو كافراً وقد آمَنَ، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من التَّنابُز ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: الضَّارُّون لأنْفُسهم بمعصيتهم، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: هم أظلمُ من الذين قالوا لهم ذلك، قَالَهُ ابن زيدٍ.

قَولُـهُ تَعَالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات: ١٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: نهى اللهُ تعالى المؤمنَ أنْ يظُنَّ بالمؤمِن شرًّا(١).

وَقَالَ سعيدُ بن جُبير: هو الرَّجل يسمع من أخيه كلامًا لا يريد به سوءًا، أو يدخُل مَدخلًا لا يريد به سوءًا، فيراه أخوه المسلِمُ فيظُنُّ به سوءاً.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هو أن يظُن بأهل الخير سوءاً، فأمَّا أهلُ السُّوء والفسق، فلنا أن نظُنَّ بهم مِثْل الذي ظَهَرَ منهم(٢).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٧٤) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٦-٣٧).

قَـال القـاضي أبـو يَعْـلَى: هـذه الآيـة تدلُّ عـلى أنَّـه لم يُنْـه عَـن جميـع الظَّنِّ، والظَّـنُّ عـلى أربعـة أَضْرُبٍ: محظـورٌ، ومأمـورٌ بـه، ومبـاحٌ، ومنـدوبٌ إِليـه.

فأمَّـا المحظـورُ: فهـو سـوء الظَّـنِّ بـالله تعـالى، والواجـبُ: حُسْـنُ الظَّـنِّ بـالله، وكذلـك سـوء الظَّـنِّ بالمسـلمين الذيـن ظاهرُهـم العَدالـةُ محظـورٌ.

[٧٣٧/أ] وأمَّـا الظَّـنِّ المأمـور بـه: فهو مـا لم ينصب عليـه دليـلٌ يوصـل إلى العِلْم به، وقـد تُعُبِّدنـا بتنفيـذ الحُكـم فيـه، والاقتصـارُ عـلى غالـب الظَّـنِّ، وإجـراء الحُكم عليـه واجـبٌ، وذلـك نحـو مـا تُعُبِّدنـا بـه مـن قَبُـولِ شـهادة العُـدول، وتحـرِّي القِبلَـة، وتقويـم المستهلَكات، وأروش الجنايـات التـي لم يَرِدْ بمقاديرِهـا توقيفٌ، فهـذا ومـا كانَ مـن نَظَائِـرِه قـد تُعُبِّدنا فيـه بأحـكام غالـبِ الظُّنون.

فأمَّـا الظَّـنُّ المبـاحُ: فكالشَّـاكِّ في الصَّـلاة إذا كان إمامًـا، أَمَـرَه النَّبـيُّ ﷺ بالتحـرِّي والعَمـلِ عـلى مـا يَغْلِـب في ظنِّـه، وإن فعلـه كان مباحًـا، وإِنْ عَـدَلَ عنـه إلى البنـاء عـلى اليقـين كان جائـزًا.

ورَوَى أبـو هريـرةَ قـالَ: قَـالَ رسـولُ الله ﷺ: «**إِذَا ظَنَنْتُـمْ فَـلَا تُحَقِّقُـوا**»[١]، وهـذا مـن الظَّـنِّ الـذي يَعْـرِض في قَلـبِ الإنسـان في أَخِيـه فِيـمَا يوجـبُ الرِّيبـةَ، فـلا ينبغـي لـه أن يحقِّقَـه.

وأمَّـا الظَّـنُّ المنـدوبُ إِليـه: فهـو إِحسـانُ الظَّـنِّ بـالأخ المسـلمِ يُنْـدَب إِليـه ويُثـاب عليـه.

---

(١) رواه ابـن عـدي في الكامـل (٥/ ٥٠٩) مـن روايـة عبـد الرحمـن بـن سـعد بـن عـمار بـن سـعد، حدثنـي عبـد الله بـن سـعيد المقـبري، عـن أبيـه، عـن أبي هريـرة بـه. وإسـناده ضعيف؛ لضعـف عبـد الرحمـن بـن سـعد، وعبـد الله بـن سـعيد المقـبري.

فأمَّا ما رُوِيَ في الحديث: «احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ»[1]، فالمراد: الاحتراسُ بحفظ المالِ، مثل أن يقول: إن تركتُ بابي مفتوحاً خشيت السُّرَّاق.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قَالَ المفَسِّرُون: هو ما تكلَّم به مما ظنَّه من السُّوءِ بأخيه المسلم، فإنْ لم يتكلَّمْ به فلا بأسَ، وذَهَبَ بعضُهم إلى أنَّه يأثم بنفس ذلك الظَّنِّ وإنْ لم يَنْطِق به.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾.

وقَرَأَ أبو رزين والحسَن والضَّحَّاكُ وابنُ سِيرِين وأبو رجاء وابن يعمر: بالحاء[2].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٩٨، ٩٤٥٨)، وتمام في فوائده (٦٩٢)، وابن عدي في الكامل (٨/ ١٤١) من رواية بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى، عن سليمان بن مسلم، عن أنس بن مالك به.
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به: بقية» انتهى.
وَقَالَ الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٣١): «أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق أنس وهو من رواية بقية بالعنعنة عن معاوية بن يحيى، وهو ضعيف، فله علتان، وصح من قول مطرف التابعي الكبير أخرجه مسدد» انتهى.
وقد رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٤١٦) عن مطرف بن عبد الله، ثمَّ قال: «وروي ذلك عن أنس بن مالك مرفوعًا، والحذر من أمثاله سنة متبعة».

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٤) عن النبي ﷺ، والحسن، وابن سيرين، وفي التحصيل (٦/ ١٩٨) عن أبي رجاء، والحسن باختلاف، وغيرهما، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٥١) عن الحسن، وأبي رجاء، وابن سيرين، والهذليين.



قال أبو عُبَيْدَة: التَّجَسُّسُ والتَّحَسُّسُ واحدٌ، وهو التَّبحُّثُ، ومنه الجاسوس[(١)].

ورُوِيَ عَنْ يحيى بنِ أبي كثير أنَّه قال: التَّجَسُّسُ، بالجيم: البحث عَن عورات النَّاس، وبالحاء: الاستماعُ لحديث القَوم[(٢)].

قال المفَسِّرُون: التجسُّسُ: البحثُ عَنْ عيب المسلمين وعَوراتهم، فالمعنى: لا يبحث أحدُكُم عَنْ عَيبِ أخيه ليطَّلع عليه إذْ سَتَرَه الله.

وقيل لابن مسعودٍ: هذا الوليد بنُ عقبة تقطر لحيتُه خمراً، فقال: إنَّا نُهينا عَن التجسُّسِ، فإن يَظهرْ لنا شيءٌ نأخذْه به[(٣)].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: لا يتناول بعضُكم بعضاً بظهَر الغَيْبِ بما يَسُوؤُه.

وقد رَوَى أبو هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ ما الغيبة؟ قال: «**ذِكْرُكَ أخَاكَ بِمَا يَكْرَه**». قال: أرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إِنْ كَانَ فِي أَخِيكَ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[(٤)].

ثمَّ ضَرَبَ اللهُ للغِيبة مثلاً، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٠/ ٣٦٠) بلفظ: «التجسس البحث عن باطن أمور الناس، وأكثر ما يقال ذلك في الشر».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٦١٦)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٨٣-٨٤) من رواية الأعمش، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود به.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢٥٨٩) من رواية العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة به.

وقَرَأَ نَافِعٌ «مَيِّتًا» بالتشديد[(١)].

قال الزَّجَّاجُ: وبيانُه أن ذِكرَك بسوءٍ مَنْ لم يَحْضُر، بمنزلةِ أَكْلِ لحمِه وهو ميتٌ لا يُحِسُّ بذلك[(٢)].

قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا تأكيدٌ لتحريم الغيبة، لأنَّ أكلَ لحم المسلمِ محظورٌ، ولأنَّ النُّفوسَ تَعافُه من طريق الطَّبع، فينبغي أنْ تكُون الغِيبة بمنزلته في الكراهة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

وقَرَأَ الضَّحَّاكُ، وعَاصِم الجَحْدَرِيّ: «فكُرِّهتموه» برفع الكاف وتشديد الرَّاء[(٣)].

قال الفَرَّاءُ: أي وَقَدْ كَرِهْتُمُوه فلا تفعلوه، ومَن قَرَأَ «فكُرِّهتموه» أي: فقَدْ بُغِّضَ إِلَيْكُم، والمعنى واحدٌ[(٤)].

قال الزَّجَّاج: والمعنى: كما تكرهون أكلَ لحمه ميتاً فكذلك تجنَّبوا ذِكْرَه بالسُّوء غائِبًا[(٥)].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠٦)، والحجة (٦/ ٢١١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٤)، والتحصيل (٦/ ١٩٨) عن الجحدري، عن النبي ﷺ.

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٣).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي في الغِيبَـة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ عـلى مَـن تـاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ بــه.

قَولُــهُ تَعَــالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجـرات: ١٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.

**في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

[٧٣٧/ ب] **أحدهـا**: نزلـت في ثابـت بـنِ قيـس، وقولِـه في الرَّجـل الـذي لم يفسـح لـه: أنـتَ ابـنُ فلانـة، وقـد ذكرنـاه عَـن ابـنِ عبَّـاس في قولـه: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾(١).

والثَّـاني: أنَّـه لَّـا كان يـومُ الفتـح أَمَـرَ رسـولُ الله ﷺ بـلالاً فصعـد عـلى ظهـر الكعبـة فـأذَّن، وأراد أن يُـذِلَّ المشر كـين بذلـك، فلـمَّا أذَّن، قَـالَ عتـاب بـن أَسِـيد: الحمـدُ لله الـذي قبـضَ أسـيداً قبـل اليـوم، وَقَـالَ الحـارث بـن هشـام: أمـا وجـد محمَّـدٌ غـير هـذا الغـراب الأسـودِ مؤذِّنـاً؟! وَقَـالَ سـهيل بـن عمـرو: إن يَكْـرَهِ اللهُ شـيئاً يغـيِّره، وَقَـالَ أبـو سـفيان: أمَّـا أنـا فـلا أقـول شـيئاً، فـإنِّي إن قُلـتُ شـيئاً لَتَشْـهَدَنَّ عـليَّ السَّـماءُ، ولَتُخْـبِرَنَّ عنِّـي الأرض، فنزلـت هـذه الآيـة، قَالَـهُ مُقَاتِـل(٢).

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٨٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٩٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٦).

**والثَّالِث**: أنَّ عبداً أسودَ مرض فعادَه رسولُ الله ﷺ، ثمَّ قُبض فتولَّى غسلَه وتكفينَه ودفنَه، فأثَّر ذلك عند الصَّحابة، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ يزيد بن شجرة[١].

فأمَّا المرادُ بالذَّكَر والأُنثى، فآدم وحوَّاء. والمعنى: إنَّكم تتساوَوْن في النَّسب وهذا زجرٌ عَنِ التَّفاخر بالأنساب. فأمَّا الشُّعوب، فهي جمع شَعبٍ، وهو الحيُّ العظيم، مثل مضر وربيعة، والقبائل دونها، كبَكْر من ربيعة، وتميم من مضر، هذا قول الجمهور من المفَسِّرين وأهل اللغة.

وروى عَطَاء عَن ابنِ عبَّاس قال: يريدُ بالشُّعوب الموالي، وبالقبائل العرب[٢].

وَقَالَ أبو رزين: الشُّعوب: أهلُ الجبال الذين لا يَعْتَزُون لأحد، والقبائل: قبائل العرب[٣].

وَقَالَ أبو سُلَيمان الدِّمَشقِيُّ: وقد قيل إنَّ القبائل هي الأصول، والشُّعوب هي البُطون التي تتشعَّب منها، وهذا ضدُّ القول الأوَّل.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي: ليَعْرِفَ بعضُكم بعضاً في قُرب النَّسبِ وبُعده.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: جعلْناكم كذلِكَ لتَعارفوا، لا لتَفاخروا، ثمَّ أعلمهم أنَّ أرفعهم عنده منزلةً أتقاهم[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٩٥).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٥٨).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٨٧) بلفظ: «الشعوب الذين لا يصيرون إلى أحد، بل ينسبون إلى المدائن، والقرى، والأرضين، والقبائل العرب الذين ينسبون إلى آبائهم».

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧).

وقَرَأَ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ عبَّاس، والضَّحَّاك، وابنُ يعمر، وأبان عَن عَاصِم: «لِتَعْرِفوا» بإسكان العين وكَسْرِ الرَّاء من غير ألف[١].

وقَرَأَ مُجَاهِد، وأبو المتوكل، وابنُ محيصن: «لِتَّعارَفوا» بتاء واحدة مشدَّدة وبألف مفتوحة الرَّاء مخففة[٢].

وقَرَأَ أبو نَهيك، والأعمشُ: «لِتَتَعَرَّفوا» بتاءين مفتوحة الرَّاء وبتشديدها من غير ألف[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾.

وقَرَأَ أبو عبد الرحمن السُّلَمي، ومُجَاهِد، وأبو الجوزاءِ: «أنَّ» بفتح الهمزة[٤].

قال الفَرَّاء: مَن فتح «أنَّ» فكأنَّه قال: لتعارفوا أنَّ الكريمَ التَّقيُّ، ولو كان كذلك لكانت «لِتَعْرِفوا»، غيرَ أنَّه يجوز «لِتَعارفُوا» على معنى: ليعرِّف بعضُكم بعضاً أن أكرمكم عند الله أتقاكم[٥].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٤)، والبحر المحيط (٩/ ٥٢٢) عن ابن عبَّاس، وأبان عن عاصم، وفي التحصيل (٦/ ١٩٨) عن ابن عبَّاس.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٤) عن ابن كثير، وابن محيصن، ومجاهد، وانظر: البحر المحيط (٩/ ٥٢٢).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٤) عن الأعمش، وعبد الله، وانظر: البحر المحيط (٩/ ٥٢٢).

(٤) في التحصيل (٦/ ١٩٨) عن ابن عبَّاس.

(٥) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٢-٧٣).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الحجـرات: ١٤-١٨].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ﴾.

قال مُجَاهِد: نزلت في أعراب بني أسد بن خزيمة[١].

ووصـف غـيره حالهـم، فقـال: قَدِمـوا المدينـةَ في سـنة مُجْدِبـة، فأظهـروا الإِسـلامَ ولم يَكُونـوا مؤمنـين، وأفسَـدُوا طـرقَ المدينـة بِالْعُـذُرَاتِ، وأغلَـوا أسـعارَهم، وكانـوا يمنُّـون عـلى رسـول الله ﷺ فيقولـون: أتينـاك بالأثقـال والعيـال، ولَمْ نُقاتِلْـك، فنزلـت فيهـم هـذه الآيـة[٢].

وَقَالَ السُّدِّيُّ: نزلت في أعراب مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغِفَار، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الفتح، وكانوا يقولون: آمنَّا بالله، ليأمنوا على أنفُسِهم، فلمَّا استُنفروا إلى الحديبية تخلَّفوا، فنزلت فيهم هذه الآية[٣]. [٧٣٨/ أ]

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٨٨) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وهو في تفسير مجاهد (ص:٦١٢).

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٩/ ٨٩)، وأسباب النزول؛ للواحدي (ص:٣٩٦).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٨٩).



وَقَالَ مُقَاتِل: كانت منازلهم بين مكَّة والمدينة، فكانوا إذا مرَّت بهم سريَّة من سرايا رسولِ الله ﷺ قالوا: آمنَّا، ليأمنوا على دمائهم وأموالهم، فلـمَّا سارَ رسولُ الله ﷺ إلى الحديبية استنفرهم فلم يَنْفِروا معه[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ أي: لَمْ تصدِّقوا ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: اسْتَسْلمنا من خوف السَّيف، وانْقَدْنا[٢].

قال الزَّجَّاج: الإِسلام: إظهار الخُضوع والقَبول لِما أتى به رسولُ الله ﷺ، وبذلك يُحْقَن الدَّم، فإن كان معه اعتقادٌ وتصديقٌ بالقلب، فذلك الإِيمان، فأخْرَجَ اللهُ هؤلاء من الإِيمان بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لَمْ تُصَدِّقوا، إنَّما أسلمتم تعوُّذاً من القتل[٣].

وَقَالَ مُقَاتِل: «ولمَّا» بمعنى «ولم» يدخُل التصديقُ في قلوبكم[٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: إن تخلَّصوا الإيمان[٥].

﴿لَا يَلِتْكُم﴾.

قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: «يَأْلِتْكُم» بألف وهمز، وروي عنه بألف ساكنة مع ترك الهمزة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٨).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩٨).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٦٠).

وقَرَأَ الباقون: ﴿يَلِتۡكُم﴾ بغير ألفٍ ولا همزٍ[١].

فقراءة أبي عمرٍو من أَلَتَ يألِتُ، وقراءة الباقين من لاتَ يَلِيتُ.

قال الفَرَّاء: وهما لغتان[٢].

قال الزَّجَّاج: معناهما واحِدٌ، والمعنى: لا يَنْقُصكم[٣].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ[٤]: فيها ثلاث لغاتٍ: أَلَتَ يألِتُ، تقديرها: أَفَكَ يأفِكُ، وألاتَ يُلِيتُ، تقديرها: أَقَال يُقِيلُ، ولاتَ يَلِيتُ، قَالَ رؤبة[٥]:

وليلةٍ ذاتِ نَدىً سَرَيْتُ ... ولم يَلِتْنِي عَن سُراها لَيْتُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ﴾ أي: من ثَوَابها.

ثُمَّ نَعَتَ الصَّادقين في إيمانهم بالآية التي تلي هذه، ومعنى: ﴿يَرۡتَابُواْ﴾ يَشُكُّوا.

وإنَّما ذكر الجهادَ، لأنَّ الجهاد مع رسول الله ﷺ كان فَرْضًا في ذلك الوقت.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم، فلمَّا نزلت هاتان الآيتان أتوا رسولَ الله ﷺ يحلفون أنَّهم مؤمنون صادقون، فنزلت هذه الآية.

---

(١) انظر: الحجة (٦/ ٢١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٩).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٢١).

(٥) البيت لرؤبة في مجاز القرآن (٢/ ٢٢١)، وإصلاح المنطق (ص:١٠٥).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ و«علَّـم» بمعنـى «أعلـم» ولذلـك دَخَلَـتِ البـاءُ في قولـه: ﴿بِدِينِكُمْ﴾، والمعنـى: أتُخـبرون اللهَ بالدِّيـن الـذي أنتـم عليـه؟! أي: هو عَـالِمٌ بذلك لا يحتـاج إلى إخْبَاركـم، وفيهم نَـزَلَ قَولُهُ تَعَـالَى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ قالـوا: أَسْـلَمْنا ولم نقاتلـك، [والله أعلـم][1].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ر).



## سورة ق

ويقال لها: سُورَةُ البَاسِقَات.

روى العَوفي وغيره عَن ابن عبَّاس أنَّها مكيَّة، وكذلك قَالَ الحسَنُ، ومُجَاهِد، وعكرمة، وقَتَادَة، والجمهور.

وحكي عَنِ ابن عبَّاس وقَتَادَة أنَّ فيها آية مدنيَّة، وهي قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية [ق: ٣٨][1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾[ق: ١-٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قٓ﴾.

قَرَأَ الجمهور: بإسكان الفاء[2].

وقَرَأَ أبو عبدِ الرحمن السُّلمي، وأبو المتوكل، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: قافَ بنصب الفَاء[3].

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٣٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٥٦)، والبحر المحيط (٩/ ٥٢٩).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٥)، والمحتسب (٢/ ٢٨١)، والتحصيل (٦/ ٢١١)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٥٦)، والبحر المحيط (٩/ ٥٢٩) عن عيسى الثقفي.



وقَرَأَ أبو رزين، وقَتَادَة: قافُ برفع الفاء(١).

وقَرَأَ الحَسَنُ، وأبو عمران: قافِ بكسر الفاء(٢).

**وفي ﴿قٓ﴾ خمسة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه قَسَمٌ أقسم الله به وهو من أسمائه، رواه ابنُ أبي طلحة عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني:** أنَّه جبلٌ من زبرجدة خضراء، قَالَهُ أَبُو صَالِح عَن ابنِ عبَّاس.

وروى عكرمة، عَن ابنِ عبَّاس قال: خلق الله جبلاً يقال له «ق» محيط [٧٣٨/ ب] بالعالم وعروقُه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أرادَ الله ﷻ أن يزلزل قريةً، أمر ذلك الجبل فحرَّك العرق الذي يلي تلك القرية(٣).

وَقَالَ مُجَاهِد: هو جبل محيط بالأرض(٤).

وروي عَن الضَّحَّاك أنَّه من زمردة خضراء، وعليه كَنَفَا السَّماء، وخضرة السَّماء منه(٥).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٥) عن الحسن، وفي البحر المحيط (٩/ ٥٢٩) عن هارون وابن السميفع والحسن.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٥) عن ابن أبي إسحاق، وأبي السمال، وفي المحتسب (٢/ ٢٨١)، والتحصيل (٦/ ٢١١)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٥٦) عن الحسن، وابن أبي إسحاق، وفي البحر المحيط (٩/ ٥٢٩) عن الحسن، وابن أبي إسحاق، وأبي السمال.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات (٢٢)، وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٤/ ١٤٨٩) من طريق أبي روق عطية بن الحارث، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس به.

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٤٥) من رواية ابن جريج، عن مجاهد به.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٩٢)، ورواه أبو الشيخ في كتاب العظمة=

**والثَّالِـث**: أَنَّـه جبـلٌ مـن نـار في النَّـار، قَالَـهُ الضَّحَّـاك في روايـة عنـه عَـن ابـن عبَّـاس.

**والرَّابعُ**: أَنَّه اسمٌ من أسماء القرآن، قَالَهُ قَتَادَة.

**والخَامِسُ**: أَنَّه حرفٌ من كلمة. **ثمَّ فيه خمسة أقوالٍ**:

**أحدها**: أَنَّه افتتاح اسمِه قدير، قَالَهُ أبو العالية.

**والثَّـاني**: أَنَّـه افتتـاح أسـمائه القديـر، والقاهـر، والقريـب، ونحـو ذلـك، قَالَـهُ القرظـي.

**والثَّالِث**: أَنَّه افتتاحُ «قضي الأمر»، وأنشدوا[١]: [من الرجز]

قُلْنَـا لَهَـا قِفِـي فَقَالَـتْ قَـافِ ..............................

معناه: أقِفُ، فاكتفت بالقاف من أقف، حكاه جماعة منهم الزَّجَّاج[٢].

**والرَّابعُ**: قِفْ عند أمرنا ونهينا ولا تَعْدُهما، قَالَهُ أبو بكر الورَّاق[٣].

**والخَامِسُ**: قل يا محمَّد، حكاه الثعلبي[٤].

---

=(٤/ ١٤٨٩) عن عبد الله بن بريدة قال: «ق جبل محيط بالأرض من زمردة عليها كنفا السماء».

(١) البيت للوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعجزه: «لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف»، وقد ذكره الطبري في تفسيره (١/ ٢١٦)، والزَّجَّاج في معاني القرآن (١/ ٦٢)، وابن فارس في الصاحبي (ص:٨٣)، والأزهري في تهذيب اللغة (١٥/ ٤٨٨)، وابن سيده في المحكم (٦/ ٥٧٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٦٢)، و(٥/ ٤١).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٩٣).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٩/ ٩٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس، وابنُ جُبير: المجيد: الكريم[١].

**وفي جواب هذا القسم أربعة أقوال:**

**أحدها**: أنَّه مضمرٌ، تقديره: ليبعثن بعد الموت، قَالَهُ الفَرَّاء[٢]، وابن قُتَيْبَة[٣]، ويدلُّ عليه قول الكفَّار: ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

**والثَّاني**: أنَّه قولُه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، فيَكُون المعنى: قاف والقرآن المجيد لقد علمنا، فحذفت اللام لأنَّ ما قبلها عوض منها، كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الشمس: ١-٩] أي: لقد أفلح، أجاز هذا القول الزَّجَّاجُ[٤].

**والثَّالِث**: أنَّه قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ حكي عَن الأخفش[٥].

**والرَّابِعُ**: أنَّه في سورة أخرى، حكاه أبو سُلَيمان الدِّمَشْقِيُّ، ولم يبين في أي سورة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٠١) من رواية جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٨٩) لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٥).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٤٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٢).

(٥) حكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٥٢٨)، والذي في معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٢٢) أنه قسم على ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ ﴾ مفسَّرٌ في ص[1] إلى قوله: ﴿ شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ أي: معجب.

﴿ أَءِذَا مِتْنَا ﴾.

قال الأَخْفَشُ: هذا الكلام على جواب، كأنَّه قيل لهم: إنَّكم ترجعون، فقالوا: أئذا متنا وكنَّا ترابًا؟[2].

وَقَالَ غيرُه: تقدير الكلام: ق والقرآن ليبعثن، فقال: أئذا متنا وكنَّا ترابًا، والمعنى: أنبعث إذا كنَّا كذلك.

وَقَالَ ابن جرير: لما تعجبوا من وعيد الله على تكذيبهم بمحمَّد ﷺ فقالوا: ﴿ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ كان كأنَّه قَالَ لهم: ستعلمون إذا بعثتم ما يَكُون حالكم في تكذيبكم محمّدًا، فقالوا: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾[3].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ ﴾ أي: ردٌّ إلى الحياة ﴿ بَعِيدٌ ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أي: لا يَكُون[4].

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ أي: ما تأكُل من لحومهم ودمائِهم وأشعارهم إذا ماتُوا يعني أنَّ ذلك لا يعزب عَنْ علمه ﴿ وَعِندَنَا ﴾ مع علمنا بذلك ﴿ كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ أي: حافظٌ لعددهم وأسمائهم، ولما تنقص الأرضُ منهم، وهو اللوح المحفوظ قد أثبت فيه ما يَكُون.

---

(١) انظر: تفسير سورة ص الآية رقم (٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٥٢٢).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٤٠٣).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٤٢)، وغريب القرآن (ص:٤١٧).

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو القُرآن، والمَرِيجُ: المختلط.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يقالُ مرج أمرُ النَّاس ومرج الدين، وأصلُ هذا أن يقلق الشيءُ ولا يستقر، يقال: مرج الخاتم في يدي، إذا قلق للهزال[1].

قال المفَسِّرُون: ومعنى اختلاط أمرهم أنَّهُم كانوا يقولون للنبيِّ ﷺ: مرَّةً ساحر، ومرَّة شاعر، ومرَّة معلم، ويقولون للقرآن: مرَّة سحر، ومرَّة مفترى، ومرَّة رجز، فكان أمرهم ملتبسًا مختلطًا عليهم.

قَولُهُ تَعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ۝١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[ق: ٦-١٥].

ثُمَّ دلَّهم على قدرَته على البعث بقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ بغير عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ أي: من صُدُوعٍ وشقوقٍ، والزوج: الجنس. [٧٣٩/أ]

والبَهيج: الحسَنُ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَة[2].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٧).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٣).

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: البهيج الذي يبتهجُ به(١).

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: فعلنا ذلك لنُبَصِّرَ وندلَّ على القدرة، والمنيب: الذي يرجع إلى الله ويفكر في قدرته(٢).

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾ وهو المطر ﴿ مُّبَٰرَكٗا ﴾ أي: كثيرَ الخير فيه حياة كلِّ شيء ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ ﴾ وهي البساتين ﴿ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴾ أراد: الحبَّ الحصيد، فأضافه إلى نفسه، كقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٥] وقوله: ﴿ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦] فالحبل هو الوريد.

وكما يقال: صلاة الأولى، يراد: الصلاة الأولى، ويقال: مسجد الجامع، يراد: المسجدُ الجامع، وإنَّما تضاف هذه الأشياء إلى أنفسها لاختلاف لفظ اسمها، وهذا قول الفَرَّاء(٣)، وابن قُتَيْبَةَ(٤).

وَقَالَ غيرهما: أراد حبَّ النَّبْتِ الحصيد ﴿ وَٱلنَّخۡلَ ﴾ أي: وأنبتنا النخل ﴿ بَاسِقَٰتٖ ﴾ و«بُسوقها» طُولها.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يقال: بَسَقَ الشيء يَبْسُق بُسوقًا: إذا طال، والنضيد: المنضودُ بعضُه فوقَ بعض، وذلك قبل أن يتفتح، فإذا انشقَّ جفَّ طلعه

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٣).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٧).



وتفـرَّق ليـس بنضيـد[١].

قَولُـهُ تَعـالى: ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾ أي: أنبتنا هذه الأشـياء للـرِّزق ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ﴾ أي: بالمطـر ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ مـن القبور.

ثـمَّ ذكَـرَ الأمـم المكذِّبـة بـها بعـد هـذا وقـد سـبق بيانُـه إلى قولـه: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: وجَـبَ عليهـم عـذابي.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ هــذا جــوابٌ لقولهــم: ذلــك رجــعٌ بعيــدٌ. والمعنـى: أَعَجِزْنـا عَـن ابتـداء الخلـق، وهـو الخلـق الأوَّل، فنعيـا بالبعـث وهـو الخلـق الثَّـاني؟ وهـذا تقريرٌ لهـم، لأنَّهـم اعترفـوا أنَّـه الخالـقُ، وأنكـروا البعـث ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾ أي: في شــكٍّ ﴿مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ وهــو البعــث.

قَولُــهُ تَعــالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾[ق: ١٦-٢٢].

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعنـي ابـن آدم ﴿وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾ أي: مـا تحدثـه بـه نفسـه.

وَقَالَ الزَّجَّاج: نعلم ما يكنُّه في نفسه[٢].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي: بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الحبل هو الوريد، وإنَّما أضافه إلى نفسه لما شرحناه آنفًا في قوله: ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾[ق :٩].

قال الفَرَّاء: والوَرِيد: عِرْقٌ بين الحُلْقوم والعِلْباوَيْن[١].

وعنه أيضًا قال: عرقٌ بين اللَّبَّة والعِلْباوَيْن.

وَقَالَ الزَّجَّاج: الوريد: عرقٌ في باطن العنق، وهما وريدان[٢].

والعِلْباوَان: العَصَبتان الصَّفراوان في مَتْن العُنُق، واللَّبَّتان: مجرى القُرط في العُنُق.

وَقَالَ ابنُ الأَنْبَارِي: اللَّبَّة حيث يتذبذب القُرْط مِمَّا يَقْرُبُ من شحمة الأُذن.

وحكى بعضُ العلماء أنَّ الوريد: عِرْقٌ متفرِّق في البدن مُخالِط لجميع الأعضاء، فلمَّا كانت أبعاضُ الإنسان يحجب بعضُها بعضاً، أَعْلَمَ أن عِلْمه لا يحجُبه شيءٌ.

والمعنى: ونحن أقربُ إليه حين يَتلقَّى المتُلقِّيان، وهما الملَكان الموكَّلان بابن آدم يتلقيَّانِ عمله.

وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: يأخذان ذلك ويثبتانه ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ كاتب الحسنات ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ كاتب السيئات.

---

(١) ذكره مكي في الهداية (١١/ ٧٠٣٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٥٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٥٢٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٤).

قال الزَّجَّاج: والمعنى: عَن اليمين قعيد، وعَن الشمال قعيد، فدلَّ أَحَدُهُمَا على الآخر، فحَذَفَ المدلول عليه، قَالَ الشاعر(١): [من المنسرح]

[٧٣٩/ب] نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وأنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

وَقَالَ آخر(٢): [من الطويل]

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوالِدِي بَرِيئاً ومِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

المعنى: كنتُ منه بريئًا(٣).

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم في ملحقات ديوانه (ص:١٧٣)، ولعمرو بن امرئ القيس الخزرجي في جمهرة أشعار العرب (ص:٥٣١)، والبيان والتبيين (٣/ ٦٩)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٨٨)، والطبري في تفسيره (١١/ ٤٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٤٥)، و(٥/ ٤٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٣٩)، والصاحبي في فقه اللغة (ص:١٦٦)، والمذكر والمؤنث (٢/ ٢٧٩)، وتهذيب اللغة (١/ ١٣٧)، ولسان العرب (٣/ ٣٦٠).

(٢) البيت لعمرو بن أحمر في ديوانه (ص:١٨٧)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٨٨)، وللأزرق بن طرفة بن العمرَّد الباهلي في مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (٢/ ١٦١)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٨/ ٤٧٨)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٤/ ٤٥٣)، وتاج العروس (٢٨/ ٢٥٠)، وبلا نسبة في تفسير الطبري (١٢/ ١١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٥/ ٤٤)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٢/ ٦٨٧)، وإصلاح المنطق (ص:٧١)، والمذكر والمؤنث (٢/ ٢٧٩)، ومقاييس اللغة (١/ ٤٩٦)، ولسان العرب (١١/ ١٣٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٤).

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: القَعِيدُ بمعنى قاعد، كما يقال: «قدير» بمعنى «قادر» ويَكُون القعيد بمعنى مقاعد، كالأكيل والشريب بمنزلة: المؤاكل والمشارب[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ ﴾ يعني الإنسان، أي: ما يتكلَّم من كلامٍ فيلفظه، أي: يرميه من فمه، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ أي: حافظ، وهو الملك الموكَّل به، إمَّا صاحب اليمين، وإمَّا صاحب الشِّمال ﴿ عَتِيدٌ ﴾.

قال الزَّجَّاج: العتيد: الثابت اللازم[٢].

وَقَالَ غيره: العتيد: الحاضِرُ معه أينما كان.

وروى أبو أُمامة قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَلَى يَمِينِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَلَى يَسَارِهِ، فَكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ أَمِينٌ عَلَى كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ، فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً، وَأَرَادَ صَاحِبُ الشِّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا، قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ: أَمْسِكْ، فَيُمْسِكُ عَنْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ مِنْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ كُتِبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ»[٣].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٥).

(٣) رواه الروياني في مسنده (١٢١٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٩٩)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٦٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٧٦٥، ٧٧٨٧)، وفي مسند الشاميين (٤٦٨)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (١٨٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٤٨) وغيرهم من رواية القاسم بن محمد، عن أبي أمامة به.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٨): «رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها وثقوا».

وَقَالَ ابنُ عبَّاس: جعل الله على ابنِ آدمَ حافظين في الليل، وحافظين في النَّهار(١).

**واختلفوا هل يكتبان جميع أفعاله وأقواله على قولين:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّهما يكتبان عليه كلَّ شيء حتَّى أنينه في مرضه، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّاني**: أنَّهما لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه، أو يوزر، قَالَهُ عكرمة.

فأمَّا مجلسهما، فقد نطق القرآن بأنَّهما عَن اليمين وعَن الشمال، وكذلك ذكرنا في حديث أبي أُمامة.

وقد روى عليٌّ كرَّم الله وجهه عَن النبي ﷺ قال: «**إنَّ مَقْعَدَ مَلَكَيك عَلَى ثَنِيَّتَيْكَ، وَلِسَانُكَ قَلَمُهُمَا، وَرِيقُكَ مِدَادُهُمَا، وَأَنْتَ تَجْرِي فِيمَا لَا يَعْنِيكَ**»(٢).

وروي عَن الحسن والضَّحَّاكِ قالا: مجلسهما تحت الشعر على الحنك(٣).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ وهي غمرتُه وشدَّتُه، التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، وتدلُّه على أنَّه ميِّت.

**﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ وفيه وجهان:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّ معناه: جاءت بحقيقة الموت.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٢٥) من رواية العوفي، عن ابن عبَّاس به.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٩٩) من رواية جميل بن الحسن، عن أرطأة بن الأشعث العدوي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب به. وإسناده ضعيف؛ لضعف أرطأة بن الأشعث، ولانقطاعه بين محمد الباقر وعلي بن أبي طالب.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٩٩) عن الضحاك.

والثَّـاني: بالحـقِّ مـن أمـر الآخـرة، فأبانـت للإنسـان مـا لم يكـن بيِّنًـا لـه مـن أمـر الآخـرة، ذكـر الوجهـين الفَـرَّاء(١) وابـن جريـر(٢).

وقَرَأَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ»(٣).

قَالَ ابْنُ جرير: ولهذه القراءة **وجهان:**

**أَحَدُهُمَا:** أن يَكُـون الحـقُّ هـو الله تعـالى، فيَكُـون المعنـى: وَجَـاءَتْ سَـكْرَةُ اللهِ بِالْمَوْتِ.

**والثَّـاني:** أن تَكُـون السَّـكرة هـي المـوت، أضيفـت إلى نفسِـها، كقولـه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعـة ٩٥] فيَكُـون المعنـى: وَجَـاءَتِ السَّـكْرَةُ الْحَـقُّ بِالْمَـوْتِ، بتقديـم «الحـق»(٤).

وقَـرَأَ ابـنُ مسـعود، وأبـو عمـران: «وجـاءت سـكرات» عـلى الجمـع «الحـق بالمـوت» بتقديـم «الحـق»(٥).

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٨).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٤٢٧).

(٣) نسـبها إليـه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٣/ ٥٥٨)، وفي موضـع آخـر (٢١/ ٤٢٧) قـال: «وقـد ذُكـر عـن أبي بكـر الصديـق رضي الله عنه أنـه كان يقـرأ: وَجَـاءَتْ سَـكْرَةُ الْحَـقِّ بِالْمَـوْتِ»، وكذلـك نسـبها إليـه مكـي في التحصيـل (٦/ ٢١٢)، وفي مختـصر ابـن خالويـه (ص: ١٤٥) عـن أي بكـر، وأُبي، وفي المحتسـب (٢/ ٢٨٣)، والمحـرر الوجيـز (٥/ ١٦١) عـن أبي بكـر، وسـعيد بـن جبـير، وطلحـة.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٤٢٧).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٥) عن ابن مسعود.

وقَـرَأَ أبي بـنُ كعـبٍ، وسـعيدُ بـن جُبـير: «وجـاءت سـكرات المـوت» عـلى الجمـع «بالحـق» بتأخـير «الحـق»(١).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: فيقـال للإنسـان حينئـذٍ: «ذلـك» أي: ذلـك المـوت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تهـرب وتفِـرُّ.

وَقَالَ ابن عبَّاس: تكره(٢).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ يعنـي نفخـةَ البعـث ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليـوم ﴿يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ أي: يـوم وقُـوع الوعيـد.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ فيه قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّ السَّائق: مَلَكٌ يسوقها إلى محشرها، قَالَهُ أبو هريرة.

**والثَّاني**: أَنَّه قرينها من الشَّياطين، سمِّي سائقًا، لأَنَّه يتبعها وإن لم يحثها.

**وفي الشهيد ثلاثة أقوال:**

**أحدها**: أَنَّه مَلَكٌ يشهد عليها بعملها، قَالَهُ عثمان بن عفان، والحسن.

وَقَالَ مُجَاهِد: الملكان: سائقٌ، وشهيد(٣). [٧٤٠/أ]

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٠٠)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٦٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٣٠) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد بلفظ: «الملكان: كاتب، وشهيد»، وهو في تفسير مجاهد (ص:٦١٤).

وَقَالَ ابن السَّائب: السَّائق: الذي كان يكتب عليه السَّيئات، والشَّهيد: الذي كان يكتب الحسنات[1].

**والثَّاني**: أَنَّه العمل يشهد على الإنسان، قَالَهُ أبو هريرة.

**والثَّالِث**: الأيدي والأرجل تشهد عليه بعَمَلِه، قَالَهُ الضَّحَّاك.

وهل هذه الآيات عامَّةٌ، أم خاصَّةٌ؟ **فيها قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّها عامَّة، قَالَهُ الجمهور.

**والثَّاني**: خاصَّة في الكافر، قَالَهُ الضَّحَّاك، ومُقَاتِل[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ أي: ويقال له: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم.

**وفي المخاطَب بهذه الآيات ثلاثة أقوال**:

**أحدها**: أنَّه الكافر، قَالَهُ ابن عبَّاس، وصالح بن كَيسان في آخرين.

**والثَّاني**: أنَّه عامٌّ في البرِّ والفاجر، قَالَهُ حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عبَّاس، واختاره ابن جرير[3].

**والثَّالِث**: أنَّه النبي ﷺ، وهذا قول ابن زيد.

فعلى القول الأَوَّل يَكُون المعنى: لقد كنتَ في غَفْلَةٍ من هذا اليوم في الدنيا بكفرك به؛ وعلى الثَّاني: كنت غافلاً عَن أهوال القيامة.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٦٧)، والتفسير البسيط (٢٠/ ٣٩٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١١٢).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٤٣٥).

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الذي كان في الدُّنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك.

وقيل معناه: أريناك ما كان مستورًا عنك؛ وعلى الثَّالِث: لقد كنت قبل الوحي في غفلةٍ عمَّا أوحي إليك، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

**وفي المراد بالبصر قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** البصرُ المعروف، قَالَهُ الضَّحَّاك.

**والثَّاني:** العلم، قَالَهُ الزَّجَّاج[١].

**وفي قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه يوم القيامة، قَالَهُ الأكثرون.

**والثَّاني:** أنَّه في الدُّنيا، وهذا على قَول ابن زيد.

فأمَّا قوله: ﴿حَدِيدٌ﴾.

فقَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: الحديد بمعنى الحاد[٢]، أي: فأنتَ ثاقِبُ البَصَرِ.

**ثم فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** فبصرك حديد إلى لسان الميزان حين توزن حسناتك وسيئاتك، قَالَهُ مُجَاهِد.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٩).

والثَّاني: أنَّه شاخصٌ لا يطرف لمعاينة الآخرة، قَالَهُ مُقَاتِل[١].

والثَّالِث: أنَّه العلم النافِذُ، قَالَهُ الزَّجَّاج[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[ق: ٢٣-٢٩].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾.

قال مُقَاتِل: هو مَلَكُه الذي كان يكتب عمله السَّيِّئ في دار الدنيا، يقول لربِّه: قد كتبت ما وكلتني به، فهذا عندي معدٌّ حاضرٌ من عمله الخبيث، فقد أتيتك به وبعمله[٣].

**وفي «ما» قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّها بمعنى «من»، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّاني:** أنَّها بمعنى الشيء، فتقديره: هذا شيءٌ لديَّ عَتِيدٌ، قَالَهُ الزَّجَّاج[٤].

(١) انظر: تفسير مُقَاتِل بن سليمان (٤/ ١١٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١١٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٥).

وقد ذكرنا معنى العَتيد في هذه السورة[١] فيقول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾.

وفي معنى هذا الخطاب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه مخاطبةٌ للواحد بلفظ الخطاب للاثنين.

قال الفَرَّاء: والعرب تأمرُ الواحد والقوم بأمر الاثنين، فيقولون للرجل: ويلك ارحلاها وازجراها، سمعتها من العرب.

وأنشدني بعضهم[٢]: [من الوافر]

فقُلْتُ لِصَاحِبِي لا تَحْبِسَانَا بِنَزْعِ أُصُولِهِ واجْتَزَّ شِيحَا

وأنشدني أبو ثروان[٣]: [من الطويل]

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَّان أَنْزَجِرْ وإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا

ونرى أنَّ ذلك منهم، لأنَّ أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرفقة أدنى ما تكُون ثلاثة، فجرى الكلام على صاحبيه، ألا ترى الشعر أكثر شيء قيلاً: يا صاحبَي ويا خليلَي.

---

(١) انظر: تفسير سورة ق الآية رقم (١٨).

(٢) البيت لمضرس بن ربعي في شرح شواهد الشافية (ص: ٤٨١)، وليزيد بن الطثرية في الصحاح (٣/ ٨٦٨)، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب (١/ ١٩٨)، والصاحبي في فقه اللغة (ص:٧١)، ومعجم ديوان الأدب (٣/ ١٧٨).

(٣) وهو لسويد بن كراع العكلي في لسان العرب (٥/ ٣٢٠)، وتاج العروس (١٥/ ٦٠)، وليس في ديوانه؛ وليزيد بن معاوية في ديوانه (ص: ٢٢)، ولسان العرب (٨/ ٤١٥)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٢١)، وبلا نسبة في تاج العروس (٢٢/ ٤٣٣)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٣٩).

قال امرؤ القيس[١]:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ     نُقَضِّي لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

ثمَّ قال: [٧٤٠/ب]

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً     وَجَدْتُ بها طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

فرجع إلى الواحد، وأوَّل كلامه اثنان[٢].

وإلى هذا المعنى ذهب مُقَاتِل[٣]، وقال: «ألقيا» خطاب للخازِن، يعني خازن النَّار.

**والثَّاني**: أنَّه فعل ثني توكيدًا، كأنَّه لما قال: «ألقيا» ناب عَن ألق ألق، وكذلك: قفا نَبْكِ، معناه: قف قف، فلما ناب عَن فعلين، ثني، قَالَهُ المبرِّد.

**والثَّالِث**: أنَّه أمرٌ للملكين، يعني السَّائق والشَّهيد، وهذا اختيار الزَّجَّاج[٤].

فأما «الكَفَّار» فهو أشدُّ مبالغة من الكافر.

---

(١) البيتان لامرئ القيس في ديوانه (ص:٧٤)،ولسان العرب (١١/ ٥١٨)، والأشباه والنظائر (٨/ ٨٥)، وتهذيب اللغة (٥/ ٤٩)، وأساس البلاغة (٢/ ٨٦)، وتاج العروس (٣٠/ ١٥٢)، والشعر والشعراء (١/ ٢١٢).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٨-٧٩).

(٣) انظر: تفسير مُقَاتِل بن سليمان (٤/ ١١٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٥).

و«العنيد» قد فسَّرناه في هود[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ ﴾ في المراد بالخير هاهنا **ثلاثة أقوال**:

**أحدها**: الزكاة المفروضة، قَالَهُ قَتَادَة.

**والثَّاني**: أنَّه الإسلام، يمنع النَّاس من الدخول فيه، قَالَهُ الضَّحَّاك، ومُقَاتِل[٢]، وذكر أنَّها نزلت في الوليد بن المغيرة، مَنَعَ بني أخيه عَنِ الإسلام.

**والثَّالِث**: أنَّه عامٌّ في كلِّ خير من قولٍ أو فعلٍ، حكاه الماوردي[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: ظالمٍ لا يقرُّ بالتوحيد ﴿ مُرِيبٍ ﴾ أي: شاكٍّ في الحق، من قولهم: أرابَ الرجل: إذا صار ذا ريب.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ **فيه قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: شيطانُه، قَالَهُ ابن عبَّاس، ومُجَاهِد، وقَتَادَة، والجمهور.

وفي الكلام اختصارٌ تقديره: إنَّ الإنسان ادَّعى على قرينه من الشياطين أنَّه أضلَّه فقال: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾ أي: لم يكن لي قوَّة على إضلاله بالإكراه، وإنَّما طغى هو بضلاله.

**والثَّاني**: أنَّه الملك الذي كان يكتب السَّيِّئات.

ثمَّ فيما يدَّعيه الكافر على الملَك **قَوْلان**:

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٥٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١١٣).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٥١).

**أَحَدُهُمَا**: أَنَّه يقول: زاد عليَّ فيها كتب، فيقول الملك: ما أطغيته، أي: ما زدت عليه، قَالَهُ سعيدُ بن جبير.

**والثَّاني**: أَنَّه يقول: كان يعجلني عَن التَّوبة، فيقول: ربَّنا ما أطغيته، هذا قول الفَرَّاء[1].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بعيدٌ من الهدى، فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾.

في هذا الخصام **قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: أَنَّه اعتذارهم بغير عذر، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: أَنَّه خصامُهم مع قرنائهم الذين أَغْوَوهم، قَالَهُ أبو العالية.

فأمَّا اختصامهم فيما كان بينهم من المظالم في الدنيا، فلا يجوز أن يهمل، لأَنَّه يوم التناصف.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾ أي: قد أخبرتكم على أَلْسُنِ الرسل بعذابي في الآخرة لمن كفر.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ **فيه قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: ما يبدَّل القول فيها وعدته من ثواب وعقاب، قَالَهُ الأكثرون.

**والثَّاني**: ما يكذب عندي ولا يغير القول عَن جهته، لأني أعلم الغيبَ وأعلم كيف ضلُّوا وكيف أضللتموهم، هذا قول ابن السَّائب

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٩).



واختيار الفَرَّاء[١] وابنُ قُتَيْبَة[٢]، ويدلُّ عليه أنَّه قَالَ تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ ولم يقل: ما يبدَّل قولي ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فأزيد على إساءة المسيء، أو أنقص من إحسان المحسن.

قولُهُ تَعَالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[ق: ٣٠-٤٠].

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ ﴾:

قَرَأَ ابنُ كَثِير، وأَبُو عَمْرو، وابنُ عَامِر، وحَمْزَة، والكِسَائِيُّ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ ﴾ بالنُّون المفتوحة وضمِّ القاف.

وقَرَأَ نَافِعٌ، وأبو بكر، والمفضل عَن عَاصِم: «يوم يَقُول» بالياء المفتوحة وضمِّ القاف[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٩).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٢٣٩).

(٣) انظر: السبعة (ص:٦٠٧)، والحجة (٦/ ٢١٣)، والمبسوط (ص:٤١٤)، والتحصيل (٦/ ٢١٢).

وقَـرَأَ أبيٌّ بـن كعـب، والحسـنُ، وعبـد الـوارث عَـن أبي عمـرو: «يـوم يُقَـال» بيـاء مضمومـة وفتـح القـاف وإثبـات ألـف[١].

قال الزَّجَّاج: وانتصاب «يوم» على وجهين:

**أَحَدُهُمَا:** على معنى: ما يبدَّل القول لديَّ في ذلك اليوم. [١/٧٤١أ]

**والثَّاني:** على معنى: وأنذرهم يوم نقول لجهنَّم[٢].

فأمَّـا فائـدة سـؤاله إيَّاهـا، وقـد علـم هـل امتـلأت أم لا، فإنَّـه توبيـخٌ لمـن أُدخلهـا، وزيـادة في مكروهـه، ودليـل عـلى تصديـق قولـه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعـراف:١٨].

وفي قولها: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ **قَوْلان عند أهل اللغة:**

**أَحَدُهُمَـا:** أنَّهـا تقـول ذلـك بعـد امتلائهـا، فالمعنـى: هـل بَقِـيَ فيَّ موضـعٌ لم يمتلـئ؟ أي: قـد امتـلأت.

**والثَّـاني:** أنَّهـا تقـول تغيُّظًـا عـلى مَـن عـصى الله تعـالى، وجعـل الله فيهـا أن تميـزَ وتخاطِـبَ، كـما جعـل في النَّملـة أن قالـت: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمـل:١٨] وفي المخلوقـات أن تسـبِّح بحمـده.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٥) عن الحسن، وأبان عن عاصم، وفي التحصيل (٦/ ٢١٢) عن ابن مسعود وغيره، وفي المحتسب (٢/ ٢٨٤) عن ابن مسعود، والحسن، والأعمش.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٦).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: قُرِّبَـتْ للمتَّقـينَ الـشِّرْكَ ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أي: جعلـت عَـن يمـين العَـرش حيـث يراهَـا أهـلُ الموقـف، ويقـال لهـم: ﴿ هَٰذَا ﴾ الـذي تَرونـه ﴿ مَا تُوعَدُونَ ﴾.

وقَـرَأ عثـمان بـن عفـان، وابـن عمـر، ومُجَاهِـد، وعِكْرمـة، وابـنُ محيصـن: «يوعدون» باليـاء[١].

﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾ وفيه أَقْوَال قد ذكرناها في بني إسرائيل[٢].

وفي ﴿ حَفِيظٍ ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: الحافِظ لذنُوبه حتَّى يرجع عنها، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: الحافِظُ لأمر الله تعالى، قَالَهُ مُقَاتِل[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قد بينَّاه في الأنبياء[٤].

﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ أي: راجعٍ إلى طاعة الله عَن معصيته.

﴿ ٱدْخُلُوهَا ﴾ أي: يقـال لهـم: ادخلـوا الجنـة ﴿ بِسَلَٰمٍ ﴾ وذلـك أنَّهُـم سَـلِمُوا مـن عـذاب الله، وسـلموا فيهـا مـن الغمـوم والتغـيُّر والـزَّوال، وسـلَّم الله وملائكتـه عليهـم ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾ في الجنَّـة، لأنَّـه لا مـوت فيهـا ولا زوال.

---

(١) في التحصيل (٦/ ٢١٢) عن ابن كثير.

(٢) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٢٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١١٤).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٤٩).

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ وذلـك أنَّهُـم يسـألون الله حتَّـى تنتهـي مسـائلهم، فيعطـون مـا شـاؤوا، ثـمَّ يزيدهـم مـا لم يسـألوا، فذلـك قولـه: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وللمفسِّريـن في المـراد بهـذا المزيـد **ثلاثـة أقـوال:**

**أحدها:** أنَّه النَّظر إلى الله ﷻ.

روى علي ﵁ عَن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال: «**يَتَجَلَّى لَهُمْ**»(١).

وَقَـالَ أنـسُ بـن مالـك في قولـه: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: يتجـلَّى لهـم الـربُّ تعـالى في كلِّ جمعـة(٢).

**والثَّـاني:** أنَّ السَّـحاب يمـرُّ بأهـل الجنَّـة، فيمطرهـم الحـور فتقـول الحـور: نحـن اللَّـواتي قَـالَ الله ﷻ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، حـكاه الزَّجَّاج(٣).

**والثَّالِـث:** أنَّ الزِّيـادة عـلى مـا تمنَّـوه وسـألوا ممَّـا لم تسـمع بـه أذنٌ ولم يخطـر عـلى قلب بَـشَرٍ، ذكـره أبـو سُـلَيمان الدِّمشـقيّ.

---

(١) رواه الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٨٧٧)، واللالكائـي في شرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة (٨٥٢) مـن روايـة محمـد بـن المصفـى، عـن سـويد بـن عبـد العزيـز، عـن عمـرو بـن خالـد الواسـطي، عـن زيـد بـن عـلي بـن الحسـين، عـن أبيـه، عـن جـده، عـن عـلي بـه.
وإسـناده ضعيـف جـدًّا؛ فيـه عمـرو بـن خالـد الواسـطي، وهـو كـذاب، ويـروي عـن زيـد بـن عـلي، عـن آبائـه أحاديـث موضوعـة، وقـد كذبـه أحمـد بـن حنبـل، ويحيـى بـن معـين. انظـر: ضعفـاء العقيـلي (١٢٧٤)، والمجروحـين لابـن حبـان (٢/ ٧٥).

(٢) رواه البـزار في مسـنده (٧٥٢٨)، والدارمـي في الـرد عـلى الجهميـة (١٩٨)، وابـن أبي الدنيـا في صفـة الجنـة (٩٠) مـن روايـة عثـمان بـن عمـير أبي اليقظـان، عـن أنـس بـه.
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٢): «رواه البزار، وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٧).



ثمَّ خوَّف كفَّار مكَّة بما بعد هذا إلى قوله: ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾.

قَرَأَ الجمهور ﴿فَنَقَّبُواْ﴾ بفتح النُّون والقاف مع تشديدها[١].

وقَرَأَ أبيُّ بن كعب، وابنُ عبَّاس، والحسن، وابنُ السَّمَيفع، ويحيى بن يعمر كذلك، إلا أنَّهُم كسروا القاف على جهة الأمر تهدُّداً[٢].

وقَرَأَ عمرُ بن الخطَّاب، وعمر بن عبد العزيز، وقَتَادَة، وابن أَبِي عَبْلَة، وعبيد عَن أبي عمر: «فنَقَبوا» بفتح القاف وتخفيفها[٣].

قال الفَرَّاءُ: ومعنى «فنقَّبوا» ساروا في البلاد، فهل كان لهم من الموت ﴿مِن مَّحِيصٍ﴾ فأضمِرَتْ كان هاهنا، كقوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد:١٣] أي: فلم يكن لهم ناصِرٌ، ومَن قَرَأَ «فنقِّبوا» بكسر القاف، فإنَّه كالوعيد؛ والمعنى: اذهبوا في البلاد وجيئوا فهل من الموت من محيصٍ؟[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠٧)، والحجة (٦/ ٢١٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٥)، والتحصيل (٦/ ٢١٢) عن أبي العالية، وابن يعمر، وفي المحتسب (٢/ ٢٨٥) عن ابن عبَّاس، وأبي العالية، ويحيى بن يعمر، ونصر بن سيار، وفي الكامل (ص:٦٤٠) عن الأصمعي عن أبي عمرو، وأبي حيوة، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٦٧) عن ابن يعمر، وابن عبَّاس، ونصر بن سيار، وأبي العالية، وفي البحر المحيط (٩/ ٥٤١) عن ابن عبَّاس، وابن يعمر، وأبي العالية، ونصر بن يسار، وأبي حيوة، والأصمعي عن أبي عمرو.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٥) عن ابن عبَّاس، وعبيد عن أبي عمرو، وفي التحصيل (٦/ ٢١٢) عن الحسن، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٦٧) عن أبي عمرو في رواية عبيد عنه.

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ٧٩-٨٠).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ(١) «نقبوا»: طوِّفوا وفتِّشوا، فلم تَرَوا محيصًا من الموت.

قال امرؤ القيس(٢): [من الوافر]

لقَدْ نَقَّبْتُ في الآفاقِ حتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بالإِيابِ

فأمَّا المحيص فهو المَعْدِلُ؛ وقد استوفينا شرحه في سورة النساء(٣).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي ذكره من إهلاك القُرى [١٤٧/ ب] ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أي: تذكرةً وعِظَةً ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: أي: عَقْلٌ(٤).

قال الفَرَّاء: وهذا جائزٌ في اللغة أن تقول ما لكَ قلبٌ، وما معك قلبك، تريد العقل(٥).

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة: لما كان القلبُ موضعًا للعقل كنَى به عنه(٦).

وَقَالَ الزَّجَّاج: المعنى: لمن صَرَفَ قلبه إلى التفهم، ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي: استمع مني ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: وقلبه فيما يسمع(٧).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٨).

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص:٤٣)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٥/ ٤٨)، والزاهر (٢/ ١٠)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٥٩)، ولسان العرب (١/ ٧٦٩)، وتاج العروس (٤/ ٣٠٠).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٢١).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٧٠).

(٥) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨٠).

(٦) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٩٨).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٨-٤٩).



وَقَالَ الفَرَّاء: وهو شهيد أي: شاهد ليس بغائبٍ[١].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ ذكـر المفسِّرُون أنَّ اليهـود قالـت: خلـق الله السـموات والأرض ومـا بينهـما في ستة أيَّام، آخرهـا يـوم الجمعـة، واسـتراح يـوم السـبت، فلذلـك لا نعمـل فيـه شـيئًا، فنزلـت هـذه الآيـة، فأكذبهـم الله ﷻ بقولـه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾.

قال الزَّجَّاج: واللُّغوب التَّعب والإعياء[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: من بهتهم وكذبهم.

قـال المفسِّرون: ونُسـخ معنـى قولـه: ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ بآيـة السَّـيف ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي: صـلِّ بالثنـاء عـلى ربِّـك والتنزيـه لـه ممَّـا يقـول المبطلـون ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ﴾ وهـي صـلاة الفجـر.

﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ فيها قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: صلاة الظهر والعصر، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: صلاة العصر، قَالَهُ قَتَادَة.

وروى البخـاريُّ ومسـلم في الصحيحـين مـن حديـث جريـر بـن عبـد الله، قـال: كنَّـا عنـد رسـول الله ﷺ ليلـة البـدر، فقـال: «إِنَّكُـمْ سَـتَرَوْنَ رَبَّكُـمْ عَيَانًـا كَـمَا تَـرَوْنَ هَـذَا الْقَمَـرَ، لَا تُضَامُّـونَ فِي رُؤْيَتِـهِ، فَـإِنِ اسْـتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُـوا عَـلَى صَـلَاةٍ قَبْـلَ طُلُـوعِ الشَّـمْسِ وَقَبْـلَ الْغُـرُوبِ فَافْعَلُـوا»، وقـرأ: ﴿وَسَبِّحْ

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٩).

بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

**أحدها:** أنَّها صلاةُ اللَّيل كله، أي: وقت صلَّى منه، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّاني:** صلاة العشَاء، قَالَهُ ابن زيد.

**والثَّالِث:** صلاة المغرب والعشاء، قَالَهُ مُقَاتِل(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، ونَافِعٌ، وحَمْزَة، وخَلَف بكسر الهمزة.

وقَرَأَ الباقون بفتحها(٣).

قال الزَّجَّاجُ: مَن فتح أَلِفَ أدبار فهو جمع دُبُر، ومَن كَسَرها فهو مصدر: أدبر يدبر إدبارًا(٤).

**وللمُفَسِّرين في هذا التَّسبيح ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه الرَّكعتان بعد صلاة المغرب، روي عَن عمر، وعلي، والحسن بن علي رضي الله عنهم، وأبي هريرة، والحسن، ومُجَاهِد، والشعبي، والنخعي، وقَتَادَة في آخرين، وهو رواية العوفي عَن ابن عبَّاس.

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١) ومواضع أخرى، ومسلم (٦٣٣) في صحيحيهما.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١١٦).

(٣) انظر: السبعة (ص:٦٠٧)، والحجة (٦/ ٢١٣)، والمبسوط (ص:٤١٤)، والتيسير (ص:٢٠٢)، والتحصيل (٦/ ٢١٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٩).



والثَّاني: أنَّه النوافل بعد المفروضات، قَالَهُ ابن زيد.

والثَّالِث: أنَّه التَّسبيح باللِّسان في أدبار الصَّلوات المكتوبات، رواه مُجَاهِد عَن ابن عبَّاس.

وروي عَن أبي الأحوص أنَّه قَالَ في جميع التَّسبيح المذكور في هاتين الآيتين كذلك.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: ٤١-٤٥].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، ونَافِع، وأَبُو عَمْرو، وابن عَامِر: «ينادي المنادي» بياء في الوصل.

ووقف ابنُ كَثِير بياء، ووقف نَافِعٌ وأَبُو عَمْرو بغير ياء، ووقف الباقون ووصلوا بياء[1].

قال أبو سُلَيمان الدِّمشْقِيّ: المعنى: واستمع حديث يوم ينادي المنادي.

[٧٤٢/أ] قال المفَسِّرُون: والمنادِي إسرافيل، يقف على صخرةِ بيت المقدس فينادي: يا أيّها النَّاس هلمُّوا إلى الحساب، إنَّ الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء؛ وهذه هي النفخة الأخيرة.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠٧)، والحجة (٦/ ٢١٤)، والمبسوط (ص:٤١٤)، والتيسير (ص:٢٠٢).

والمكانُ القريب: صخرةُ بيت المقدس.

قال كعب ومُقَاتِل: هي أقربُ الأرضِ إلى السَّماء بثمانية عشر ميلاً[١].

وَقَالَ ابنُ السَّائب: باثني عشر ميلاً.

قال الزَّجَّاج: ويقال: إن تلك الصخرة في وسط الأرض[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ﴾ وهي هذه النَّفخة الثَّانية بالحقِّ، أي: بالبعث الذي لا شكَّ فيه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ ﴾ أي نميت في الدُّنيا ونحيي للبعث ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾ بعد البَعث، وهو قوله ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِير، ونَافِعٌ، وابن عَامِر: «تشَّقق» بتشديد الشِّين، وقَرَأَ الباقون بتخفيفها[٣].

﴿سِرَاعًا ﴾ أي: فيخرجون منها سراعًا، ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ أي: هَيِّنٌ.

ثمَّ عزَّى نبيَّه فقال: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ في تكذيبك، يعني كفَّار مكَّة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام إنَّما بعثت مذكِّرًا[٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١١٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٠).

(٣) انظر: السبعة (ص:٦٠٧)، والحجة (٦/ ٢١٥).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٧٢)، والتفسير البسيط (٢٠/ ٤٢١).

وذلك قبل أن يُؤمَرَ بقتالهم. وأنكر الفَرَّاء هذا القول فقال: العرب لا تقول فعَّال من أفعلت لا يقولون خراج يريدون مخرج ولا دخال يريدون مدخل، إنَّما يقولون: فعَّال من فعلت، وإنَّما الجبَّار هنا في موضع السُّلطان من الجبرية، وقد قالت العربُ في حرف واحدٍ: دراك من أدركت، وهو شاذ، فإن جعل هذا على هذه الكلمة فهو وجه[1].

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: بجبَّار أي بمسَلَّط، والجبَّار الملك سمي بذلك لتجبره يقول: لستَ عليهم بملك مسَلَّط[2].

قال اليزيدي: لستَ بمُسَلَّط فتقهرهم على الإسلام.

وَقَالَ مُقَاتِل: لتقتلهم[3].

وذكر المفسِّرون أنَّ قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ منسوخٌ بآية السيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أي: فعِظْ به ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

وقَرَأَ يعقوبُ: «وعيدي» بياء في الحالين[4]، أي: ما أَوْعَدْتُ مَن عصاني مِنَ العذاب.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨١).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤١٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١١٧).

(٤) انظر: المبسوط (ص:٤١٤).

# سورة الذاريات

مَكِّيَّة كلُّها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣)
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ
لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ
(١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي
كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)
وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنْطِقُونَ﴾[الذاريات: ١-٢٣].

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ يعني الرِّياح، يقال: ذرَّت الرِّيح التراب تذروه ذروًا، إذا فرَّقته.

قال الزَّجَّاج: يقال ذرَّت فهي ذارية، وأذرت فهي مذرية بمعنى واحدٌ، ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ مجرورةٌ على القسم، المعنى أحْلِفُ بالذَّاريات وهذه الأشياء، والجواب: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾(١).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥١).

قال قومٌ: المعنى: وربِّ الذَّاريات، ورب الجاريات.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴾ يعني السَّحاب التي تحمل وقرَها من الماء.

﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴾ يعني السُّفن تجري مُيَسَّرَة في الماء جريًا سهلاً.

﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ يعني الملائكة تقَسِّمُ الأمورَ على ما أَمَرَ الله به.

قَالَ ابْنُ السَّائب: والمقسِّمات أربعة: جبريل، وهو صاحب الوحي والغِلظة، وميكائيل، وهو صاحب الرِّزق والرحمة، وإسرافيل، وهو صاحب الصُّوْر واللوح، وعزرائيل وهو قابض الأرواح، وإنَّما أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

ثمَّ ذكر المقْسَمَ عليه فقال: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾ أي: من الثَّواب والعقاب يوم القيامة ﴿ لَصَادِقٌ ﴾ أي لحقٌّ.

[٧٤٢/ ب] ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: الحساب.

والثَّاني: الجزاء.

﴿ لَوَٰقِعٌ ﴾ أي لكائنٌ.

ثمَّ ذَكَرَ قَسَمًا آخر فقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾.

وقَرَأَ عمر بن الخطاب، وأبو رزين: «الحِبِك» بكسر الحاء والباء جميعًا[1].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٥) عن بعضهم، وفي التحصيل (٦/ ٢٢٧) عن الحسن، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٧٢) عن الحسن، وأبي مالك الغفاري.

وقَـرَأَ عثمان بـن عفـان، والشـعبي، وأبـو العاليـة، وأبـو حيـوة: «الحِبْـك» بكسر الحاء وإسكان الباء(١).

وقَـرَأَ أبيُّ بـن كعـب، وابـنُ عبَّـاس، وأبـو رجـاء، وابـن أَبِي عَبْلَـة: «الحُبْـك» برفـع الحـاء وإسـكان البـاء(٢).

وقَرَأَ ابن مسعود، وعكرمة: «الحَبَك» بفتح الحاء والباء جميعًا(٣).

وقَـرَأَ أبـو الـدَّرداء، وأبـو الجـوزاء، وأبـو المتـوكِّل، وأبـو عمـران الجـوني، وعَاصِـم الجَحـدَرِيّ: «الحَبِـك» بفتـح الحـاء وكـسر البـاء(٤).

**ثمَّ في معنى «الحبك» أربعة أقوال:**

**أحدهـا:** ذات الخَلْـقِ الحَسَـن، رواه ابـن أبي طلحـة عَـن ابـن عبَّـاس، وبـه قَـالَ قَتَـادَة.

**والثَّاني:** البُنيَان المتقن، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّالِث:** ذات الزِّينة، قَالَهُ سعيدُ بن جبير.

وَقَالَ الحسن: حبكها نجومها.

---

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٤٥) عـن آخريـن، وفي التحصيـل (٦/ ٢٢٧)، والمحـرر الوجيز (٥/ ١٧٢) عن الحسـن.

(٢) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٤٦)، وفي التحصيل (٦/ ٢٢٧) عن الحسـن، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٧٢) عـن الحسـن بن أبي الحسـن، وأبي مالك الغفاري.

(٣) في التحصيل (٦/ ٢٢٧) عن الحسن، وفي المحرر الوجيز (٥/ ١٧٢) عن ابن عبَّاس.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٥) عن الحسن.



والرَّابعُ: ذات الطَّرائِق، قَالَهُ الضَّحَّاك واللغويون.

وَقَالَ الفَرَّاء: «الحبك» تكسُّرُ كلِّ شيءٍ كالرَّمل إذا مرَّت به الريح السَّاكنة، والماء القائم إذا مرَّت به الريح، والشعرةُ الجعدة تكسُّرُها حُبُك، وواحد الحُبُك حِباك وحَبِيكة[1].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أهلُ اللُّغة يقولون: الحُبُك الطرائق الحسنة، والمحبوك في اللُّغة ما أجيد عمله، وكلُّ ما تراه من الطَّرائق في الماء وفي الرَّمل إذا أصابته الرِّيح فهو حبك[2].

وروي عَنْ عبد الله بن عمرو أنَّه قال: هذه هي السَّماء السَّابِعَة[3].

ثم ذكر جواب القسم الثَّاني: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يعني أهل مكَّة ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في أمر محمَّد ﷺ، بعضكم يقول: شاعر، وبعضكم يقول: مجنون، وفي القرآن بعضكم يقول: سحرٌ، وبعضُكم يقول: كهانة ورجز، إلى غير ذلك.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أي يُصْرَف عَن الإيمان به مَن صُرف فحرمه، والهاء في «عنه» عائدةٌ إلى القرآن، وقيل: يُصْرَف عَن هذا القَول، أي: من أجله وسببه عَن الإيمان مَن صُرف.

وقَرَأَ قَتَادَة: «من أَفَك» بفتح الألف والفاء[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٨٩) من رواية عمرو البكالي، عن عبد الله بن عمرو به.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٦)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٧٣)، والكامل (ص:٤٠٢) عن قَتَادَة، وفي البحر المحيط (٩/ ٥٥٠) عن ابن جبير، وقَتَادَة.

وقَرَأ عمرو بن دينار: «من أَفِك» بفتح الألف وكسر الفاء[١].

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾.

قال الفَرَّاءُ: يعني: لُعَن الكذَّابون الذين قالوا: إنَّ النبيَّ ﷺ ساحرٌ وكذَّاب وشاعر، خرصوا ما لا عِلْمَ لهم به[٢].

وفي رواية العَوفي عَن ابن عبَّاس: أَنَّهُم الكهنة[٣].

وَقَالَ ابنُ الأَنْبَارِي: والقتل إذ أُخبر عَن الله به فهو بمعنى اللَّعنة، لأنَّ مَن لَعَنَه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ أي في عمًى وجهالةٍ بأمر الآخرة ﴿سَاهُونَ﴾ أي: غافلون، والسَّهو الغفلة عَنِ الشيء وذهاب القَلب عنه.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي يقولون: يا محمَّد متى يوم الجزاء؟ تكذيبًا منهم واستهزاءً.

ثمَّ أخبر عَن ذلك اليوم فقال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: اليوم منصوبٌ على معنى يقع الجزاء يومَ هم على النَّار[٤].

﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: يُحْرَقُون ويُعَذَّبُون، ومن ذلك يقال للحجارة السُّود التي كأنَّها قد أحرقت بالنَّار: الفتين.

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٩٢) من رواية العوفي عن ابن عبَّاس به.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٢).

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ ذُوقُواْ ﴾ المعنى يُقال لهم: ذُوقوا ﴿فِتْنَتَكُمْ ﴾ وفيها قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: تكذيبكم، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: حريقكم، قَالَهُ مُجَاهِد.

قال أَبُو عُبَيْدَة: هاهنا تمَّ الكلام ثمَّ استأنف، فقال: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[1].

قال المفسِّرون: يعني الذي كنتم تستعجلونه في الدُّنيا استهزاءً.

ثمَّ ذكرَ ما وعد الله لأهل الجنَّة فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ وقد سبق شرح هذا[2]. [٧٤٣/أ]

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ ءَاخِذِينَ ﴾.

قال الزَّجَّاج: هو منصوبٌ على الحال، فالمعنى: في جنَّات وعيون في حال أخذ ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[3].

قال المفسِّرون أي: ما أعطاهم الله من الكرامة ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ في أعمالهم، وفي الآية وجهٌ آخر: آخذين ما آتاهم ربُّهم، أي: عاملين بما أمرهم به من الفرائض، إنَّهم كانوا قبل أن تُفْرَض الفرائض عليهم محسنين، أي مطيعين، وهذا معنى قول ابن عبَّاس في رواية مسلم البَطِين.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٦).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥)، وتفسير سورة الحجر الآية رقم (٤٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٣).

ثـمَّ ذَكَـرَ إحسـانَهم فقـال: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ والهجـوع النَّـوم بالليـل دون النهـار.

**وفي «ما» قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** النَّفي.

**ثم في المعنى قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** كانوا يسهرون قليلاً من اللَّيل.

قال أنسُ بن مالك وأبو العَالية: هو ما بين المغرب والعشاء[١].

**والثَّاني:** كانوا ما ينامون قليلاً من الليل.

واختـار قـومٌ الوقـف عـلى قولـه: ﴿قَلِيلًا﴾ عـلى معنـى كانـوا مـن النَّـاس قليـلاً، ثـمَّ ابتـدأ فقـال: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ عـلى معنـى نفـي النَّـوم عنهـم البتـة، وهـذا مذهـب الضَّحَّـاك ومُقَاتِـل[٢].

**والقـول الثَّـاني:** أن «مـا» بمعنـى الـذي، فالمعنـى كانـوا قليـلاً مـن الليـل الـذي يهجعونـه، وهـذا مذهـبُ الحسـن، والأحنـف بـن قيـس، والزهـري.

وعلى هذا يحتمل أن تَكُون «ما» زائدة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ وقد شرحناه في آل عمران[٣].

---

(١) رواه الطـبري في تفسـيره (١٨/ ٦٠٩) مـن روايـة قَتَـادَة، عـن أنـس بـه، ورواه الطـبري (٢١/ ٥٠٣) مـن روايـة حفـص بـن عاصـم، عـن أبي العاليـة بـه.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٢٩).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٧).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾ أي نصيبٌ، وَفِيْهِ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أَنَّه ما يَصِلُون به رحمًا، أو يُقْرُون به ضيفًا، أو يحملون به كَلًّا، أو يعينون به محرومًا، وليس بالزكاة، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: أَنَّه الزكاة، قَالَهُ قَتَادَة، وابنُ سيرين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ وهو الطَّالب.

وفي المحروم ثمانية أقوال:

أحدها: أَنَّه الذي ليسَ له سهمٌ في فيء المسلمين، وهو الْمُحَارَفُ، قَالَهُ ابن عبَّاس.

وَقَالَ إبراهيم: هو الذي لا سهمَ له في الغنيمة(١).

والثَّاني: أَنَّه الذي لا ينمى له شيء، قَالَهُ مُجَاهِد.

وكذلك قَالَ عَطَاء: هو المحروم في الرِّزق والتِّجارة(٢).

والثَّالِث: أَنَّه المسلم الفَقِير، قَالَهُ محمد بن علي.

والرَّابعُ: أَنَّه المتعفِّف الذي لا يسأل شيئًا، قَالَهُ قَتَادَة، والزهري.

والخَامِسُ: أَنَّه الذي يجيء بعد الغَنِيمَة، وليس له فيها سهمٌ، قَالَهُ الحسنُ بن محمد بن الحنفية.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٨٣)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٧٣) من رواية منصور، عن إبراهيم به.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٨٥) من رواية مجاهد، عن عطاء به.

والسَّادِسُ: أنَّه المصَابُ ثمرته وزرعه أو نسل ماشيته، قَالَهُ ابن زيد.

والسَّابِعُ: أنَّه المملوك، حَكَاه الماوَرْدي[١].

والثَّامِنُ: أنَّه الكلب، روي عَن عمر بن عبد العزيز.

وكان الشَّعبي يقول: أعياني أن أعْلَم ما المحروم[٢].

وأظهر الأقْوَال قولُ قَتَادَة والزُّهري، لأنَّه قرنه بالسَّائل، والمتعفِّف لا يسأل - ولا يكاد النَّاس يعطون مَن لا يسأل - ثمَّ يتحفَّظ بالتعفُّف من ظهور أثر الفاقة عليه، فيكُون محرومًا من قِبَلِ نفسِه حين لم يسأل، ومن قِبَلِ النَّاس حين لا يعطونه، وإنَّما يفطن له متيقظ.

وقد ذكر المفسِّرون أنَّ هذه الآية منسوخةٌ بآية الزكاة، ولا يصحُّ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ كالجبال والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾ بالله ﷻ الذين يعرفونه بصنعه.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ آياتٌ إذ كنتم نطفًا، ثمَّ عَلَقًا، ثمَّ مضغًا، إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف، ثمَّ اختلاف الصُّوَر والألوان والطبائع، [٧٤٣/ب] وتقويم الأدوات والسَّمع والبصَر والعَقل، وتسهيل سبيل الحدث، إلى غير ذلك من العجائب المودَعَة في ابن آدم.

وتمَّ الكلام عند قوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾، ثمَّ قال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٦٦).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥١٨) من رواية ابن عون، عن الشعبي به.

قال مُقَاتِل: أفلا تبصرون كيف خَلَقَكم فتعرفوا قدرته على البعث[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾.

وقَرَأَ أُبيٌّ بن كعب، وحميد، وأبو حصين الأسدي: «أَرْزاقُكم» براء ساكنة وبألف بين الزاي والقاف[٢].

وقَرَأَ ابن مسعود، والضَّحَّاك، وأبو نهيك: «رازِقُكم» بفتح الراء وكسر الزاي وبألف بينهما[٣].

وعَن ابن محيصن كهاتين القراءتين[٤].

**وَفِيْهِ قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه المطر، رواه أَبُو صَالِحٍ عَن ابن عبَّاس، وليث عَن مُجَاهِد، وهو قول الجمهور.

**والثَّاني:** الجنَّة، رواه ابنُ أبي نجيح عَن مُجَاهِد.

وفي قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ **قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه الخيرُ والشَّرُّ كلاهما يأتي من السَّماء، قَالَهُ أَبُو صَالِح عَن ابن عبَّاس، وابن أبي نجيح عَن مُجَاهِد.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٢٩).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٦)، والبحر المحيط (٩/ ٥٥٣) عن ابن محيصن.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٦)، والتحصيل (٦/ ٢٢٧)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٧٦) عن ابن محيصن، وفي البحر المحيط (٩/ ٥٦٢) عن ابن محيصن، وحميد.

(٤) انظر: التعليقين السابقين.

والثَّاني: الجنَّة، رواه ليث عَن مُجَاهِد.

قال أبُو عُبَيْدَة: في هذه الآية مُضْمَرٌ مجازُه: عند مَن في السَّماء رزقكم، وعنده ما توعدون، والعرب تضمر.

قال نابغة ذبيان[١]: [من الوافر]

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أُقَيْشٍ يُقَعْقِعُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

أراد: كأنَّك جمل من جمال بني أقيش[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾.

قال الزَّجَّاج: يعني: ما ذَكَرَه من أمر الآيات والرزق وما توعدون، وأمر النبي ﷺ ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٣].

قَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وأبو بكر عَن عَاصِم: «مِثْلُ» برفع اللام.

وقَرَأَ الباقون بنصب اللام[٤].

قال الزَّجَّاجُ: فمَن رفع «مِثْل» فهي من صفة الحقِّ، والمعنى: إنَّه لحقٌّ مِثْلُ نُطقِكُم، ومَن نصب فعلى ضربين:

أَحَدُهُمَا: أن يَكُون في موضع رفعٍ إلَّا أنَّه لما أضيف إلى «أن» فتح.

---

(١) البيت للنابغة في ديوانه (ص: ١٢٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٣٣١)، وتهذيب اللغة (١/ ٥٢)، والصحاح (٥/ ٢١٤٦)، ولسان العرب (٦/ ٣٧٣)، والكامل في اللغة (١/ ٣٠٢)

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٤).

(٤) انظر: السبعة (ص:٦٠٩)، والحجة (٦/ ٢١٦)، والتيسير (ص:٢٠٣)، والتحصيل (٦/ ٢٢٨).



والثَّاني: أن يَكُون منصوبًا على التأكيد، على معنى: إنه لحق حقًّا مثل نطقكم، وهذا الكلام كما تقول: إنه لحق كما أنك تتكلم[١].

قَولُهُ تَعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[الذاريات: ٢٤-٣٧].

قَولُهُ تَعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ «هل» بمعنى: «قد» في قولِ ابنِ عبَّاس ومُقَاتِل[٢]، فيكُون المعنى: قد أتاكَ فاسْتَمِعْ نَقْصُصْه عليك، وضيفه: هم الذين جاؤوا بالبُشرى، وقد ذكرنا عَدَدَهم في هود[٣]، وذكرنا هناك معنى الضيف.

وفي معنى: «المكرمين» أربعة أقوال:

أَحَدُهُما: لأنَّه أكرمهم بالعِجْل، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ مُجَاهد.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٢٩).

(٣) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٠).

**والثَّاني**: بأَنْ خَدَمَهم هو وامرأته بأنفسهما، قَالَهُ السُّدِّيّ.

**والثَّالِث**: أَنَّهُم مكرمون عند الله، قَالَهُ عبد العزيز بن يحيى.

**والرَّابعُ**: لأنَّهُم أضياف، والأضيافُ مكرَمون، قَالَهُ أبو بكر الورَّاق.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾ قد ذكرناه في هود[1].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: ارتفعَ على معنى: أنتم قومٌ منكرون[2].

**وللمُفَسِّرين في سبب إنكارهم أربعة أقوال:**

**أحدها**: لأنَّه لم يعرفهم، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: لأنَّهُم سلَّموا عليه، فأنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض، قَالَهُ أبو العالية. [٧٤٤/أ]

**والثَّالِث**: لأنَّهُم دخلوا عليه من غَيرِ استئذان.

**والرَّابعُ**: لأنَّه رأى فيهم صورةَ البَشَرِ وصورةَ الملائكة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: عَدَلَ إليهم في خفيةٍ، ولا يَكُون الرواغ إلا أن تخفي ذهابَكَ ومجيئك[3].

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٤٢١).



قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وكان مَشْوِيًّا ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: والمعنى: فقرَّبه إليهم ليأكلوا منه فلم يأكلوا فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ على النَّكير، أي: أَمْرُكُم في تَرْكِ الأكل ممَّا أنكره[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قد شرحناه في هود[٢]، وذكرنا معنى «غلام عليم» في الحجر[٣].

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ وهي: سارة.

قال الفَرَّاء[٤] وابنُ قُتَيْبَة[٥]: لم تقبل من موضعٍ إلى موضع، وإنَّما هو كقولك: أقبل يَشْتمني، وأقبل يَصِيح ويتكلَّم، أي: أَخَذَ في ذلك، والصَّرَّة: الصيحة.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: الصَّرَّة: شدَّة الصَّوت[٦].

**وفيما قالت في صيحتها قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّها تأوَّهت، قَالَهُ قَتَادَة.

**والثَّاني:** أنَّها قالت: يا ويلتا، ذكره الفَرَّاء[٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٥).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٠).

(٣) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٥٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨٧).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢١).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٧).

(٧) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨٧).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: لَطَمَتْ وجهها، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: ضَرَبَتْ جَبِينها تعجبًا، قَالَهُ مُجَاهِد.

ومعنى الصَّكّ: ضرب الشيء بالشيء العريض.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ﴾.

قال الفَرَّاء: هذا مرفوعٌ بإضمار «أَتَلِدُ عجوزٌ؟»[(١)].

وَقَالَ الزَّجَّاج: المعنى: أنا عجوزٌ عقيمٌ، فكيف ألد؟[(٢)].

وقد ذكرنا معنى العقيم في هود[(٣)].

﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أَنَّك ستلدين غُلامًا؛ والمعنى: إنَّما نخبركِ عَن الله ﷻ وهو حكيم عليم يقدر أن يجعلَ العقيم وَلُودًا، فعلم حينئذ إبراهيم أنَّهُم ملائكة.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ مفسَّرٌ في الحجر[(٤)].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: هو الآجُرّ.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٥).

(٣) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٢).

(٤) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٥٧).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ قد شرحناه في هود[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: للمشركين[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا ﴾، أي: من قُرى لوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك قَولُهُ تَعَالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ الآية [هود: ٨١].

﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ وهو لوط وابنتاه، وصفهم الله ﷻ بالإيمان والإسلام، لأنه ما من مؤمنٍ إلَّا وهو مسلم.

﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً ﴾ أي: علامةً للخائفين من عذاب الله تدلهم على أنَّ الله أهلكهم.

وقد شرحنا هذا في العنكبوت وبيَّنَّا المكني عنها[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٨٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٣٢) من رواية العوفي عن ابن عبَّاس بلفظ: «للمسرفين، يعني للمتعدين حدود الله، الكافرين به من قوم لوط».

(٣) انظر: تفسير سورة العنكبوت الآية رقم (٣٥).

﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[الذاريات: ٣٨-٥١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ ﴾ أي: وفيه أيضًا آية ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ أي: بحُجَّة ظاهرة ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ أي: أعرض ﴿بِرُكۡنِهِۦ﴾.

قال مُجَاهِد: بأصحابه[١].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: «بركنه» و«بجانبه» سواءٌ إنَّما هي ناحيته، وَقَالَ ساحر: أي وَقَالَ لموسى هذا: ﴿سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾[٢].

وكان أَبُو عُبَيْدَة يقول: «أو» بمعنى الواو[٣].

فأمَّا «اليَمّ» فقد ذكرناه في الأعراف[٤]، و«مُلِيم» في الصافات[٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَفِي عَادٍ ﴾ أي: في إهلاكِهم آيةٌ أيضًا ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ وهي التي لا خيرَ فيها ولا بَرَكَة، لا تلقح شجرًا ولا تحمل مطرًا، وإنَّما هي للإهلاك.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٣٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وهو في تفسير مجاهد (ص: ٦٢٠)، بلفظ: «بِعَضُدِهِ بِأَصْحَابِهِ».

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٧).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٧).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٣٦).

(٥) انظر: تفسير سورة الصافات الآية رقم (١٤٢).

وَقَالَ سعيدُ بن المسيِّب: هي الجنوب(١).

﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ ﴾ أي: مِـنْ أنفسِـهم وأموالهـم ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ أي: كالـشَّيءِ الهالِـكِ البـالي.

قال الفرَّاء: الرَّمِيمُ نباتُ الأرضِ إذا يَبِسَ ودِيسَ(٢).

وَقَالَ الزَّجَّاج: الرَّمِيمُ الورقُ الجافُّ المتحطِّم مثل الهَشِيم(٣).

﴿وَفِي ثَمُودَ ﴾ آية أيضًا ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ فيه قَوْلان: [٧٤٤/ ب]

أَحَدُهُمَا: أنَّه قيل لهم تمتَّعوا في الدنيا إلى وقت انْقِضَاء آجالِكُم تهدُّدًا لهم.

والثَّاني: أنَّ صالحًا قَالَ لهم بعد عَقْرِ النَّاقة: تمتَّعوا ثلاثةَ أيَّام؛ فكان الحين وقت فناء آجالهم، ﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ قال مُقَاتِل: عَصَوا أمرَه(٤).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ يعني العذاب وهو الموت من صَيحَة جبريل.

وقَرَأَ الكِسَائِيُّ وحده: «الصَّعْقَة» بسكون العين من غير ألف(٥)، وهي الصَّوت الذي يَكُون عَن الصاعقة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٣٨) من رواية الحارث بن عبد الرحمن، عن سعيد بن المسيب به.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٣٢).

(٥) انظر: السبعة (ص:٦٠٩)، والحجة (٦/ ٢٢٢)، والمبسوط (ص:٤١٥)، والتحصيل (٦/ ٢٢٨).

**قَولُهُ تَعَالى:** ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ **فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** يَرَوْنَ ذلك عِيانًا.

**والثَّاني:** وهم ينتظرون العَذَاب، فأتاهم صَيحَةُ يوم السبت.

**قَولُهُ تَعَالى:** ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ﴾ **فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** ما استطاعوا نهوضًا من تلك الصَّرعَة.

**والثَّاني:** ما أطاقوا ثُبُوتًا لعذاب الله.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ممتَنِعين مِنَ العذاب.

**قَولُهُ تَعَالى:** ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾.

قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو إلّا عبد الوارث، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: بخفض الميم.

وروى عبد الوارث رفعَ الميم، والباقون بنصبها[١].

قال الزَّجَّاج: من خَفَضَ القوم، فالمعنى: وفي قوم نوحٍ آية، ومَن نَصَبَ فهو عطفٌ على معنى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ فإنَّ معناه: أهلكناهم، فيكُون المعنى: وأهلكنا قومَ نوحٍ، والأحسن - والله أعلم - أن يكُونَ محمولاً على قوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ لأنَّ المعنى: أغرقناه، وأغرقنا قومَ نوحٍ[٢].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦٠٩)، والحجة (٦/ ٢٢٣)، والمبسوط (ص:٤١٥)، والتيسير (ص:٢٠٣)، والتحصيل (٦/ ٢٢٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٧).

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا ﴾ المعنى: وبنينا السَّماء ﴿ بِأَيۡيْدٍ ﴾ أي: بقوَّة، وكذلك قَالَ ابنُ عبَّاس، ومُجاهِد، وقَتَادَة وسائر المفَسِّرين واللغويين: «بأيدٍ» أي: بقوَّة.

وفي قوله: ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: لمُوسِعُون الرِّزقَ بالمطر، قَالَهُ الحسن.

والثَّاني: لموسِعُون السَّماء، قَالَهُ ابن زيد.

والثَّالِث: لقادِرُون، قَالَهُ ابن قُتَيْبَة[١].

والرَّابعُ: لموسِعُون ما بين السَّماء والأرض، قَالَهُ الزَّجَّاج[٢].

والخَامِسُ: لذو سَعَةٍ لا يضيق عمَّا يريد، حكاه الماوَرْدِيُّ[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هذا عطفٌ على ما قبله منصوبٌ بفعلٍ مضمَرٍ محذوف يدلُّ عليه قوله: ﴿ فَرَشۡنَٰهَا ﴾ فالمعنى: فرشنا الأرض فرشناها، ﴿ فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴾ أي: فنِعْمَ الماهِدُون نحن[٤].

قال مُقَاتِل: فرشناها أي بسطناها مسيرة خمسمِائة عامٍ[٥]، وهذا بعيدٌ.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٧).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٧٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٣٣)، ولفظه هناك: «فرشناها مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من تحت الكعبة».

وقد قَالَ قَتَادَة: الأرضُ عشرون ألف فرسخ، والله تعالى أعلم.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صِنفَين ونوعَين كالذَّكر والأنثى، والبرِّ والبحر، والليل والنَّهار، والحلو والمرِّ، والنُّور والظلمة، وأشباه ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا أنَّ خالق الأزواج واحدٌ.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالتَّوبة من ذنوبكم؛ والمعنى: اهربوا ممَّا يوجب العقابَ من الكفر والعصيان إلى ما يوجبُ الثَّواب من الطَّاعة والإيمان.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾[الذاريات: ٥٢-٦٠].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما كذَّبك قومُك وقالوا ساحرٌ أو مجنونٌ، كانوا من قبلِك يَقولُون للأنبياء.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ أي: أَوْصَى أوَّلُهم آخِرَهُم بالتكذيب؟ وهذا استفهامُ توبيخٍ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: أتواطؤوا عليه فأخذَه بعضُهم من بعضٍ؟[١].

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٧).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: يحملهم الطُّغيان فيما أعطوا من الدُّنيا على التَّكذيب، والمشَارُ إليهم أهلُ مكَّة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فقد بلَّغتَهم ﴿فَمَآ أَنتَ﴾ عليهم ﴿بِمَلُومٍ﴾ لأنَّك قد أدَّيت الرِّسالة.

[٧٤٥/أ] ومذهبُ أكثر المفسِّرين أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ، ولهم في **ناسخها قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه قوله ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

**والثَّاني:** آية السَّيف.

وفي قوله ﴿وَذَكِّرْ﴾ **قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** عِظْ، قَالَهُ مُقَاتِل[1].

**والثَّاني:** ذكِّرهم بأيَّام الله وعذابِه ورحمته، قَالَهُ الزَّجَّاج[2].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾:

أثبت الياءَ في «يعْبُدون» و«يُطْعِمون» و«لا يستعجِلون» في الحالين يعقوبُ[3].

**واختلفوا في هذه الآية على أربعة أقوال:**

**أحدها:** إلَّا لآمرهم أن يعبدوني، قَالَهُ علي بن أبي طالب، واختارَه الزَّجَّاج[4].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٣٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٨).

(٣) انظر: التحصيل (٦/ ٢٢٨)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص:٥١٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٨).

والثَّاني: إلَّا ليقرُّوا بالعبودية طَوعًا وكرهًا، قَالَهُ ابنُ عبَّاس؛ وبيان هذا قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

والثَّالِث: أنَّه خاصٌ في حقِّ المؤمنين.

قال سعيدُ بنُ المسيِّب: ما خلقت مَن يعبدني إلَّا ليعبدني(١).

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، والفَرَّاء(٢)، وابنُ قُتَيْبَة(٣): هذا خاصٌّ لأهلِ طاعته، وهذا اختيارُ القاضي أبي يَعْلَى فإنَّه قال: معنى هذا الخصوص لا العموم، لأنَّ البُلْهَ والأطفال والمجانين لا يدخلون تحتَ الخطاب وإن كانوا من الإنسِ، فكذلك الكفَّار يخرجون من هذا بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فمن خلق للشقاء ولجهنم، لم يخلق للعبادة.

والرَّابعُ: إلَّا ليَخْضَعوا إليَّ ويتذلَّلُوا.

ومعنى العبادة في اللُّغة: الذُّلُّ والانقيادُ، وكلُّ الخلق خاضعٌ ذليلٌ لقضاءِ الله ﷻ لا يملك خروجًا عمَّا قضاه الله ﷻ، هذا مذهبُ جماعةٍ من أهل المعاني.

---

(١) ذكره البيهقي في كتابه الاعتقاد (ص:١٥٤) بدون إسناد؛ فقال: «ورُوِّينا عن سعيد بن المسيب أنه قَالَ في قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني»، وأشار إليه في كتابه معرفة السنن والآثار (١٣/ ١٠٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٨٩).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٢).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: مـا أُرِيـدُ أن يَرْزقـوا أنفسَـهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي: أن يطعمـوا أحـدًا مـن خَلْقِـي، لأنِّي أنـا الـرَّزَّاق، وإنَّـما أَسْـنَدَ الإطعـام إلى نفسـه، لأنَّ الخلـقَ عِيـالُ الله، ومَـن أَطْعَـمَ عيـالَ أحـدٍ فقـد أطعمـه.

وقـد جـاء في الحديث الصحيـح عَن رسـول الله ﷺ أنَّه قال: «**يَقُـولُ اللهُ عَلَىٰ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ: يَا ابْنَ آدَمَ: اسْـتَطْعَمْتُكَ فَلَـمْ تُطْعِمْنِـي**»[1] أي: لم تُطْعِمْ عَبدي.

فأمَّا ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾:

فقَرَأَ الضَّحَّاكُ، وابن محيصن: «الرازق» بوزن «العالم»[2].

قـال الخطَّـابي: هـو المتكفِّـل بالـرِّزق القائـم عـلى كلِّ نفـسٍ بـما يقيمهـا مـن قوتهـا[3].

و﴿ٱلْمَتِينُ﴾ الشَّديد القوَّة الذي لا تنقطع قوَّتُه ولا يلحقه في أفعاله مشَقَّة.

وقـد روى قُتَيْبَـة عَـن الكِسَـائِيِّ أنَّـه قـرأ: «المتـينِ» بكَسْرِ النُّـون، وكـذا قَـرَأَ أبـو رزيـن، وقَتَـادَة، وأبـو العاليـة، والأعمـش[4].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٦) عن النبي ﷺ، وابن محيصن.

(٣) انظر: شأن الدعاء (ص:٥٤).

(٤) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٤٦) عـن يحيـى بـن وثـاب، وفي المحتسـب (٢/ ٢٨٩)، والتحصيـل (٦/ ٢٢٨)، والمحـرر الوجيـز (٥/ ١٨٣)، والبحـر المحيـط (٩/ ٥٦٢) عـن يحيـى بـن وثـاب، والأعمـش، وفي الكامـل (ص:٦٤١) عـن الأعمـش، والزعفـراني، وابـن وردة، وقتيبـة طريـق المطـرز.

قال الزَّجَّاج: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ أي: ذو الاقْتِدَار الشَّدِيد، ومَن رَفَع «المتين» فهو صفةُ الله ﷻ، ومَن خَفَضَه جعلَه صفةً للقوَّة، لأنَّ تأنيثَ القوَّة كتأنيث الموعظة، فهو كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[1] [البقرة: ٢٧٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني مُشْرِكي مكَّة ﴿ذَنُوبًا﴾ أي: نَصِيبًا من العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ الذين أُهْلِكُوا، كقَوم نوحٍ وعادٍ وثمود.

قال الفَرَّاء: الذَّنُوب في كلام العرب: الدَّلْو العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى النَّصيب والحَظِّ.

قال الشاعر[2]: [من الرجز]

لَنَا ذَنُوبٌ وَلَكُمْ ذَنُوبُ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ

والذَّنوب، يُذَكَّر ويؤَنَّث[3].

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة، أصل الذَّنوب: الدَّلو العظيمة، وكانوا يستقون، فيَكُون لكلِّ واحدٍ ذَنوب، فجعل «الذنوب» مكان «الحَظِّ والنصيب»[4].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي: بالعذاب إن أخِّرُوا إلى يوم القيامة، وهو يومهم الذي يوعدون، ويقال: هو يومُ بدرٍ. [٧٤٥/ ب]

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٥٩).

(٢) بلا نسبة في العين (٨/ ١٩٠)، وجمهرة اللغة (ص:٣٠٦)، والمخصص (١٧/ ١٨)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٣١٦)، ولسان العرب (١/ ٣٩٢).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ٩٠).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٣).

## سورة الطور

وهي مكِّيَّة كلُّها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الطور: ١-١٦].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ هذا قسمٌ بالجبل الذي كلَّم الله ﷿ عليه موسى عليه السلام، وهو بأرض مَدْيَن واسمه زبير.

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ أي: مكتوب، **وفي أربعة أقوال:**

**أحدها:** أَنَّه اللَّوح المحفوظ، قَالَهُ أَبُو صَالِح عَنِ ابن عبَّاس.

**والثَّاني:** كتب أعمال بني آدم، قَالَهُ مُقَاتِل[١]، والزَّجَّاج[٢].

**والثَّالِث:** التوراة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٤٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦١).

والرَّابِعُ: «القرآن» حكاهما الماوَرْدِي(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾.

قال أَبُو عُبَيْدَة: الرَّق: الوَرَق(٢).

فأمَّا «المنشور» فهو المبسوط.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه بيت في السَّماء.

وفي أي سماء هو؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه في السَّماء السَّابِعَةِ، رواه أنس عَنِ النبيِّ ﷺ(٣)، وحديث مالك بن صَعصَعة الذي أخرج في «الصحيحين»(٤) يدلُّ عليه.

والثَّاني: أنَّه في السَّماء السَّادِسَةِ، قَالَهُ علي رضي الله عنه.

والثَّالِث: أنَّه في السَّماء الدُّنيا، رواه أبو هريرة عَن رسول الله ﷺ(٥).

---

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٧٧).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٢٥٥٨)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٥٦٥) وغيرهما، من رواية ثابت البناني، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ**».

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣٢٠٧) ومواضع أخرى، ومسلم في صحيحه (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة، وهو حديث الإسراء الطويل.

(٥) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/ ٦٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٤٦) من طريق روح بن جناح، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن=

وَقَالَ ابنُ عبَّاس: هو حيال الكعبة يحُجُّه كُلَّ يوم سبعون ألف مَلَك ثمَّ لا يعودون فيه حتَّى تقوم السَّاعة، يسمَّى الضُّراح [١].

وَقَالَ الرَّبيع بنُ أنسٍ: كان البيت المعمور مكانَ الكعبة في زمان آدم، فلمَّا كان زمن نوحٍ أمر النَّاس بحجه، فعَصَوه، فلمَّا طغى الماء رفع فجعل بحذاء البيت في السَّماء الدنيا[٢].

**والثَّاني**: أنَّه البيت الحرام، قَالَهُ الحسن.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: ومعنى: «المعمور» الكثير الغاشية[٣].

**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾ فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّه السَّماء، قَالَهُ علي ﷺ، والجمهور.

**والثَّاني**: العرش، قَالَهُ الربيع.

---

=النبي ﷺ: «**في السماء الدنيا بيت، يقال له: البيت المعمور حيال الكعبة...**» الحديث.
قَالَ ابْنُ الجوزي: «هذا حديث لا يُتَّهم به إلا روح بن جناح، فإنه يُعرف به ولم يتابعه عليه أحد. قَالَ ابن حبان: يروي عن الثقة ما إذا سمعه من ليس بمتبحر في هذه الصناعة شهد بالوضع. وَقَالَ عبد الغنى الحافظ: هذا حديث منكر بهذا الإسناد ليس له أصل عن الزهري، ولا عن سعيد، ولا عن أبي هريرة، ولا يصح عن رسول الله ﷺ من هذه الطريق ولا من غيرها».

(١) رواه الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٨٤) من رواية كريب، عن ابن عبَّاس به، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٧) للطبراني وابن مردويه بسند ضعيف، وعزاه أيضًا (٧/ ٦٢٨) للبيهقي في الشعب.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٣٨٧).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٠).



قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أَنَّه بحر تحتَ العرش ماؤه غليظٌ يُمطر العباد منه بعد النَّفخة الأولى أربعين صباحًا فينبتون في قبوهم، قَالَهُ علي ﷺ.

والثَّاني: أَنَّه بحرُ الأرض، ذكره الماوَرْدِيُّ(١).

وفي ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: المملوء، قَالَهُ الحَسَنُ، وأَبُو صَالِح، وابن السَّائب، وجميع اللغويين.

والثَّاني: أَنَّه الموقد، قَالَهُ مُجَاهِد، وابن زيد.

وَقَالَ شمر بن عطيَّة: هو بمنزلة التنُّور المسجور(٢).

والثَّالِث: أَنَّه اليابس الذي قد ذَهَبَ ماؤه ونضب، قَالَهُ أبو العالية.

ورُوِيَ عَنِ الحسن قال: تسجر، يعني البحار، حتَّى يذهب ماؤها، فلا يبقى فيها قطرة(٣).

وقول هذين يرجع إلى معنى قول مُجَاهِد.

وقد نقلَ في الحديث أنَّ الله تعالى يجعل البحار كلّها نارًا، فتزاد في نار جهنم(٤).

(١) انظر: النكت والعيون (٥/ ٣٧٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٦٨) من طريق حفص بن حميد، عن شمر بن عطية به.

(٣) هو في تفسير مجاهد (ص:٦٢٣) من رواية المبارك بن فضالة، عن الحسن به.

(٤) لم نقف عليه مسندًا، وقد ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٨٥)، والتفسير البسيط (٢٠/ ٤٨٠) بصيغة التمريض التي تدل على ضعفه، وعدم ثبوته.

**والرَّابعُ**: أنَّ «المسجور» المختلط عذبه بملحه، قَالَهُ الربيع بن أنس.

فأقسمَ اللهُ تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته على أنَّ تعذيب المشركين حقٌّ، فقال: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ أي: لكائن في الآخرة.

ثمَّ بيَّن متى يقع، فقال: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ **وَفِيْهِ ثَلاثَةُ أَقْوَال**:

**أحدها**: تدور دَوْرًا، رواه عكرمة عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ مُجَاهِد، وهو اختيار الفَرَّاء[1] وابن قُتَيْبَة[2] والزَّجَّاج[3].

**والثَّاني**: تحرَّك تحرُّكًا، رواه ابن أبي طلحة عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ قَتَادَة.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: «تمور» أي: تكفأ[4].

وَقَالَ الأعشى[5]: [من البسيط]

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَوْرُ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

**والثَّالِث**: يموجُ بعضُها في بعض لأمر الله تعالى، قَالَهُ الضَّحَّاك.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٩١).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦١).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣١).

(٥) البيت للأعشى في ديوانه (٢٧٩)، والعين (٨/ ٢٣٥)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (٢/ ٢٣١)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (٢/ ٢٧٤)، ولسان العرب (٥/ ١٨٦).

وما بعد هذا قد سَبَقَ بيانه[١] إلى قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ [٧٤٦/أ] أي: يخوضون في حديث محمَّدٍ ﷺ بالتكذيب والاستهزاء، ويلهون بذكره، فالويل لهم.

و﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: يُدفَعون، يقال: دَعَعته أدعه، أي: دفعته، ومنه قوله: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾[٢] [الماعون: ٢].

قَالَ ابْنُ عبَّاس: يُدفع في أعناقهم حتَّى يردوا النار[٣].

وَقَالَ مُقَاتِل: تُغَلُّ أيديهم إلى أعناقهم وتُجمع نواصيهم إلى أقدامهم، ثمَّ يُدفعون إلى جهنَّم على وجوههم، حتَّى إذا دنوا منها قالت لهم خزنتها: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ في الدُّنيا ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ ﴾ العذاب الذي ترون؟ فإنَّكم زعمتم أنَّ الرُّسل سحرة ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ النَّار؟ فلمَّا أُلْقُوا فيها قَالَ لهم خزنتها: ﴿ ٱصْلَوْهَا ﴾[٤].

وَقَالَ غيره: لما نسبوا محمَّدًا ﷺ إلى أنَّه ساحرٌ يغطي على الأبصار بالسِّحر، وُبِّخوا عند رؤية النَّار بهذا التوبيخ، وقيل: ﴿ ٱصْلَوْهَا ﴾ أي: قاسوا شدَّتها ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ على العذاب ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ الصبر والجزع ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والتكذيب.

---

(١) انظر: تفسير سورة النمل الآية رقم (٨٨).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٣-٤٢٥).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٧٥) من رواية قابوس، عن أبيه، عن ابن عبَّاس به.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٤٤).

قَوْلُــهُ تَعَــالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[الطور: ١٧-٢٠].

ثمَّ وَصَفَ ما للمؤمنين بها بعد هذا.

وقوله: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ قرئت بألفٍ وبغير ألف، وقد شرحناها في يس[١].

﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ أي: صَرَفَ عنهم، و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ مذكور في البقرة[٢].

﴿كُلُوا۟﴾ أي: يقال لهم: كُلُوا ﴿وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ تأمنون حدوث المرض عنه.

قال الزَّجَّاج: المعنى: ليهنكم ما صرتم إليه[٣].

وقد شرحنا هذا في سورة النِّساء[٤]، ثمَّ ذكر حالهم عند أكلهم وشربهم فقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾.

وَقَالَ ابنُ جريرٍ[٥]: فيه محذوفٌ تقديره: على نمارق على سُرُرٍ، وهي جمع سرير.

﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ قد وضع بعضها إلى جنب بعضٍ.

---

(١) انظر: تفسير سورة يس الآية رقم (٥٥).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦٣).

(٤) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٨).

وباقي الآية مفسَّرٌ في سورة الدخان[١].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[الطور: ٢١-٢٨].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾.

قَـرَأَ ابـنُ كَثِـير، وعَاصِـم، وحَمْـزَة، والكِسَـائِيُّ: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ﴾ بالتَّـاء ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ واحـدة ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ واحـدة أيضًـا.

وقَرَأَ نَافِعٌ: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾ واحد، «بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» جمعًا.

وقَرَأَ ابنُ عَامِرٍ: «وأَتْبَعْنَاهم ذُرِّيَّاتهم»، «بهم ذرِّيَّاتِهِمْ» جمعًا في الموضعين[٢].

**واختلفوا في تفسيرها على ثلاثة أقوال:**

**أحدهـا:** أنَّ معناهـا: واتَّبَعتهـم ذرِّيَّتُهـم بإيـمان ألحقنـا بهـم ذرِّيَّاتهـم مـن المؤمنـين في الجنَّـة، وإن كانـوا لم يبلغـوا أعـمال آبائهـم، تكرمـة مـن الله تعـالى لآبائهـم المؤمنـين باجتـماع أولادهـم معهـم، روى هـذا المعنـى سـعيدُ بـن جبير عَـن ابـن عبَّـاس.

(١) انظر: تفسير سورة الدخان الآية رقم (٥٤).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦١٢)، والحجة (٦/ ٢٢٤).

**والثَّاني**: واتَّبَعَتْهُم ذرِّيَّتُهم بإيمان، أي: بلغت أن آمنت، ألحقنا بهم ذرِّيَّتهم الصِّغار الذين لم يبلغوا الإيمان.

وروى هذا المعنى العَوفي عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ الضَّحَّاك.

ومعنى هذا القول: أن أولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم، وأولادهم الصِّغار تبعوهم بإيمان الآباء، لأنَّ الولد يحكم له بالإسلام تبعًا لوالده.

**والثَّالِث**: «وأتبعناهم ذرياتهم» بإيمانِ الآباء فأدخلناهم الجنَّة، وهذا مرويٌّ عَن ابن عبَّاس أيضًا.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾:

قَرَأَ نَافِعٌ، وأَبُو عَمْرٍو، وابن عَامِر، وعَاصِم، وحَمْزَة، والكِسَائِيُّ: ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ بالهمزة وفتح اللام.

وقَرَأَ ابنُ كَثِير: «ما أَلِتْناهم» بكسر اللام[1].

وروَى ابنُ شنبوذ عَن قنبل عنه: «وما لِتناهم» بإسقاط الهمزة مع كسر اللام[2].

وقَرَأَ أبو العالية، وأبو نَهيك، ومعاذ القارئ بإسقاط الهمزة مع فتح اللام[3].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦١٢)، والحجة (٦/ ٢٢٦)، والمبسوط (ص:٤١٦)، والتحصيل (٦/ ٢٤٢)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٨٩).

(٢) انظر: الكامل (ص:٤٠٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٨٩)، والمحتسب (٢/ ٢٩٠).

وقَرَأ ابنُ السَّمَيفَع: «وما آلَتْناهم» بمدِّ الهمزة وفتحها[١].

[٧٤٦/ب] وقَرَأ الضَّحَّاكُ، وعَاصِم الجَحْدَرِيُّ: «وما وَلَتناهم» بواو مفتوحة من غير همزةٍ وبنصب اللام[٢].

وقَرَأ ابنُ مسعودٍ، وأبو المتوكِّل: «وما أَلَتُّهُمْ» مثل: جَعلتُهم[٣].

وقد ذكرنا هذه الكلمة في الحجرات[٤]، والمعنى: ما نَقَصْنا الآباء بما أعطَيْنا الذريَّة.

﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَهَنٌ بعمله لا يؤاخَذُ أحدٌ بذَنْب أحدٍ، وقيل: هذا الكلام يختصُّ بصفة أهل النَّار، وذلك الكلام قد تَمَّ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: هي الزيادة على الذي كان لهم[٥].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾.

قال أَبُو عُبَيْدَة: أي: يتعاطَون ويتداولون[٦].

---

(١) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:١٤٦)، والتحصيل (٦/ ٢٤٢).

(٢) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:١٤٦)، والبحر المحيط (٩/ ٥٧٢).

(٣) لم نقف عليها.

(٤) انظر: تفسير سورة الحجرات الآية رقم (١٤).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٠/ ٤٩٢).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٢).

وأنشد الأخطلُ[١]: [من البسيط]

نازَعْتُهُ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي

قال الزَّجَّاج: يتناول هذا الكأسَ من يد هذا، وهذا من يد هذا[٢].

فأما الكأس فقد شرحناها في الصَّافات[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿لَّا لَغۡوٌ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٌ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ، وأَبُو عَمْرو: «لا لَغْوَ فيها ولا تأثيمَ» نصباً.

وقَرَأَ الباقون: ﴿لَّا لَغۡوٌ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٌ﴾ رفعاً منوَّناً[٤].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي لا تَذهبُ بعقولهم فيَلْغُوا ويَرْفُثُوا فيأثموا كما يَكُون ذلك في خمر الدُّنيا[٥].

وَقَالَ غيرُه: التأثيم: تفعيلٌ من الإثم، يقال: آثَمَه: إذا جعله ذا إثم.

والمعنى أنَّ تلكَ الكأس لا تجعلهم آثمين.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ للخدمة ﴿غِلۡمَانٌ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ﴾ في الحُسن والبياض ﴿لُؤۡلُؤٌ مَّكۡنُونٌ﴾ أي: مصونٌ لمْ تَمَسَّه الأيدي.

---

(١) البيت للأخطل في مجاز القرآن (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الصافات الآية رقم (٤٥).

(٤) انظر: السبعة (ص:٦١٢)، والحجة (٦/ ٢٢٦)، والمبسوط (ص:١٥٠).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٥).

وسئل رسولُ الله ﷺ فقيل: يا نبيَّ الله، هذا الخادِمُ، فكيف المخدوم؟ فقال: «إِنَّ فَضْلَ الْمَخْدُومِ عَلَى الْخَادِمِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»[١].

وقَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: يتذاكرون ما كانوا فيه في الدُّنيا من الخوف والتعب، وهو قوله: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا ﴾ أي: في دار الدنيا ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ أي: خائفين من العذاب، ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بالمغفرة ﴿ وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ أي: عذاب النَّار.

وَقَالَ الحسَنُ: السَّموم من أسماء جهنَّم[٢].

وَقَالَ غيره: سموم: جهنَّم، وهو ما يوجد من نفحها وحرِّها.

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾ أي: نوحِّدُه ونخلص له ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ﴾.

وقَرَأَ نَافِعٌ، والكِسَائِيُّ: «أَنَّه» بفتح الهمزة[٣].

**وفي معنى «البرِّ» ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** الصَّادق فيما وَعَدَ، رواه أَبو صَالِح عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني:** اللطيف، رواه ابن أبي طَلحة عَن ابن عبَّاس.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٨٩) من رواية سعيد، عن قَتَادَة قال: ذكر لنا أن رجلًا قال: يا نبي الله هذا الخادم، فكيف المخدوم؟... الحديث، وهو ضعيف لإرساله.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٨٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٦١٣)، والحجة (٦/ ٢٢٧)، والمبسوط (ص:٤١٦)، والتيسير (ص:٢٠٣).

والثَّالِث: العطوف على عباده المحسن إليهم الذي عمَّ ببرِّه جميع خَلْقِه، قَالَهُ أبو سُلَيمان الخطَّابي(١).

قَولُهُ تَعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[الطور: ٢٩-٣٤].

قَولُهُ تَعالى: ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ أي: فعِظ بالقُرآن ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾ أي: بإنعامه عليك بالنبوَّة ﴿بِكَاهِنٍ ﴾ وهو الذي يوهم أنَّه يعلم الغيب ويخبر عمَّا في غدٍ من غير وحيٍ.

والمعنى: إنَّما تنطق بالوحي لا كما يقول فيك كفَّار مكَّة.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ ﴾ أي: هو شاعر.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: «أم» بمعنى «بل»(٢).

قال الأخطل(٣): [من الكامل]

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالَا

لم يستفهم، إنَّما أوجب أنَّه رأى.

---

(١) انظر: شأن الدعاء (ص:٨٩).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٣).

(٣) البيت للأخطل في ديوانه (ص: ٣٨٥)، وتفسير الطبري (٢/ ٤١٢)، والكتاب (٣/ ١٧٤)، ولسان العرب (١/ ٧٠٦، ٧٠٩)، وتاج العروس (١٦/ ٣١٠).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه الموتُ، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: حَوَادِثُ الدَّهر، قَالَهُ مُجَاهِد.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: حوادث الدَّهر وأوجاعه ومصائبه، و«المُنون» الدَّهر.

قال أبو ذُؤيب[1]: [من الكامل]

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

هكذا أنشدناه أصحابُ الأصمعيِّ عنه، وكان يذهب إلى أنَّ المنون الدَّهر، قَالَ وقوله: «والدَّهر ليس بمعتبٍ» يدلُّ على ذلك، كأنَّه قال: «أَمِنَ الدَّهر ورَيبه تتوجَّع؟». [٧٤٧/أ]

قال الكِسَائِيُّ: العرب تقول: لا أكلِّمُك آخر المنون، أي: آخر الدَّهر[2].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ﴾ أي: انتظروا بي ذلك ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾ أي: من المنتظرين عذابكم، فعذبوا يوم بدرٍ بالسَّيف.

وبعضُ المفسِّرين يقول: هذا منسوخٌ بآية السَّيف، ولا يصحُّ؛ إذ لا تضادَّ بين الآيتين.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب في ديوانه (ص:٨٧)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص:٤٢٥)، والأضداد (ص:١٥٧)، وغريب الحديث؛ للخطابي (١/ ٩٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٦٤)، والمحكم (١٠/ ٤٦٩)، ولسان العرب (١٣/ ٤١٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٥-٤٢٦).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ قَالَ المفَسِّرون: كانت عظماءُ قريش توصَف بالأحلام، وهي العقول، فأزرى الله بحلومهم، إذ لم تُثْمِرْ لهم معرفةَ الحقِّ من الباطل.

وقيل لعمرو بن العاص: ما بالُ قومكَ لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعُقول؟ فقال: تلك عقولٌ كادها بارئها[1]، أي: لم يصحبها التوفيقُ.

وفي قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ وقوله: ﴿أَمْ هُمْ﴾ **قولان**:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّهما بمعنى «بل» قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَة[2].

**والثَّاني**: بمعنى أَلِف الاستفهام، قَالَهُ الزَّجَّاج[3].

قال: والمعنى: أتأمرهم أحلامهم بترك القبول ممَّن يدعوهم إلى التوحيد ويأتيهم على ذلك بالدَّلائل، أم يكفرون طغيانًا وقد ظهر لهم الحق؟.

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة: المعنى: أم تدلهم عقولهم على هذا؟ لأنَّ الحلم يكُون بالعقل، فكني عنه به[4].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي: افْتَعَلَ القرآنَ من تلقاء نفسه؟ والتقوُّل: تكلُّف القَول، ولا يستعمل إلَّا في الكذب ﴿بَل﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن، استكبارًا.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٣١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٥٧٤).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦٥).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٩٨).

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ في نظمه وحُسْنِ بيانه.

وقَرَأَ أبو رجاء، وأبو نهيك، ومورق العجلي، وعَاصِم الجَحْدَرِيّ: «بحديثِ مثله» بغير تنوينٍ[1].

﴿إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾ أنَّ محمّدًا تقوَّله.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الطور: ٣٥-٤٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أم خُلِقُوا من غير ربٍّ خالقٍ؟.

والثَّاني: أم خُلِقُوا من غير آباء ولا أمَّهات، فهم كالجماد لا يعقلون؟.

والثَّالِث: أم خُلِقُوا من غير شيءٍ كالسماوات والأرض؟ أي: إنهم ليسوا بأشدَّ خلقًا من السَّماوات والأرض، لأنَّها خلقت من غير شيء، وهم خلقوا من آدم، وآدمُ من تُراب.

والرَّابعُ: أم خُلِقُوا لغير شيءٍ؟ فتكُون «مِنْ» بمعنى اللام.

---

(١) في المحتسب (٢/ ٢٩٢)، والتحصيل (٩/ ٥٧٤)، والمحرر الوجيز (٥/ ١٩٢) عن الجحدري، وفي الكامل (ص:٦٤١)، والبحر المحيط (٩/ ٥٧٥) عن الجحدري، وأبي السمال.

والمعنى: ما خُلِقُوا عبثًا فلا يُؤمَرون ولا يُنْهَون.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ فلذلك لا يأتمرون ولا ينتهون؟ لأنَّ الخالقَ لا يُؤمَر ولا يُنهَى.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ بالحقِّ، وهو توحيد الله وقدرته على البعث.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** المطر والرِّزق، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني:** النبوَّة، قَالَهُ عكرمة.

**والثَّالِث:** علمُ ما يَكُون من الغَيب، ذكره الثَّعلَبي(١).

وَقَالَ الزَّجَّاج: المعنى: أعندهم ما في خَزَائنِ ربِّك من العِلْمِ، وقيل: من الرِّزق، فهم مُعرِضُون عَن ربِّهم لاستغنائهم(٢)؟.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾:

قَرَأ ابنُ كَثِير: «المسيطرون» بالسِّين(٣).

وَقَالَ ابنُ عبَّاس: المسلطون(٤).

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٣١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦٦).

(٣) انظر: السبعة (ص:٦١٣)، والحجة (٦/ ٢٢٨)، والتيسير (ص:٢٠٤).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٩٧) من رواية علي، عن ابن عبَّاس به.



قال أبو عُبَيْدَة: «المصيطرون» الأربابُ، يقال: تسيطرت عليَّ، أي: اتخذتني خولاً[(١)].

قال: لم يأتِ في كلام العربِ اسم على «مُفَيْعِل» إلَّا خمسة أسماء: مُهَيْمِن، ومُجَيْمِر ومُسَيْطِر، ومُبَيْطِر، ومُبَيْقِر؛ فالمُهيْمن: الله النَّاظر المُحصي الذي لا يفوته شيءٌ، ومُجَيْمِر: جبلٌ، والمُسَيْطِر: المسلَّط، ومُبَيْطِر: بَيْطار، والمُبَيْقِر: الذي يخرُج من أرضٍ إلى أرضٍ، يقال: بَيْقَرَ: إذا خرج من بلدٍ إلى بلدٍ. [٧٤٧/ب]

قال امرؤ القيس[(٢)]: [من الطويل]

أَلا هَلْ أَتاهَا والحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... بأَنَّ امْرِأَ القَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بَيْقَرا

قال الزَّجَّاج: المسيطرون: الأربابُ المسلَّطون، يقال: قد تسيطرَ علينا وتصيطر: بالسِّين والصَّاد، والأصل السِّين، وكل سين بعدها طاء فيجوز أن تقلب صادًا، تقول: سطر وصطر، وسطا علينا وصطا[(٣)].

قال المفسِّرون: معنى الكلام: أم هم الأرباب فيفعلون ما شاؤوا ولا يَكُونون تحت أمرٍ ولا نهيٍ؟

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٣).

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ٣٩٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٠٦)، وفقه اللغة (ص:٢٧٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٧٩)، وجمهرة اللغة (١/ ٣٢٣)، والزاهر (٢/ ٢١١)، ومعجم ديوان الأدب (١/ ٢٦٥)، والصحاح (٢/ ٥٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦٦).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ ﴾ أي: مرقـى ومصعـد إلى السَّـماء ﴿ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ أي: عليـه الوحـيَ، كقولـه: ﴿ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طـه: ٧١] فالمعنـى يستمعون الوحيَ فيعلمـون أنَّ مـا هـم عليـه حـقٌّ ﴿ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم ﴾ إنِ ادَّعى ذلـك ﴿ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بحُجَّـةٍ واضحـةٍ كـما أتـى محمَّـدٌ بحُجَّـة عـلى قولـه.

﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ هذا إنكارٌ عليهم حين جعلوا لله البنات.

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ أي: هـل سـألتهم أجـرًا عـلى مـا جئـت بـه، فأثقلهـم ذلـك الـذي تطلبـه منهـم فمنعهـم عَـن الاسـلام؟ والمغـرم بمعنـى الغـرم وقـد شرحنـاه في بـراءة(١).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾ هـذا جـوابٌ لقولهـم: ﴿ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾؛ والمعنـى: أعندهـم الغيـب؟ وَفِيْـهِ قَـوْلان:

أَحَدُهُمَـا: أنَّـه اللَّـوح المحفـوظ، ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ مـا فيـه ويخبرون النَّـاس، قَالَـهُ ابـن عبَّـاس.

والثَّـاني: أعندهـم علـم الغيـب فيعلمـون أنَّ محمَّـدًا يمـوت قبلهـم ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ أي: يحكمـون فيقولـون سـنقهرك.

والكِتَـاب: الحُكـمُ؛ ومنـه قـولُ النبـيِّ ﷺ: «سَـأَقْضِي بَيْنَكُـمَا بِكِتَـابِ اللهِ»(٢) أي: بحُكـم الله ﷻ؛ وإلى هـذا المعنـى ذهـب ابـن قُتَيْبَـة(٣).

---

(١) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (٩٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٩٥) ومواضع أخرى، ومسلم في صحيحه (١٦٩٧) من حديث أبي هريرة ﵁ بلفظ: «لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ».

(٣) انظر: غريب الحديث (١/ ٢٦٩).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهـو مـا كانوا عَزَمـوا عليـه في دار النَّدوة؛ وقـد شرحنـا ذلـك في قولـه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] [الأنفـال: ٣٠].

ومعنـى ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ هـم المجزيُّـون بكيدهـم، لأنَّ ضررَ ذلـك عـادَ عليهـم فقُتِلـوا ببـدر وغيرهـا.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ أي: ألهـم إلـهٌ يرزقهـم ويحفظهـم غـير الله؟ والمعنـى أنَّ الأصنام ليسـت بآلهـة، لأنَّهـا لا تنفـع ولا تدفـع، ثـمَّ نـزَّه نفسَـه عَـن شركهم بباقـي الآيـة.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[الطور: ٤٤- ٤٩].

ثـمَّ ذكـر عنادَهـم فقـال: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ والمعنـى: لـو سَـقَطَ بعـضُ السَّـماء عليهـم لمـا انتهـوا عَـن كفرهـم، ولقالـوا: هـذه قطعـةٌ مـن السَّـحاب قـد رُكِـم بعضُـه عـلى بعـضٍ.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي خَلِّ عنهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾.

قَرَأَ أبو جَعفر: «يَلْقَوا» بفتح الياء والقاف وسكون اللام من غير أَلِف[2].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٣٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٦)، والتحصيل (٦/ ٢٤٣)، والبحر المحيط (٩/ ٥٧٦).

﴿يَوْمَهُمُ﴾ وَفِيْهِ ثَلاثَةُ أَقْوَال:

أحدها: أنَّه يومُ موتهم.

والثَّاني: يوم القِيَامة.

والثَّالِث: يوم النَّفخة الأولى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾.

قَرَأَ عَاصِم، وابنُ عَامِر: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ برفع الياء، مِنْ أصعقهم غيرُهم؛ والباقون بفتحها، من صعقوهم[1].

وفي قوله: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: يموتون.

والثَّاني: يُغشَى عليهم، كقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهذا يُخَرَّج على قول مَن قال: هو يوم القيامة، فإنَّهم يغشى عليهم من الأهوال.

وذكر المفسِّرون أنَّ هذه الآية منسوخةٌ بآية السَّيف، ولا يصحُّ، لأنَّ معنى الآية الوعيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ هذا اليوم الأوَّل؛ والمعنى: لا ينفعهم مَكرُهم ولا يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يمنعون [٧٤٨/أ] من العذاب.

(١) انظر: السبعة (ص:٦١٣)، والحجة (٦/ ٢٢٧)، والمبسوط (ص:٤١٧)، والتيسير (ص:٢٠٤)، والتحصيل (٦/ ٢٤٣).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أي: أشركـوا ﴿ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: قبـل ذلـك اليـوم؛ **وَفِيْـهِ أَربَعَـةُ أَقْـوَال:**

**أحدها:** أنَّه عذابُ القبرِ، قَالَهُ البراء، وابن عبَّاس.

**والثَّـاني:** عـذابُ القتـلِ يـوم بـدرٍ، وروي عَـن ابـن عبَّـاس أيضًـا، وبـه قَـالَ مُقَاتِـل[١].

**والثَّالِث:** مصائِبُهم في الدنيا، قَالَهُ الحسَنُ، وابن زيد.

**والرَّابعُ:** عذاب الجوع، قَالَهُ مُجَاهِد.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا يعلمون ما هو نازلٌ بهم.

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أي: لما يحكُمُ به عليك ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾.

قـال الزَّجَّـاج: فإنَّـك بحيـث نـراكَ ونحفَظُـكَ ونرعـاك، فـلا يَصِلُـون إلى مكروهك[٢].

وذكر المفسِّرون: أنَّ معنى الصَّبر نُسخَ بآية السَّيف، ولا يصحُّ لأنَّه لا تضادَّ.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ **فيه ستة أقوال:**

**أحدها:** صَلِّ لله حين تقوم من منامك، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّـاني:** قُـلْ: «سـبحانك اللهـمَّ وبحمـدك» حـين تقـوم مـن مجلسـك، قَالَـهُ عَطَـاء، وسـعيد بـن جبـير، ومُجَاهِـد في آخريـن.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٥٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦٨).

**والثَّالِثُ**: قُلْ «سبحانك اللهمَّ وبحمدك وتبارك اسمُك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك» حين تقوم في الصَّلاة، قَالَهُ الضَّحَّاك.

**والرَّابعُ**: سبِّحِ اللهَ إذا قمت من نَومك، قَالَهُ حسان بن عطية.

**والخَامِسُ**: صَلِّ صلاة الظهر إذا قمت من نوم القائلة، قَالَهُ زيد بن أسلم.

**والسَّادِسُ**: اذْكُرِ الله بلسانك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصَّلاة، قَالَهُ ابن السَّائب.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾.

قال مُقَاتِل: صَلِّ المغرب وصَلِّ العشاء[1].

﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾:

قَرَأَ زيدٌ عَن يعقوب، وهارون عَن أبي عمرو، والجعفي عَنْ أبي بكر: «وأَدبار النجوم» بفتح الهمزة.

وقَرَأَ الباقون بكسرها[2].

وقد شرحناها في ق[3]، والمعنى: صَلِّ له في إدبار النُّجوم، أي: حين تدبر، أي: تغيب بضوء الصبح.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٥٠).

(٢) انظر: المبسوط (ص:٤١٧)، والكامل (ص:٤٠٢)، والتحصيل (٦/ ٢٤٣).

(٣) انظر: تفسير سورة ق الآية رقم (٤٠).

وفي هذه الصلاة قَوْلان:

أَحَدُهُما: أنَّها الركعتان قبل صلاة الفجر، رواه علي رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ[١]، وهو قَول الجمهور.

والثَّاني: أنَّها صلاة الغَداة، قَالَهُ الضَّحَّاك، وابنُ زيد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٦٠٩) من رواية عن عطاء، عن علي موقوفًا عليه، ولم نقف عليه مرفوعًا إلى النبي ﷺ.



## سورة النجم

وهي مكيَّة بإجماعهم، إلَّا أنَّه قد حكي عَنِ ابنِ عبَّاس وقَتادَة أنَّهما قالا: إلَّا آيةً منها، وهي ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ [النجم: ٣٢].

وكذلك قَالَ مُقَاتِل؛ قال: وهذه أوَّل سورةٍ أعْلَنَها رسولُ الله ﷺ بمكّة(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَولُهُ تَعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[النجم: ١-٤].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ هذا قَسَمٌ.

وفي المراد بالنجم خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه الثُّرَيَّا، رواه العوفي عَن ابن عبَّاس، وابنُ أبي نجيح عَن مُجَاهِد.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: والعرب تسمِّي الثريا -وهي ستَّةُ أنجمٍ- نَجْمًا(٢).

وَقَالَ غيره: هي سبعة، فستة ظاهرة، وواحد خفيّ، يمتحن به النّاس أبصارهم.

والثَّاني: الرُّجوم من النُّجوم، يعني ما يُرمَى به الشَّياطين، رواه عكرمة عَن ابنِ عبَّاس.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٥٩).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٧).



والثَّالِث: أنَّه القُرآن نَزَلَ نجومًا متفرِّقة، رواه عَطَاء عَن ابنِ عبَّاس، والأعمش عَن مُجَاهِد.

وَقَالَ مُجَاهِد: كان ينزل نجومًا ثلاث آياتٍ وأربع آياتٍ ونحو ذلك(١).

والرَّابِعُ: نجوم السَّماء كلها، وهو مرويٌّ عَن مُجَاهِد أيضًا.

والخَامِسُ: أنَّها الزُّهرة، قَالَهُ السُّدِّيّ.

[٧٤٨/ب] فعلى قولِ مَن قال: النجم: الثريا، يَكُون «هَوَى» بمعنى «غاب»، ومن قال: هو الرُّجوم، يَكُون هويها في رمي الشَّياطين، ومن قال: القرآن، يَكُون معنى «هوى» نزل، ومن قال: نجوم السَّماء كلّها، **ففيه قَوْلان:**

أَحَدُهُمَا: أنَّ هويَّها أن تغيب.

والثَّاني: أن تَنْتَثِرَ يوم القيامة.

قَرَأَ ابنُ كَثِير وعَاصِم وابنُ عَامِر هذه السُّورة كلَّها بفتح أواخر آياتها.

وقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ونَافِعٌ بين الفتح والكسر.

وقَرَأَ حَمْزَةُ والكِسَائِيُّ ذلك كله بالإمالة(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ هذا جواب القسمِ؛ والمعنى: ما ضَلَّ عَن طريق الهدى، والمراد به: رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٩/ ١٣٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦١٤).

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ أي: ما يتكلَّم بالباطل.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «عن» بمعنى الباء[١].

وذلك أَنَّهُم قالوا: إنَّه يقول القرآن من تلقاء نفسه.

﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي: ما القُرآن ﴿إِلَّا وَحْىٌ﴾ منَ الله ﴿يُوحَىٰ﴾ وهذا ممَّا يحتجُّ به مَن لا يجيز للنبيِّ أن يجتهد، وليس كما ظنُّوا، لأنَّ اجتهادَ الرَّأي إذا صدر عَن الوَحي جَازَ أن يُنْسَبَ إلى الوَحي.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[النجم: ٥-١٨].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ وهو جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ علَّم النبيَّ ﷺ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وأصلُ هذا من «قُوَى الحبل» وهي طاقاته، الواحدة: قوَّة[٢].

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوَّة، وأصل المرَّة: الفتل.

قال المفسِّرون: وكان من قوَّته أنَّه قلع قريات لوط وحملها على جناحه فقلبها، وصاح بثمود فأصبحوا خامدين.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٧).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ جبريلُ، ﴿وَهُوَ﴾ يعني النبيَّ ﷺ، والمعنى: أنَّهما استوَيا بالأفق الأعلى لما أسري برسول الله ﷺ، قَالَهُ الفَرَّاء[١].

والثَّاني: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ جبريلُ، ﴿وَهُوَ﴾ يعني ـ جبريل ـ بالأُفُقِ الأعلى على صورته الحقيقيَّة، لأنَّه كان يتمثَّل لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل، وأحبَّ رسولُ الله ﷺ أن يراه على حقيقته، فاستوى في أفق المشرق، فملأ الأفقَ؛ فيَكُون المعنى: فاستوى جبريلُ بالأفق الأعلى في صورتِه، هذا قَول الزَّجَّاج[٢].

قال مُجَاهِد: والأُفُقُ الأعلى: هو مطلع الشمس[٣].

وَقَالَ غيره: إنَّما قيل له: «الأعلى» لأنَّه فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾.

قال الفَرَّاء: المعنى: ثمَّ تدَلَّى فدَنَا، ولكنَّه جائزٌ أن تقدِّمَ أيَّ الفعلين شئتَ إذا كان المعنى فيهما واحدًا، فتقول: قد دنا فقَرُبَ، وقَرُبَ فدَنَا، وشَتَمَ فأساءَ، وأَسَاءَ فشَتَمَ، ومنه قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] المعنى ـ والله أعلم ـ: انشقَّ القمر واقتربت الساعة[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ٩٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٠).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٣٩٢).

(٤)انظر: معاني القرآن (٣/ ٩٥-٩٦).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: المعنى: تدلَّ فَدَنَا، لأَنَّه تدَلَّى للدُّنُوِّ، ودنا بالتدلي[١].

وَقَالَ الزَّجَّاج: دنا بمعنى قَرُبَ، وتدلَّى: زاد في القرب، ومعنى اللفظتين واحدٌ[٢].

وَقَالَ غيرهم: أصل التدلِّي: النزول إلى الشَّيء حتى يقرب منه، فوضع موضع القرب.

وفي المشَار إليه بقوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ **ثلاثة أقوال:**

**أحدها: أنَّه الله ﷻ.**

روى البخاريُّ ومسلم في «الصحيحين» من حديث شريك بنِ أبي نمر عَن أنس بن مالك قال: دَنَا الجبَّار ربُّ العِزَّة فتدلَّى حتَّى كان منه قابَ قوسين أو أدنى[٣].

وروى أبو سلمة عَنِ ابن عبَّاس: ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ قال: دَنَا رَبُّه فتدلى[٤].

وهذا اختيار مُقَاتِل، قال: دَنَا الربُّ من محمَّدٍ ليلةَ أُسْرِيَ به، فكان منه قاب قوسين أو أدنى[٥].

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٢٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧٥١٧) من رواية شريك، عن أنس به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٤) من رواية أبي سلمة، عن ابن عبَّاس به.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٦٠).

وقد كشفتُ هذا الوجهَ في كتابِ «المغني»، وبيَّنت أنَّه ليسَ كما يخطر [٧٤٩/أ] بالبال من قرب الأجسامِ وقطع المسافة، لأنَّ ذلك يختصُّ بالأجسام، والله منزَّه عَن ذلك.

**والثَّاني**: أنَّه محمَّد دنا من ربه، قَالَهُ ابن عبَّاس، والقرظي.

**والثَّالِث**: أنَّه جبريل. **ثم في الكلام قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: دنا جبريلُ بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فنَزَلَ إلى رسول الله ﷺ، قَالَهُ الحسن، وقَتَادَة.

**والثَّاني**: دنا جبريلُ من ربِّه ﷻ فكان منه قابَ قوسين أو أدنى، قَالَهُ مُجَاهِد.

قَولُهُ تَعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

وقَرَأَ ابنُ مسعودٍ، وأبو رزين: «فكان قَادَ قوسين» بالدال[١].

قال أَبُو عُبَيْدَة: القابُ والقادُ: القَدْرُ[٢].

وَقَالَ ابنُ فارسٍ: القاب: القدر، ويقال: بل القاب: ما بين المقبض والسِّيَةِ، ولكلِّ قوسٍ قابان[٣].

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: سِيَةُ القوس: ما عطف من طرفيها[٤].

(١) انظر: معجم القراءات (٩/ ١٧٧)، وعزاها أيضًا لزيد بن علي.

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٦).

(٣) انظر: مجمل اللغة (ص:٧٣٩)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٨).

وفي المراد بالقوسين قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها القوس التي يُرمَى بها، قَالَهُ ابن عبَّاس، واختاره ابن قُتَيْبَة[١]، فقال: قدر قوسين.

وَقَالَ الكِسَائِيُّ: أراد بالقوسين: قوسًا واحدًا.

والثَّاني: أنَّ القوس: الذراع؛ فالمعنى: كان بينهما قدر ذراعين، حكاه ابن قُتَيْبَة، وهو قولُ ابن مسعود، وسعيد بن جبير، والسُّدِّيّ.

قَالَ ابْنُ مسعود: دنا جبريل منه حتَّى كان قدر ذراع أو ذراعين[٢].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها بمعنى «بل»، قَالَهُ مُقَاتِل[٣].

والثَّاني: أنَّهُم خوطبوا على لغتهم؛ والمعنى: كان على ما تقدرونه أنتم قدر قوسين أو أقل، هذا اختيار الزَّجَّاج[٤].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٦) من رواية زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٦٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧١).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أوحى الله إلى محمَّدٍ كِفَاحًا بلا واسطةٍ، وهذا على قَول مَن يقول: إنَّه كان في ليلة المعراج.

والثَّاني: أوحى جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ ما أوحى اللهُ إليه، رواه عَطَاء عَن ابن عبَّاس.

والثَّالِث: أوحى اللهُ إلى جبريل ما يُوحِيهِ، رُوِيَ عَن عائشة رضي الله عنها، والحسن، وقَتَادَة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾.

قَرَأَ أبو جَعْفر، وهشَام عَنِ ابن عَامِر، وأبَان عَن عَاصِم: «ما كذَّب» بتشديد الذَّال.

وقَرَأَ الباقون بالتخفيف(١).

فمَن شدَّد أراد: ما أنكرَ فؤادَه ما رأته عَينُه؛ ومَن خفَّف أراد: ما أوهمه فؤاده أنَّه رأى، ولم يرَ، بل صدق الفؤاد رؤيته.

وفي الذي رأى قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه رأى ربَّه ﷻ، قَالَهُ ابن عبَّاس، وأنس، والحسن، وعكرمة.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦١٤)، والحجة (٦/ ٢٣٠)، والمبسوط (ص:٤١٩)، والتيسير (ص:٢٠٤)، والتحصيل (٦/ ٢٦٠).

والثَّـاني: أنَّـه رأى جبريـلَ في صورتـه التـي خلـقَ عليهـا، قَالَـهُ ابـن مسـعود، وعائشـة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، والمفضل، وخَلَفُ، ويعقوب: «أَفَتَمْرُونَهُ»(١).

قَـالَ ابْـنُ قُتَيْبَـة: معنـى «أفتمارونـه»: أفتجادلونـه، مـن المـراء، ومعنـى «أَفَتَمْرُونَـهُ»: أَفَتَجْحَدُونَـه(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: رآه مرَّةً أخرى(٣).

قَـالَ ابْـنُ عبَّـاس: رأى محمَّـدٌ ربَّـه؛ وبيـان هـذا أنَّه تـردَّد لأجـل الصَّلوات مـرارًا، فـرأى ربَّـه في بعض تلـك المـرَّات مرَّة أخـرى(٤).

قـال كعـب: إنَّ الله تعـالى قسـم كلامـه ورؤيتـه بـين محمَّـد وموسـى، فـرآه محمَّـدٌ مرَّتـين، وكلَّمَه موسـى مرتـين(٥).

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦١٤)، والحجة (٦/ ٢٣٠)، والمبسوط (ص:٤١٩)، والتحصيل (٦/ ٢٦٠).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٢).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٢) مـن روايـة أبي سـلمة، عـن ابـن عبَّـاس بلفـظ: «قـد رآه النبـي ﷺ».

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣١) من رواية عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن كعب به.

وقد رُوِيَ عَن ابنِ مسعودٍ أنَّ هذه الرؤية لجبريل أيضًا، رآه على صورتِه التي خلق عليها[1].

فأمَّا سِدرةُ المنتهى، فالسِّدرةُ: شَجَرَةُ النَّبقِ، وقد صحَّ في الحديث [٧٤٩/ب] عَن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**نبَقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ**»[2].

**وفي مكانها قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّها فوق السَّماء السَّابِعة، وهذا مذكور في «الصحيحين» من حديث مالك بن صَعصَعة[3].

قال مُقَاتِل: وهي عَن يمين العرش[4].

**والثَّاني**: أنَّها في السَّماء السَّادِسَة، أخرجَه مسلم في أفراده عَن ابن مسعود[5]، وبه قَالَ الضَّحَّاك.

قال المفسِّرون: وإنَّما سمِّيت سِدْرَة المنتهى، لأنَّه إليها منتهى ما يصعد به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، وإليها ينتهي علم جميع الملائكة.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٧) من رواية زر بن حبيش، عن ابن مسعود به.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة به.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٢٠٧) ومواضع أخرى، ومسلم في صحيحه (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة، وهو حديث الإسراء الطويل.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٦٠).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١٧٣) من رواية مرة، عن عبد الله بن مسعود به.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عِندَهَا﴾.

وقَـرَأَ معـاذ القـارئ، وابـنُ يَعْمـر، وأبـو نَهيـك: «عِنْدَهُ» بهـاء مرفوعـة عـلى ضمـير مذكَّـر(١).

﴿جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: هي جنَّة يأوِي إليها جبريلُ والملائكة(٢).

وَقَالَ الحسَن: هي التي يصير إليها أهل الجنَّة(٣).

وَقَالَ مُقَاتِل: هي جنَّة إليها تأوي أرواحُ الشهداء(٤).

وقَـرَأَ سـعيدُ بـن المسيِّب والشَّـعبي وأبـو المتـوكِّل وأبـو الجَـوزاء وأبـو العَاليـة: «جَنَّـهُ المـأوى» بهـاءٍ صحيحـةٍ مرفوعـة(٥).

قال ثعلب: يريدون أَجنَّهُ، وهي شاذَّة.

وقيل: معنى «عندها» : أدركَه المبيت يعني رسول الله ﷺ.

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٤٧) عـن عـلي بـن أبي طالـب، وابـن الزبـير، وأبي هريـرة، وأنـس بـن مالـك، وزر، ومحمـد بـن كعـب.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٩٨).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ١٣).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٦٠).

(٥) في التحصيـل (٦/ ٢٦٠) عـن عـلي بـن أبي طالـب، وأبي هريـرة، وفي الهدايـة (١١/ ٧١٥٤) عـن ابـن الزبـير، وفي المحتسـب (٢/ ٢٩٣)، والمحـرر الوجيـز (٥/ ١٩٩) عـن عـلي بـن أبي طالـب وابـن الزبـير بخـلاف، وأبي هريـرة، وأنـس بـن مالـك بخـلاف، وأبي الـدرداء، وزر ابـن حبيـش وقَتَـادَة، ومحمـد بـن كعـب.



قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

روى مسلم في أفراده من حَديث ابنِ مَسْعُودٍ قال: غَشِيَها فَراشٌ مِنْ ذَهَبٍ(١).

وفي حديث مالك بن صعصعة عَن رسول الله ﷺ قال: «**لَمَّا غَشِيَها مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَها تغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا**»(٢).

وَقَالَ الحسنُ ومُقَاتِل: تَغْشاها الملائكةُ أمثالَ الغِرْبان حين يَقَعْنَ على الشَّجرة(٣).

وَقَالَ الضَّحَّاك: غَشِيَها نورُ ربِّ العالمين(٤).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي: ما عَدَلَ بصرُ رسولِ الله ﷺ يميناً ولا شِمالاً ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما زادَ ولا جاوز ما رأى، وهذا وصفُ أَدَبِه ﷺ في ذلك المقام.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ فيه قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: لقد رأى من آياتِ ربِّه العِظامِ.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٧٣) من رواية مرة، عن عبد الله بن مسعود به.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٢٠٧) ومواضع أخرى، ومسلم في صحيحه (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة، وهو حديث الإسراء الطويل.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٩٨).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٣٩٦)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٤٣) عن الحسن، وليس عن الضحاك، بلفظ: «غشيها نور ربِّ العزة فاستنارت».

**والثَّاني:** لقد رأى من آيات ربِّه الآيةَ الكُبرى.

**وللمفسِّرين في المراد بما رأى من الآيات ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه رأى رفرفًا أخضر من الجنَّة قد سدَّ الأفق، قَالَهُ ابن مسعود.

**والثَّاني:** أنَّه رأى جبريل في صورته التي يكُون عليها في السَّماوات، قَالَهُ ابن زيد.

**والثَّالِث:** أنَّه رأى من أعلام ربِّه وأدلَّته الأعلام والأدلَّة الكبرى، قَالَهُ ابن جرير(١).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[النجم: ١٩-٢٦].

قال الزَّجَّاج: فلما قَصَّ الله تعالى هذه الأقاصيص قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ المعنى: أخبرونا عَن هذه الآلهة التي تعبدونها هل لها من القُدرَةِ والعَظَمَةِ التي وصف بها ربُّ العزَّة شيء؟(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٢).



فأما «اللات»: فقَرَأَ الجمهور بتخفيف التَّاء، وهو اسم صنمٍ كان لثقيف اتخذوه من دون الله، وكانوا يشتقُّون لأصنامهم من أسماء الله تعالى، فقالوا من «الله»: اللات، ومن «العزيز»: العزى.

قال أبو سُلَيمان الخطابي: كان المشركون يتعاطون «الله» اسمًا لبعض أصنامهم، فصرفه الله إلى اللات صيانة لهذا الاسم وذبًّا عنه[(١)].

وقَرَأَ ابنُ عبَّاس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السُّلمي، والضَّحَّاك، وابن السَّمَيفع، ومُجَاهِد، وابن يعمر، والأعمش، وورش عَن يعقوب: «اللاتَّ» بتشديد التَّاء[(٢)].

ورد في تفسير ذلك عَن ابنِ عبَّاس ومُجَاهِد: أنَّ رجلاً كان يلتُّ [٧٥٠/أ] السَّويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه[(٣)].

وَقَالَ الزَّجَّاج: زعموا أنَّ رجلاً كان يلتُّ السَّويق ويبيعه عند ذلك الصنم، فسمِّي الصنم: اللاتّ[(٤)].

وكان الكِسَائِيُّ يقف عليه بالهاء، فيقول: «اللاه» وهذا قياس[(٥)]، والأجود الوقوف بالتَّاء، لاتِّباع المصحف.

---

(١) انظر: شأن الدعاء (ص:٣١).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٧) عن ابن عبَّاس، ومجاهد، وإبراهيم، وفي التحصيل (٦/ ٢٦١) عن ابن عبَّاس، ومجاهد، وغيرهما.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧)، والكشف والبيان (٩/ ١٤٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٣).

(٥) ذكره الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٣).

وأمَّا «العُزَّى» **ففيها قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّها شجرةٌ لغَطَفَان كانوا يعبدونها، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّاني:** صنمٌ لهم، قَالَهُ الضَّحَّاك.

قال: وأمَّا «مَنَاة» فهو صنمٌ لهذيل وخزاعة يعبده أهلُ مكَّة[١].

وَقَالَ قَتَادَة: بل كانت للأنصار[٢].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: كانت اللَّات والعُزَّى ومَنَاة أصنامًا من حجارة في جوف الكعبة يعبدونها[٣].

وقَرَأَ ابنُ كَثِير: «ومناءة» ممدودة مهموزة[٤].

فأمَّا قوله: ﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾ فإنَّه نعتٌ لـ«مَنَاة» هي ثالثة الصنمين في الذِّكر، و﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ نعت لها.

قال الثَّعلبي: العرب لا تقول للثالثة: الأخرى، وإنَّما الأخرى نعت للثانية؛ فيَكُون في المعنى **وجهان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّ ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] ولم يَقُلْ أخر، قَالَهُ الخليل.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٤٦).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ١٩٩).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٦).

(٤) انظر: السبعة (ص:٦١٥)، والحجة (٦/ ٢٣١)، والمبسوط (ص:٤١٩)، والتحصيل (٦/ ٢٦١).



والثَّـاني: أنَّ في الآيـة تقديـمًا وتأخـيرًا تقديـره: أفرأيتـم الـلّات والعُـزَّى الأخـرى ومَنَـاة الثَّالِثـة، قَالَـهُ الحسـين بـن الفضـل[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾:

قَـالَ ابْـنُ السَّـائب: إنَّ مشركـي قريـش قالـوا للأصنـام والملائكـة: بنـات الله، وكان الرَّجـل منهـم إذا بـشر بالأنثـى كـره، فقـال الله تعـالى منكـرًا عليهـم: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾؟ يعنـي الأصنـام وهـي إنـاث في أسـمائها.

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾.

قَـرَأَ عَاصِـم، ونَافِـع، وأَبُـو عَمْـرو، وابـن عَامِـر، وحَمْـزَة، والكِسَـائِيّ: ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ بكـسر الضـاد مـن غـير همـز.

وافقهم ابنُ كَثِيرٍ في كسر الضَّاد، لكنَّه همز[2].

وقَرَأَ أُبيُّ بن كعب، ومعاذ القارئ: «ضَيْزى» بفتح الضَّاد من غير همز[3].

قـال الزَّجَّـاج: الضِّيـزى في كلامِ العـرب: الناقصـةُ الجائـرة، يقـال: ضـازه يَضِيـزُه: إذا نقصـه حَقَّـه، ويقـال: ضَـأَزَه يَضْـأَزُه بالهمـز. وأجمـع النحويُّـون أنَّ أصـل ضِيـزَى: ضُـوزى، وحُجَّتُهـم أنَّهـا نُقلـت مـن «فُعْـلى» مـن ضُـوزى إلى ضِيـزى، لتَسـلم اليـاء، كـما قالـوا: أبيـض وبِيْـض، وأصلـه: بُـوضٌ، فنُقلـت الضَّمَّـة إلى الكسـرة.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٤٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦١٥)، والحجة (٦/ ٢٣٢)، والمبسوط (ص:٤١٩)، والتحصيل (٦/ ٢٦١)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٠١).

(٣) في البحر المحيط (١٠/ ١٨) عزاها لزيد بن علي.

وقرأتُ على بعضِ العُلَماء باللُّغة: في «ضيزى» لغات يقال: ضِيزَى وضُوزَى وضُؤْزَى وضَأْزى على «فعلى» مفتوحة، ولا يجوز في القرآن إلا «ضِيزى» بياءٍ غير مهموزة، وإنَّما لم يقُل النحويُّون: إنَّها على أصلها لأنَّهُم لا يعرفون في الكلام «فِعْلى» صفة، إنَّما يعرفون الصِّفات على «فَعْلَى» بالفتح، نحو سَكْرَى وغَضْبى، أو بالضم نحو حُبْلى وفُضْلى[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنْ هِيَ﴾ يعني الأوثان ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ والمعنى: إن هذه الأوثان التي سمَّوها بهذه الأسامي لا معنى تحتها، لأنَّها لا تضرُّ ولا تنفع فهي تسمياتٌ ألقيت على جمادات.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: لم ينزل كتابًا فيه حجة بما يقولون: إنَّها آلهة.

ثمَّ رجع إلى الإخبار عنهم بعد الخطاب لهم فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في أنَّها آلهة، ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وهو ما زيَّن لهم الشَّيطان، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو البيان بالكِتَاب والرَّسول، وهذا تعجيب من حالهم إذ لم يتركوا عبادتها بعد وضوح البيان.

ثمَّ أنكر عليهم تمنِّيهم شفاعتها فقال: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ يعني الكافر [٧٥٠/ب]
﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ من شفاعة الأصنام ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: لا يملك فيهما أحدٌ شيئًا إلَّا بإذنه.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٣).



ثـمَّ أكَّـد هـذا بقولـه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ ﴾ فجمع في الكنايـة، لأنَّ معنـى الكلام الجمع ﴿شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ﴾ في الشَّـفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾؛ والمعنـى: أنَّهم لا يشـفعون إلَّا لمـن رضي الله عنهم.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾[النجـم: ٢٧-٣٠].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: بالبعـث ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ وذلـك حـين زعمـوا أنَّهـا بنـات الله، ﴿وَمَا لَهُم ﴾ بذلـك، ﴿مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي: مـا يسـتيقنون أنَّهـا إنـاث ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ أي: لا يقـوم مَقَـامَ العلـم؛ فالحـقُّ هاهُنـا بمعنـى العِلْـم.

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ يعنـي القُـرآن؛ وهـذا عنـد المفسِّريـن منسـوخٌ بآيـة السَّـيف.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ ﴾.

قـال الزَّجَّـاج: إنَّـما يعلمـون مـا يحتاجـون إليـه في معايشـهم، وقـد نبـذوا أمـرَ الآخـرة[1].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الآيـة؛ والمعنـى: أنَّـه عـالم بالفريقـين فيجازيهـم.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[النجم: ٣١-٣٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ هذا إخبارٌ عَنْ قُدرته وسعة مُلكه، وهو كلامٌ معترضٌ بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ﴾ لأنَّ اللام في «ليجزي» متعلِّقة بمعنى الآية الأولى، لأنَّه إذا كان أعلم بهما، جازى كلًّا بما يستحقه، وهذه لامُ العاقبة، وذلك أنَّ علمه بالفريقين أدَّى إلى جزائهم باستحقاقهم، وإنَّما يقدر على مجازاة الفريقين إذا كان واسع الملك، فلذلك أخبرَ به في قَوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

قال المفسِّرون: و«أساؤوا» بمعنى أشركوا، و«أحسنوا» بمعنى وحَّدوا، والحسنى: الجنَّة، والكبائر مذكورةٌ في سورة النساء[1]، وقيل: كبائر الإثم: كلُّ ذنبٍ ختم بالنَّار، والفواحش: كلُّ ذنبٍ فيه الحَدُّ.

وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، والمفضل، وخَلَفُ: «يَجْتَنِبون كبيرَ الإثم»[2].

واللَّممُ في كلام العرب: المُقارَبة للشَّيء.

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٣١).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦١٥)، والحجة (٦/ ٢٣٤)، والمبسوط (ص:٣٩٦).

وفي المراد به هاهنا ستة أقوال:

أحدها: ما أَلَمُّوا به من الإثم والفواحِشِ في الجاهلية، فإنَّه يُغْفَر في الإسلام، قَالَهُ زيد بن ثابت.

والثَّاني: أن يُلِمَّ بالذَّنب مَرَّةً ثمَّ يتوب ولا يعود، قَالَهُ ابنُ عبَّاس والحسن والسُّدِّيّ.

والثَّالِث: أنَّه صِغار الذُّنوب، كالنَّظرة والقُبلة وما كان دون الزِّنا، قَالَهُ ابن مسعود وأبو هريرة والشعبي ومسروق.

ويؤيِّد هذا حديثُ أبي هريرة عَن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، فَزِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَشْتَهِي وَتَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ الْفَرْجُ»[1]، فإن تقدَّم بفَرْجه كان الزِّنا، وإلا فهو اللَّممُ.

والرَّابِعُ: أنَّه ما يَهُمُّ به الإنسانُ، قَالَهُ محمَّد ابنُ الحنفيَّة.

والخَامِسُ: أنَّه ما أَلَمَّ بالقلب، أي: خطَر، قَالَهُ سعيدُ بن المسيب.

والسَّادِسُ: أنَّه النَّظر من غير تعمُّد، قَالَهُ الحسين بن الفضل.

فعلى القولين الأولين يَكُون الاستثناءُ من الجنس، وعلى باقي الأَقْوَال ليس من الجنس.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٢٤٣)، ومسلم في صحيحه (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة به.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: لمن فَعَلَ ذلك ثمَّ تاب(١).

وهاهُنا تمَّ الكلام ثمَّ قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ يعني قبل خلقكم ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين؛ [٧٥١/أ] والمعنى: أنَّه علم ما تفعلون وإلى ماذا تصيرون، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تشهدوا لها أنَّها زكيَّة بريئة من المعاصي.

وقيل: لا تمدحوها بحسن أعمالها.

**وفي سببِ نزول هذه الآية قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّ اليهود كانوا إذا هلك لهم صبيٌّ، قالوا: صِدِّيق، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٢).

**والثَّاني:** أنَّ ناسًا من المسلمين قالوا: قد صلَّينا وصمنا وفعلنا، يزكُّون أنفسَهم، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ مقاتل(٣).

**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** عَمِلَ حسنَةً وارْعَوى عَنْ معصية، قَالَهُ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**والثَّاني:** أخْلَصَ العملَ لله، قَالَهُ الحسن.

**والثَّالِث:** اتَّقى الشِّرك فآمن، قَالَهُ الثعلبي(٤).

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٠٢).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٥٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٦٥).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٥٠).

قولُـهُ تعَـالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[النجم: ٣٣-٤١].

**قَولُهُ تَعَالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على أربعة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه الوليد بن المغيرة، وكان قد تبع رسول الله ﷺ على دينه، فعيَّره بعضُ المشركين، وقال: تركتَ دِينَ الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيتُ عذابَ الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئًا من ماله ورجع إلى شِرْكِه أن يتحمَّل عنه عذابَ الله ﷻ ففعل، فأعطاه بعضَ الذي ضمن له، ثمَّ بَخِلَ ومنعه، فنزلت هذه الآية، قَالَهُ مُجاهِد، وابن زيد[١].

**والثَّاني:** أنَّه النضر بن الحارث أعطى بعضَ الفقراء المسلمين خمس قلائِصَ حتَّى ارتد عَن إسلامه، وضمن له أن يحمل عنه إثمه، قَالَهُ الضَّحَّاك[٢].

**والثَّالِث:** أنَّه أبو جهلٍ، وذلك أنَّه قال: والله ما يأمرنا محمَّد إلا بمكارم الأخلاق، قَالَهُ محمَّد بن كعب القرظي[٣].

**والرَّابِعُ:** أنَّه العَاصُ بنُ وائل السَّهميّ، وكان ربَّما وافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور، قَالَهُ السُّدِّيّ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٧١-٧٢).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٤٠٢).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٥١).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٥١).

ومعنى ﴿تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عَن الإيمان.

﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا﴾ **فيه أربعة أقوال:**

**أحدها:** أطَاعَ قليلاً ثمَّ عَصَى، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني:** أعْطَى قليلاً من نفسِه بالاستماع ثمَّ أكدى بالانقطاع، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّالِث:** أعْطَى قليلاً من ماله ثمَّ منعَ، قَالَهُ الضَّحَّاك.

**والرَّابعُ:** أعْطَى قليلاً من الخير بلسَانه ثمَّ قطع، قَالَهُ مُقَاتِل[1].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: ومعنى أكْدَى: قَطَعَ، وهو من كدية الركية، وهي الصَّلابة فيها، وإذا بلغها الحافر يئس من حَفْرِها، فقطع الحفر، فقيل لكلِّ مَن طلب شيئًا فلم يبلغ آخره، أو أعطى ولم يتم: أكْدَى[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ **فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** فهو يَرَى حَالَهُ فِي الآخرة، قَالَهُ الفَرَّاء[3].

**والثَّاني:** فهو يَعْلَمُ ما غاب عنه من أمرِ الآخرة وغيرها، قَالَهُ ابن قُتَيْبَة[4].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ يعني التَّوراة، ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: وصحف إبراهيم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٦٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٠١).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٩).



وفي حديثِ أبي ذرٍّ عَن النبيِّ ﷺ: «أَنَّ الله تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشْرَ صَحَائِفَ، وَأَنْزَلَ عَلَى مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَاةِ عَشْرَ صَحَائِفَ»[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾.

قَرَأَ سعيدُ بن جبير، وأبو عِمران الجوني، وابنُ السَّمَيفَع اليماني: «وَفَى» بتخفيف الفاء[٢].

قال الزَّجَّاج: قوله: «وفَّى» أبلغُ من «وَفَى»، لأنَّ الذي امتُحن به من أعظم المحَن[٣].

وللمفسِّرين في ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ عشرة أقوال: [٧٥١/ب]

أحدها: أنَّه وفَّى عملَ يومِه بأربع ركعات في أوَّل النهار، رواه أبو أُمامة عَن رسول الله ﷺ[٤].

والثَّاني: أنَّه وفَّى في كلمات كانَ يقولها.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٦١) من رواية إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى بن الغساني، عن أبيه، عن جده، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر به.
قال الهيثمي في موارد الظمآن (ص:٥٤): «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قَالَ أبو حاتم وغيره: كذَّاب».

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٧) عن سعيد بن جبير، واليماني، وفي التحصيل (٦/ ٢٦١) عن سعيد بن جبير، وغيره.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٠٧)، و(٢٢/ ٧٨) من رواية جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة به، وإسناده ضعيف جدًّا، جعفر بن الزبير: متروك الحديث، قَالَهُ أبو حاتم، والنسائي، والدارقطني.

روى سَهْلُ بنُ معاذ بن أنس الجُهَنِيّ عَن أبيه عَن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى الله إِبْرَاهِيمَ خَلِيْلَهُ (الَّذِي وَفَّى)؟، لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كُلَّمَا أَصْبَحَ وَكُلَّمَا أَمْسَى:** ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾» [الروم: ١٧] وختم الآية[١].

**والثَّالِثُ**: أنَّه وفَّى الطَّاعة فيما فعل بابنه، رواه العَوفي عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ القرظي.

**والرَّابِعُ**: أنَّه وفَّى ربَّه جميع شرائع الإسلام، روى هذا المعنى عكرمة عَن ابن عبَّاس.

**والخَامِسُ**: أنَّه وفَّى ما أُمِرَ به من تبليغ الرِّسالة، رُوِيَ عَن ابن عبَّاس أيضًا.

**والسَّادِسُ**: أنَّه عَمِلَ بما أمر به، قَالَهُ الحسن، وسعيد بن جبير، وقَتَادَة.

وَقَالَ مُجَاهِد: وفَّى ما فُرِضَ عليه[٢].

**والسَّابِعُ**: أنَّه وفَّى بتبليغ هذه الآيات، وهي: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ وما بعدها، وهذا مروِيٌّ عَن عكرمة، ومُجَاهِد، والنَّخعي.

**والثَّامِنُ**: أنَّه وفَّى شأنَ المناسك، قَالَهُ الضَّحَّاك.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٧٧)، والطبراني في الدعاء (٣٢٤)، والمعجم الكبير (٢٠/ ١٩٢) (٤٢٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٨) من طريق زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه به، وإسناده ضعيف؛ لضعف زبان بن فائد.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٧٧) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

**والتَّاسِعُ**: أنَّه عَاهَدَ أن لا يسألَ مخلوقًا شيئًا، فلمَّا قُذِف في النَّار قَالَ له جبريل: ألكَ حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا، فوفَّى بما عاهد، ذكره عَطَاء بن السَّائب.

**والعَاشِرُ**: أنَّه أدَّى الأمانة، قَالَهُ سفيان بن عيينة.

ثمَّ بيَّن ما في صُحُفِهما فقال: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا تحمل نفسٌ حاملةٌ حِمْلَ أخرى؛ والمعنى: لا تؤخذ بإثم غيرها.

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾.

قال الزَّجَّاج: هذا في صحفهما أيضًا، ومعناه: ليس للإنسان إلَّا جزاء سَعْيِهِ، إنْ عَمِلَ خيرًا جُزِيَ عليه خيرًا، وإن عمل شرًّا جزي شرًّا[1].

**واختلف العلماء في هذه الآية على ثمانية أقوال:**

**أحدها**: أنَّها منسوخةٌ بقوله: ﴿ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ ﴾ [الطور: ٢١] فأدخل الأبناءَ الجنَّة بصلاح الآباء، قَالَهُ ابن عبَّاس، ولا يصحُّ، لأنَّ لفظ الآيتين لفظ خبر، والأَخبار لا تنسخ.

**والثَّاني**: أنَّ ذلك كان لقومِ إبراهيم وموسى، وأمَّا هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى غيرهم، قَالَهُ عكرمة، واستدلَّ بقول النبيِّ ﷺ للمرأة التي سألته: إنَّ أبي مات ولم يحجَّ، فقال: «**حُجِّي عَنْهُ**»[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٨٥٤) ومواضع أخرى، ومسلم في صحيحه (١٣٣٤) من حديث ابن عبَّاس بلفظ: «إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ، أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ».

**والثَّالِثُ**: أنَّ المراد بالإنسان هاهُنا: الكافر، فأمَّا المؤمن، فله ما سعى وما سُعي له، قَالَهُ الربيع بن أنس.

**والرَّابِعُ**: أنَّه ليس للإنسان إلَّا ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل فجائزٌ أن يَزِيدَه الله ﷻ ما يشاء، قَالَهُ الحسين بن الفضل.

**والخَامِسُ**: أنَّ معنى ﴿مَا سَعَىٰ﴾ ما نَوَى، قَالَهُ أبو بكر الورَّاق.

**والسَّادِسُ**: ليس للكافر منَ الخير إلَّا ما عَمِلَه في الدنيا، فيثاب عليه فيها حتَّى لا يبقى له في الآخرة خيرٌ، ذكره الثَّعلبي(١).

**والسَّابِعُ**: أنَّ اللام بمعنى «على»، فتقديره: ليس على الإنسان إلَّا ما سَعَى.

**والثَّامِنُ**: أنَّه ليس له إلَّا سَعْيُه، غيرَ أنَّ الأسباب مختلفة، فتارةً يَكُون سعيُه في تحصيل قرابةٍ وولدٍ يترحَّم عليه وصديقٍ، وتارةً يسعى في خدمة [٧٥٢/أ] الدِّين والعبادة، فيكتسب محبَّة أهل الدِّين، فيَكُون ذلك سَبَبًا حصل بسعيه، حكى القولين شيخُنا عليُّ بن عبيد الله الزاغوني.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ فيه **قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: سوف يُعلَمُ، قَالَهُ ابن قُتَيْبَة(٢).

**والثَّاني**: سوف يرى العبد سعيه يوم القيامة، أي: يرى عمله في ميزانه، قَالَهُ الزَّجَّاج(٣).

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٥٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٢٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٦).

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ يُجْزَىٰهُ ﴾ الهـاء عائـدةٌ عـلى السَّـعي ﴿ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ أي: الأكمـلَ الأتـمَّ.

قَولُـهُ تَعـالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾[النجـم: ٤٢-٥٥].

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ أي: مُنتَهى العِباد ومَرجِعَهم.

قال الزَّجَّاج: هذا كلُّه في صُحُفِ إبراهيم وموسى[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾.

قالـت عَائشـة: مـرَّ رسـولُ الله ﷺ بقـومٍ يضْحكُـون، فقـال: «لَـوْ تَعْلَمُـونَ مَـا أَعْلَـمُ لَضَحِكْتُـمْ قَلِيـلاً، وَلَبَكَيْتُـمْ كَثِـيرًا»، فنَـزَلَ جبريـلُ عليه السلام بهـذه الآيـة، فرجَـعَ إليهـم، فقـال: «مَـا خَطَـوْتُ أَرْبَعِـينَ خُطْـوةً حَتَّـى أَتَـانِي جِبْرِيـلُ، فَقَـالَ: ائْـتِ هَـؤُلَاءِ فَقُـلْ لَهُـمْ: إِنَّ اللهَ يَقُـولُ: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾»[٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٧٦).

(٢) رواه الثعلبـي في الكشـف والبيـان (٩/ ١٥٥)، والواحـدي في أسـباب النـزول (ص:٣٩٩) مـن روايـة دلال بنـت أبي المـدل، عـن الصهبـاء، عـن عائشـة رضي الله عنها بـه، ودلال بنـت أبي المدل، والصهبـاء لم نقـف لهـا عـلى ترجمـة، هـذا وقـد عـزا السـيوطي الحديـث في الـدر المنثـور (٧/ ٦٦٣) لابـن مردويـه.

وفي هذا تَنْبِيهٌ على أنَّ جميعَ الأعمال بقضاء الله وقَدَرِه حتَّى الضَّحك والبكاء.

وَقَالَ مُجَاهِد: أَضْحَكَ أهلَ الجنَّة، وأبكى أهل النار(١).

وَقَالَ الضَّحَّاك: أضحك الأرضَ بالنَّبات، وأبكى السَّماء بالمطر(٢).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي: الصِّنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ من جميع الحيوانات.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: إذا تُراق في الرَّحِم، قَالَهُ ابنُ السَّائب.

والثَّاني: إذا تُخْلَق وتُقَدَّر.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ وهي الخَلْقُ الثَّاني للبعث يومَ القيامة.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أغنى بالكفاية، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: بالمعيشة، قَالَهُ الضَّحَّاك.

والثَّالِث: بالأموال، قَالَهُ أَبُو صَالِح.

والرَّابعُ: بالقَنَاعة، قَالَهُ سفيان.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٥٥).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٥٥).

وفي قوله: ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أَرْضَى بما أَعْطَى، قَالَهُ ابن عبَّاس.

والثَّاني: أَخْدَمَ، قَالَهُ الحسنُ، وقَتَادَة، وعَن مُجَاهِد كالقولين.

والثَّالِث: جَعَلَ للإنسان قُنْيَةً، وهو أصلُ مالٍ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَة[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: هو الكَوكَبُ الذي يَطْلع بعدَ الجَوزاء، وكان ناسٌ من العرب يعبدونها[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾.

قَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ، وعَاصِمٌ، وابن عَامِر، وحَمْزَة، والكِسَائِيُّ: ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ منوَّنة.

وقَرَأَ نَافِعٌ، وأَبُو عَمْرو: «عاداً لُولى» موصولةً مُدْغَمَة[3].

ثم فيهم قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّهُم قومُ هود، وكان لهم عقب فكانوا عادًا الأخرى، هذا قول الجمهور.

والثَّاني: أنَّ قومَ هود هم عاد الأخرى، وهم من أولاد عاد الأولى، قَالَهُ كعب الأحبار.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٨).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٣٠).

(٣) انظر: السبعة (ص:٦١٥)، والحجة (٦/ ٢٣٧)، والمبسوط (ص:٤٢٠).

وَقَالَ الزَّجَّاج: وفي «الأولى» لغاتٌ أجودها سكون اللام وإثبات الهمزة، والتي تليها في الجودة ضَمُّ اللام وطَرحُ الهمزة، ومن العرب من يقول: لُولى، يريد: الأولى، فتطرح الهمزة لتحرك اللام(١).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: من قَبْلِ عادٍ وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من غيرهم، لطول دعوة نوحٍ إيَّاهم، وعتوِّهم.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قُرَى قوم لوطٍ ﴿أَهْوَىٰ﴾ أي: أسقَطَ، وكان الذي تولَّى [٧٥٢/ ب] ذلك جبريل بعد أن رفعها، وأتبعهم الله بالحجارة، فذلك قوله: ﴿فَغَشَّاهَا﴾ أي: ألْبَسَها ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ يعني الحجارة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ هذا خطابٌ للإنسان، لما عدَّد اللهُ ما فعله ممَّا يدلُّ على وحدانيَّته قال: فبأيِّ نِعَم ربِّك التي تدلُّ على وحدانيَّته تتشكَّكُ؟.

وَقَالَ ابنُ عبَّاس: فبأيِّ آلاء ربِّك تكذِّب يا وليد، يعني الوليد بن المغيرة(٢).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[النجم: ٥٦-٦٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه القُرآن، نذيرٌ بما أنذرت الكتبُ المتقدمة، قَالَهُ قَتَادَة.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٥/ ٧٧).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٠٥).

والثَّاني: أنَّه رسولُ الله ﷺ، نذيرٌ بما أَنْذَرَتْ به الأنبياءُ، قَالَهُ ابن جُريج.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴾ أي: دَنَتْ القيامة.

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: إذا غَشِيَتِ الخَلقَ شدائدُها وأهوالها لم يكشفها أحدٌ ولم يردّها، قَالَهُ عَطَاء، وقَتَادَة، والضَّحَّاك.

والثَّاني: ليس لعلمها كاشفٌ دون الله، أي: لا يعلم علمَها إلَّا الله، قَالَهُ الفَرَّاء، قال: وتأنيثُ «كاشفة» كقوله: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٨] يريد: من بَقَاءٍ؛ والعافية والباقية والنَّاهية كلُّها في معنى المصدر(١).

وَقَالَ غيره: تأنيث «كاشفة» على تقدير: نفسٌ كاشفةٌ.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾.

قال مُقَاتِل: يعني القرآن ﴿ تَعْجَبُونَ ﴾ تكذيبًا به، ﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ استهزاءً ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ ممَّا فيه من الوعيد؟ ويعني بهذا كفَّار مكَّة(٢).

﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: لَاهُون، رواه العَوفي عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ الفَرَّاء(٣) والزَّجَّاج(٤).

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٠٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٦٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٠٣).

(٤) انظر: معاني القرآن (٥/ ٧٨).

قال أَبُو عُبَيْدَة: يقال: دَعْ عَنْكَ سُمُودك[١]، أي: لهوك.

**والثَّاني**: معرضون، قَالَهُ مُجَاهِد.

**والثَّالِث**: أَنَّه الغِنَاءُ وهي لغة يمانيَّة، يقولون: اسمد لنا، أي: تغَنَّ لنا، رواه عكرمة عَن ابن عبَّاس.

وَقَالَ عكرمَةُ: هو الغناء بالحميرية[٢].

**والرَّابعُ**: غافلون، قَالَهُ قَتَادَة.

**والخَامِسُ**: أَشِرُون بَطِرُون، قَالَهُ الضَّحَّاك.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ **فيه قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: أَنَّه سجود التلاوة، قَالَهُ ابن مسعود.

**والثَّاني**: سجود الفَرْضِ في الصلاة.

قال مُقَاتِل: يعني بقوله «فاسجدوا»: الصَّلوات الخمس[٣].

وفي قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ﴾ **قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: أَنَّه التَّوحيد.

**والثَّاني**: العبادة.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٩).

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (٢٢/ ٩٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٦٨).

## سورة القمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر: ١-٥].

وهي مكيَّة بإجماعهم، وَقَالَ مُقَاتِل: مكيَّة غير آية ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ [القمر: ٤٥]، وحكي عنه أنَّه قال: إلَّا ثلاث آياتٍ، أوَّلها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٤-٤٦][1].

قَالَ ابنُ عبَّاس: اجتمع المشركون إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: إنْ كُنْتَ صَادِقًا فشُقَّ لَنَا القمرَ فِرْقَتَيْنِ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنْ فَعَلْتُ تُؤْمِنُوا؟**» قَالُوا: نَعَمْ. فَسَأَلَ رسُولُ الله ﷺ ربَّه أَنْ يُعْطِيَهُ ما قَالُوا، فَانْشَقَّ القَمَرُ فِرْقَتَيْنِ، ورَسُولُ الله ﷺ يُنَادِي: «**يَا فُلَانُ يَا فُلَانُ اشْهَدُوا**» وذلك بمكَّة قبل الهجرة[2].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٧٥).

(٢) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٢٧٩) من طريق عطاء، وعن مقاتل، عن الضحاك، كلاهما (عطاء، والضحاك) عن ابن عبَّاس، بنحو ما ذكره المؤلف.



وقد روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود قال: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْهَدُوا».[١]

وقد روى حديثَ الانشقاق جماعةٌ، منهم عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عبَّاس، وأنس بن مالك[٢]، وعلى هذا جميع المفسِّرين، إلَّا أنْ قومًا شذُّوا فقالوا: سينشق يوم القيامة.

[٧٥٣/أ] وقد روى عثمانُ بن عَطَاء، عَن أبيه نحو ذلك، وهذا القول الشَّاذّ لا يقاوم الإجماع، ولأنَّ قوله: ﴿وَٱنشَقَّ﴾ لفظ ماضٍ، وحملُ لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينةٍ تنقله ودليلٍ، وليس ذلك موجودًا.

وفي قوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ﴾ دليلٌ على أنَّه قد كان ذلك.

ومعنى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾: دَنَتْ، و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة.

وَقَالَ الفَرَّاء: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: انشقَّ القمرُ واقتربت السَّاعة[٣].

وَقَالَ مُجَاهِد: انشقَّ القمرُ فصار فرقتين، فَثَبَتَتْ فِرْقَةٌ، وذَهَبَتْ فِرْقَةٌ وَرَاء الْجَبَلِ.[٤]

---

(١) البخاري (٣٦٣٦ـ ٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) انظر: الدر المنثور (٧/ ٦٧٠) فإنه قد استوعب جميع الأحاديث والآثار المروية في هذا الباب.

(٣) معاني القرآن (٣/ ٩٦).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١١٠) من طريق ليث بن أبي سليم، به.

وَقَالَ ابنُ زيد: لما انشقَّ القمر كان يرى نصفه على قُعَيْقِعَانَ، والنِّصف الآخر على أَبِي قُبَيْسٍ(١).

قَالَ ابْنُ مسعود: لَمَّا انشقَّ القمرُ قالت قريش: سَحَرَكم ابنُ أبي كبشة، فَاسْأَلُوا السُّفَّارَ، فَسَأَلُوهُمْ، فقالوا: نَعَمْ قد رأيناه، فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾.(٢)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً﴾ أي: آيةً تدلُّهم على صدق الرسول، والمراد بها هاهنا: انشقاق القمر ﴿يُعۡرِضُواْ﴾ عَن التصديق ﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ذاهبٌ، من قولهم: مرَّ الشيءُ واستمرَّ: إذا ذهب، قَالَهُ مُجَاهِد، وقَتَادَة، والكِسَائِيّ، والفَرَّاء(٣)؛ فعلى هذا يَكُون المعنى: هذا سحر، والسحر يذهب ولَا يثبت.

والثَّاني: شديدٌ قويٌّ، قَالَهُ أبو العالية، والضَّحَّاك، وابن قُتَيْبَة، قال: وهو مأخوذ من المِرَّة، والمرة: الفتل(٤).

---

(١) أورده ابن عطية في المحرر (٥/ ٢١٢).

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٩٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٠٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ١٧٧)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٤٠٠)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٢٨٠)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٦٦) من طرق عن أبي عوانة، عن المغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، به، بنحوه.

(٣) معاني القرآن (٣/ ١٠٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٤٣١).

والثَّالِث: دائمٌ، حكاه الزَّجَّاج[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ يعني كذَّبوا النبيَّ ﷺ وما عاينوا من قدرة الله تعالى ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ ما زيَّن لهم الشَّيطان ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّ كلَّ أمرٍ مستقرٌّ بأهله، فالخير يستقرُّ بأهل الخير، والشَّرُّ يستقر بأهل الشَّرِّ، قَالَهُ قَتَادَة.

والثَّاني: لكلِّ حديثٍ منتهى وحقيقة، قَالَهُ مُقَاتِل[٢].

والثَّالِث: أَنَّ قرار تكذيبهم مستقرٌّ، وقرارُ تصديق المصدِّقين مستقرٌّ حتى يعلموا حقيقته بالثواب والعقاب، قَالَهُ الفَرَّاء[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: من أخبار الأمم المكذِّبة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: أي: متَّعَظٌ ومنتهى[٤].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾.

قال الزَّجَّاج: هي مرفوعةٌ لأنَّها بدلٌ من «ما»، فالمعنى: ولقد جاءهم حكمةٌ بالغةٌ، وإن شئت رفعتها بإضمار: هو حكمةٌ بالغةٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٧٧).

(٣) معاني القرآن (٣/ ١٠٤).

(٤) غريب القرآن (ص:٤٣١).

و«ما» في قوله ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ جائزٌ أن يَكُون استفهامًا بمعنى التوبيخ، فيَكُون المعنى: أيُّ شيءٍ تغني النذر؟ وجائزٌ أن يَكُون نفيًا، على معنى: فليست تغني النذر[1].

قَالَ المفسِّرون: والمعنى: جاءهم القرآن وهو حكمةٌ تامَّةٌ قد بلغت الغاية، فما تغني النذر إذا لم يؤمنوا؟.

قَولُهُ تَعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾[القمر: ٦-٨].

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾.

قال الزَّجّاج: هذا وقفُ التَّمام، و﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بقوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾.[2]

وَقَالَ مُقَاتِل: فتَوَلَّ عنهم إلى يوم ﴿يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾[3]، أثبت هذه الياء في الحالين يعقوبُ؛ وافقه أبو جعفر، وأَبُو عَمْرو في الوصل، وحذفها الأكثرون في الحالين[4].

و﴿ٱلدَّاعِ﴾: إسرافيل ينفخ النفخة الثَّانية ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٧٧).

(٤) السبعة (ص:٦١٧)، والتيسير (ص:٧٠).



وقَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ: «نُكْرٍ» خفيفة؛ أي: إلى أمر فظيع[١].

وَقَالَ مُقَاتِل: «النُّكُر» بمعنى: المنكَر، وهو القيامة، وإنَّما ينكرونه إعظامًا له[٢].

والتولي المذكور في الآية منسوخٌ عند المفَسِّرين بآية السيف.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ﴾:

قَرَأَ أهلُ الحجاز، وابنُ عَامِر، وعَاصِم: ﴿خُشَّعًا﴾ بضمِّ الخاء وتشديد الشين من غير ألف. [٧٥٣/ ب]

وقَرَأَ أَبُو عَمْرو، وحَمْزَة، والكِسَائِيّ: «خَاشِعًا» بفتح الخاء وألف بعدها وتخفيف الشين[٣].

قال الزَّجَّاج: المعنى: يخرُجون خُشَّعاً، و «خاشعاً» منصوبٌ على الحال.

وقَرَأَ ابن مسعود: «خَاشِعةً»[٤]؛ ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيدُ والتأنيثُ والجمع؛ تقول: مررت بشبَّان حسن أوجههم، وحسان أوجههم، وحسنة أوجههم، قَالَ الشاعر: [من الرمل][٥]

---

(١) السبعة (ص:٦١٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٧٨).

(٣) السبعة (ص:٦١٨).

(٤) في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٦) عن ابن مسعود، وفي مختصر ابن خالويه (ص:١٤٨)، والتحصيل (٦/ ٢٧٥)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٦) عن أُبيٍّ، وابن مسعود.

(٥) البيت للحارث بن أوس الإيادي في المحرر الوجيز (٥/ ٢١٣)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٦)، وتهذيب اللغة (١/ ١٠٧)، ولسان العرب (٨/ ٧١).

وَشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ

قال المفَسِّرون: والمعنى أَنَّ أبصارهم ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب.

والأجداث: القبور، وإنَّما شبههم بالجراد المنتشر، لأنَّ الجرادَ لا جهة له يقصدها، فهو أبدًا مختلفٌ بعضُه في بعض، فهم يخرجون فَزِعِين ليس لأحدٍ منهم جهةٌ يقصدها. والداعي: إسرافيل.

وقد أثبت ياء «الداعي» في الحالين ابنُ كَثِير، ويعقوب؛ تابعهما في الوصل نَافِع، وأَبُو عَمْرو؛ والباقون بحذفها في الحالين[1].

وقد بيَّنَّا معنى ﴿مُهْطِعِينَ﴾ في سورة «إبراهيم»[2]، والعسر: الصعب الشديد.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾[القمر: ٩-٢٢].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل أهل مكَّة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾.

---

(١) الكامل (ص:٤٣٦).

(٢) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية رقم (٤٣).



قال أبو عُبَيْدَة: افتعل من زَجَرَ(١).

قَالَ المفسِّرون: زجروه عَن مقالته ﴿ فَدَعَا ﴾ عليهم نوحٌ ﴿رَبَّهُۥٓ ﴾ بـ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ أي: فانتقم لي ممَّن كذَّبني.

قَالَ الزَّجَّاج: وقَرَأَ عيسى بنُ عمر النحوي: «إِنِّي» بكسر الألف، وفسَّرها سيبويه فقال: هذا على إرادة القول، فالمعنى: قال: إِنِّي مغلوبٌ، ومَن فتح، وهو الوجه، فالمعنى: دعا ربه بـ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ ﴾(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَفَتَحْنَآ ﴾:

قَرَأَ ابنُ عَامِر: «فَفَتَّحْنَا» بالتشديد.(٣)

فأمَّا المنْهَمِر، فقَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: هو الكثير(٤) السريع الانصباب، ومنه يقال: هَمَرَ الرجلُ: إذا أكثر من الكلام وأسرع(٥).

وروى علي رضي الله عنه أَنَّ أبواب السَّماء فتحت بالماء من الْمَجَرَّةِ، وهي شَرَجُ السَّمَاءِ.(٦)

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٧)، وفي مختصر ابن خالويه (ص:١٤٨) عن عيسى، وابن إسحاق، وفي التحصيل (٦/ ٢٧٥) عن ابن إسحاق وحده.

(٣) السبعة (ص:٦١٨).

(٤) في الأصل، و(ر): (الكبير)، والمثبت من غريب القرآن؛ لابن قتيبة.

(٥) غريب القرآن (ص:٤٣١).

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٠٤) من طريق أبي الطُّفيل، عن ابن الكوَّاء، به، بنحوه.

وعلى ما ذكرنا من القصَّة في «هُودٍ»[1] أَنَّ المطر جاءهم، يَكُون هو المراد بقوله: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

قَالَ المفسِّرون: جاءهم الماء من فوقهم أربعين يومًا، وفجِّرَتْ الأرض من تحتهم عيونًا أربعين يومًا.

﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾:

وقَرَأَ أبيٌّ بن كعب، وأبو رجاء، وعَاصِم الجَحْدَرِي: «الْمَآءانِ» بهمزة وألف ونون مكسورة[2].

وقَرَأَ ابنُ مسعود: «الْمَايَانِ» بياءٍ وألفٍ ونونٍ مكسورةٍ من غير همزٍ[3].

وقَرَأَ الحسنُ، وأبو عمران: « الْمَاوَانِ » بواو وألف وكسر النون[4].

قَالَ الزَّجَّاج: يعني بالماء: ماء السَّماء وماء الأرض، ويجوز الْمَاءانِ، لأنَّ اسمَ الماء اسمٌ يَجْمَعُ ماء الأرض وماء السَّماء[5].

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٤٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٨) عن الجحدري، ومحمد بن كعب، وفي التحصيل (٦/ ٢٧٥) عن الجحدري، وزاد في المحرر (٥/ ٢١٤)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٩) سيدنا علي، والحسن.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:١٨٤) عن الحسن.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:١٨٤)، والتحصيل (٦/ ٢٧٥)، والمحرر (٥/ ٢١٤)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٩) عن الحسن.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٧).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: كان قدر ماء السَّماء كقدر ماء الأرض، قَالَهُ مُقَاتِل(١).

والثَّاني: قد قُدِرَ في اللوح المحفوظ، قَالَهُ الزَّجَّاج(٢).

فيَكُون المعنى: على أمر قد قُضِيَ عليهم، وهو الغرق.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ﴾ يعني: نوحًا ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: على سفينةٍ ذات ألواحٍ(٣).

قَالَ المفسِّرون: ألواحها: خشباتها العريضة التي منها جمعت.

**وفي الدُّسُر أربعة أقوال:**

**أحدها**: أنَّها المسَامير، رواه الوالبي، عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ قَتَادَة، والقرظي، وابن زيد.

وَقَالَ الزَّجَّاج: الدُّسُر: المسامير والشُّرُط التي تُشَدُّ بها الألواح، وكل شيءٍ نحو السَّمْر أو إدخال شيء في شيءٍ بقوَّة وشِدة قهر فهو دَسْر، يقال: دَسَرْتُ المسْمار أَدْسُرُه وأَدْسِرُه، والدُّسُر: واحدها دِسار، نحو حِمار، وحُمُر.(٤) [٧٥٤/أ]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٧٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٨).

والثَّاني: أنَّه صدر السَّفينة، سمي بذلك؛ لأنَّه يدسر الماء، أي: يدفعه، رواه العوفي، عَن ابنِ عبَّاس، وبه قَالَ الحسن، وعكرمة؛ ومنه الحديث في العنبر «أنَّه شَيْءٌ دَسَرَهُ الْبَحْرُ»، أي: دفَعَه.[١]

والثَّالِث: أَنَّ الدُّسُر: أضلاع السفينة، قَالَهُ مُجاهِد.

والرَّابعُ: أَنَّ الدُّسُر: طرفاها وأصلها، والألواح: جانباها، قَالَهُ الضَّحَّاك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمنظر ومَرأى منَّا ﴿جَزَآءً﴾.

قال الفَرَّاء: فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثوابًا لمن كفر به[٢].

**وفي المراد بـ «من» ثلاثة أقوال:**

**أحدها**: أنَّه الله ﷻ، وهو مذهب مُجاهِد، فيكُون المعنى: عُوقبوا لله ولكفرهم به.

**والثَّاني**: أنَّه نوح، كُفِرَ به وجحد أمرُه، قَالَهُ الفَرَّاء[٣].

**والثَّالِث**: أَنَّ «من» بمعنى «ما»؛ فالمعنى: جزاء لما كان كُفِرَ من نِعَمِ الله عند الذين أغرقهم، حكاه ابن جرير[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٦٩٧٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٠٥٨)، والشافعي في مسنده (٦٣٠)، والبخاري تعليقًا باب ما يستخرج من البحر، وابن زنجويه في الأموال (١٢٨٨)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٢٥) من طُرق عن عمرو بن دينار، عن أُذينة، وفي بعض الطرق أو ابن أُذينة، عن ابن عبَّاس قال: «لَيْسَ فِي العَنْبَرِ زَكَاةٌ إِنَّمَا هُوَ شَيءٌ دَسَرَهُ البَحْرُ».

(٢) معاني القرآن (٣/ ١٠٧).

(٣) معاني القرآن (٣/ ١٠٧).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ١٢٧).

وقَرأ قَتَادَة: «لِمَنْ كَانَ كَفَرَ» بفتح الكاف والفاء[1].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ﴾ في المشار إليها قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها السَّفينة.

قال قَتَادَة: أبقاها الله على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمَّة[2].

والثَّاني: أنَّها الفعلة، فالمعنى: تركنا هذه الفعلة وأمر سفينة نوح آية، أي: علامة ليعتبر بها.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ وأصله مُذْتَكِر، فأبدلت التاء دالاً على ما بينا في قوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾.[3]

قَالَ ابن قُتَيْبَة: أصله: مُذْتَكر، فأدغمت التاء في الذال، ثمَّ قلبت دالاً مشدَّدة[4].

قَالَ المفَسِّرون: والمعنى: هل من مُتَذَكِّر يعتبر بذلك؟.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ وفي هذه السورة ﴿وَنُذُرِ﴾ ستَّة مواضع، أثبت الياء فيهن في الحالين يعقوبُ، تابعه في الوصل ورش، والباقون

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٤٨) يزيد بن رومان، وعيسى، وفي المحتسب (٢/ ٢٩٨)، والتحصيل (٦/ ٢٧٥) قَتَادَة، ويزيد، وفي المحرر (٥/ ٢١٥)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٠) بذكر الثلاثة.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٦٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٢٨) من طريق معمر، به.

(٣) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٤٥).

(٤) غريب القرآن (ص:٤٣٢).

بحذفها في الحالين.(١)

وقوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ استفهامٌ عَنْ تلك الحالة، ومعناه التعظيم لذلك العذاب.

قَالَ ابن قُتَيْبَة: والنُّذُر هاهنا جمع نذيرٍ، وهو بمعنى الإنذار، ومثله النَّكير بمعنى الإنكار(٢).

قال المفسِّرون: وهذا تخويف لمشركي مكَّة.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي: سهَّلناه ﴿ لِلذِّكْرِ ﴾ أي: للحفظ والقراءة ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي: من ذاكرٍ يذكره ويقرؤه؛ والمعنى: هو الحثُّ على قراءته وتعلمه.

قَالَ سعيدُ بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يُقْرَأُ كلُّه ظاهرًا إلَّا القرآن(٣).

وأمَّا الرِّيح الصَّرصر، فقد ذكرناها في «حم».

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾:

قَرَأَ الحسنُ: «في يومٍ» بالتنوين(٤)، على أنَّ اليوم منعوت بالنحس.

والمستمر: الدَّائم الشؤم، استمرَّ عليهم بنحوسه.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦١٨).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٤٣٢).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٠٩).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ١٤٨) عن الحسن.

وَقَالَ ابنُ عبَّاس: كانوا يتشاءمون بذلك اليوم[١].

وقيل: إنَّه كان يوم أربعاء في آخر الشَّهر.

﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: تَقْلَعُهم من الأرض من تحت أقدامهم فتصرعهم على رقابهم فتدقُّ رقابهم فتبين الرأس عَن الجسد، فـ ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾.

وقَرَأَ أبيُّ بن كعب، وابن السَّمَيفَع: «أعجُزُ نَخْل» برفع الجيم من غير ألف بعد الجيم[٢].

وقَرَأَ ابن مسعود، وأبو مِجْلَز، وأبو عمران: «كأنَّهم عُجُز نخلٍ» بضمِّ العين والجيم[٣]. ومعنى الكلام: كأنَّهم أصولُ نخلٍ منقعرٍ أي: منقلع.

وَقَالَ الفَرَّاءُ: المُنْقَعِر: المصُرَّعُ منَ النَّخْلِ[٤].

قَالَ ابن قُتَيْبَة: يقال: قَعرتُه فانْقَعَر، أي: قلعته فسقط[٥].

قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: والنخل يذكر ويؤنَّث، فهذه الآية على لغة من ذكَّر، وقوله: ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٨] على لغة من أنَّث[٦]. [٧٥٤/ب]

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢١٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٤٨)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٢) عن أبي نهيك.

(٣) لم أقف عليها في المصادر التي بين يدي.

(٤) معاني القرآن (٣/ ١٠٨).

(٥) غريب القرآن (ص:٤٣٣).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٤١).

وَقَالَ مُقَاتِل: شبَّههم حين وقعوا من شدَّة العَذاب بالنخل السَّاقطة التي لا رؤوس لها، وإنَّما شبَّههم بالنَّخل لطولهم، وكان طول كل واحدٍ منهم اثني عشر ذراعًا[١].

قولُهُ تَعَالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر: ٢٣-٣٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه جمع نذير، وقد بيَّنَّا أنَّ من كذب نبيًّا واحدًا فقد كذب الكل.

والثَّاني: أنَّ النُّذُر بمعنى الإنذار كما بيَّنَّا في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾؛ فكأنَّهم كذَّبوا الإنذار الذي جاءهم به صالح، ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾.

قَالَ الزَّجَّاج: هو منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ والذي ظهر تفسيره، المعنى: أنتبع بشرًا منَّا واحدًا.[٢]

قال المفَسِّرون: قالوا: هو آدميٌّ مثلنا، وهو واحدٌ فلا نكون له تبعًا ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إنْ فعلنا ذلك ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: خطأ وذهابٍ عَنِ الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٨١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٩).

قَالَ ابْنُ عبَّاس: أي: جنون[١].

قَالَ ابن قُتَيْبَة: هو من: تَسَعَّرَتِ النَّار: إذا التهبت، يقال: ناقة مَسْعُورة، أي: كأنَّها مجنونة من النَّشاط[٢].

وَقَالَ غيره: لفي شقاءٍ وعناءٍ لأجل ما يلزمنا من طاعته.

ثُمَّ أنكروا أَنْ يَكُون الوحي يأتيه فقالوا: ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ ﴾ أي: أنزل الوحي ﴿ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ أي: كيف خصَّ من بيننا بالنبوَّة والوحي؟.

**﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ وَفِيْهِ قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّه المَرِح المتكبِّر، قَالَهُ ابن قُتَيْبَة[٣].

**والثَّاني**: البَطِر، قَالَهُ الزَّجَّاج[٤].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا ﴾: قَرَأَ ابنُ عَامِرٍ، وحَمْزَةُ: «سَتَعْلَمُونَ» بالتاء[٥].

**﴿ غَدًا ﴾ فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا**: يوم القيامة، قَالَهُ ابن السَّائب.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١١).

(٢) غريب القرآن (ص:٤٣٣).

(٣) غريب القرآن (ص:٤٣٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨٩).

(٥) السبعة (ص:٦١٨).

والثَّاني: عند نزول العذاب بهم، قَالَهُ مُقَاتِل.[١]

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ وذلِكَ أنَّهُم سألوا صالحًا أَنْ يظهر لهم ناقةً من صخرةٍ، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ أي: مُخْرِجُوها كما أرادوا ﴿فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ﴾ أي: محنةً واختبارًا ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾ أي: فانتظر ما هم صانعون ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ على ما يصيبك من الأذى. ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: بين ثمود وبين النَّاقة، يوم لها ويوم لهم، فذلك قوله: ﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾ يحضره صاحبُه ويستحقه.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾ واسمُه قِدَار بْن سَالِف ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾.

قَالَ ابنُ قُتَيْبَة: تعاطى عقرَ الناقة ﴿فَعَقَرَ﴾ أي: قَتَلَ؛[٢] وقد بينا هذا في الأعراف[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ وذلك أنَّ جبريل عليه السلام صاحَ بهم؛ وقد أشرنا إلى قصَّتهم في «هُودٍ»[٤].

﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: هو الرَّجل يجعَلُ لغنمه حظيرة بالشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك وداسته الغنم، فهو الهشيم.[٥]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٨١).

(٢) غريب القرآن (ص:٤٣٣).

(٣)انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٧٧).

(٤)انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٥٨).

(٥) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٦٨).

وقد بينَّا معنى «الهشيم» في «الكهف»[(١)].

وَقَالَ الزَّجَّاج: الهشيم: ما يبس من الوَرَقِ وتكسر وتحطم، والمعنى: كانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحبُ الحظيرة بعد أنْ بلغ الغاية في الجفاف، فهو يجمع ليوقد[(٢)].

وقَرَأَ الحسَنُ: «المُحْتَظَر» بفتح الظاء[(٣)]، وهو اسم الحظيرة؛ والمعنى: كهشيم المكان الذي يحتظر فيه الهشيم من الحطب.

وَقَالَ سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحيطان[(٤)].

وَقَالَ قَتَادَة: كالعظام النَّخِرَة المحترقة[(٥)].

والمراد من جميع ذلك: أنَّهم بادوا وهلكوا حتَّى صاروا كالشيء المتحطِّم.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم

---

(١) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٠).

(٣) في المحتسب (٢/ ٢٩٩) عن الحسن وحده، وفي مختصر ابن خالويه (ص:١٤٩)، والتحصيل (٦/ ٢٧٦)، والمحرر (٥/ ٢١٨) عن الحسن، وأبي رجاء، وزاد في البحر المحيط (١٠/ ٤٥) أبا حيوة، وأبا السَّمَّال، وعمرو بن عبيد.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٤٦)

(٥) رواه عبد الرزاق (٣/ ٢٦١)، وابن جرير الطبري (٢٢/ ١٤٦) في تفسيرهما.

بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾ ﴾[القمر: ٣٣-٤٠].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا ﴾ قَـالَ المفسِّرون: هـي الحجـارة التـي قُذِفُـوا بهـا.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖ ﴾ يعني: لوط وابنتيه ﴿ نَّجَّيۡنَٰهُم ﴾ من ذلك العذاب ﴿بِسَحَرٖ ﴾.

قَـالَ الفَـرَّاء: «سَـحَرٍ» هاهنـا يجـري؛ لأنَّـه نكـرة، كقولـه: نجيناهـم [٧٥٥/ أ] بلَيـلٍ، فـإذا ألقـت العَـرب مِنْـهُ البـاء لم يجـر، لأنَّ لفظهـم فيـه بالألـف والـلام، يقولـون: مـا زال عندنـا منـذ السـحر، لا يـكادون يقولـون غـيره، فـإذا حذفـت منـه الألـف والـلام لم يـصرف[١].

وَقَـالَ الزَّجَّـاج: إذا كان «السَّـحَر» نكـرة يـراد بـه سـحر مـن الأسـحار، انـصرف، فـإذا أردت سَـحَرَ يومـك لم ينـصرف[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴾.

قال مُقَاتِل: من وحَّد الله تعالى، لم يعذب مع المشركين[٣].

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ ﴾ أي: طلبـوا أن يسـلِّم إليهـم أضيافـه، وهـم الملائكـة ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ ﴾ وهـو أنَّ جبريـل ضرب أعينهـم بجناحـه فأذهبهـا.

(١) معاني القرآن (٣/ ١٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٠).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٨٢).

وقد ذكرنا القصَّة في سورة «هُودٍ»[١].

وتمَّ الكلام هاهنا، ثمَّ قال: ﴿فَذُوقُواْ﴾ أي: فقلنا لقوم لوط لما جاءهم العذاب: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: ما أنذركم به لوط، ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ أي: أتاهم صباحًا.

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: نازلٌ بهم.

قال مُقَاتِل: استقرَّ بهم العذاب بكرةً[٢].

قال الفَرَّاء: والعرب تجري غدوة وبكرة ولا تجريها، وأكثر الكلام في غدوةٍ ترك الإجراء، وأكثره في بكرةٍ أَنْ تجري، فمن لم يجرها جعلها معرفة، لأنَّها اسم يَكُون أبدًا في وقتٍ واحد بمنزلة أمس وغد، وأكثر ما تجري العرب غدوة إذا قرنت بعشية، يقولون: إنِّي لآتيهم غدوة وعشية، وبعضهم يَقُولُ: غدوة فَلَا يجريها، وعشية فيجريها، ومنهم من لا يجري عشية لكثرة ما صحبت غدوة[٣].

وَقَالَ الزَّجَّاج: الغُدوة والبُكرة إذا كانتا نكرتين نوِّنَتا وصُرِفَتا، فإذا أردت بهما بكرة يومك وغداة يومك لم تصرفهما، والبكرة هاهنا نكرة، فالصرف أجود، لأنَّه لم يثبت رواية في أنَّه كان في يوم كذا في شهر كذا[٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٨١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٨٣).

(٣) معاني القرآن (٣/ ١٠٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩١).

قَولُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمـر: ٤١-٤٦].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: القبط ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ فيهم **قَوْلان**:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّه جمع نذير، وهي الآيات التي أنذرهم بها موسى.

**والثَّـاني**: أنَّ النـذر بمعنـى الإنـذار؛ وقـد بينَّـاه آنفـا، ﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ أي: غالـب في انتقامـه ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ قـادرٌ عـلى هلاكهم.

ثـمَّ خـوف أهـل مكَّـة فقـال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يـا معـشر العـرب ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أشـد وأقـوى ﴿مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ﴾ وهـذا اسـتفهام معنـاه الإنـكار، والمعنـى: ليسـوا بأقـوى مـن قـوم نـوح وعـاد وثمـود، وقـد أهلكناهـم ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ﴾ مـن العـذاب أنَّـه لا يصيبكـم مـا أصابهـم ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أي: في الكتـب المتقدِّمـة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ المعنـى: أيقولـون: نحـن يـدٌ واحـدةٌ عـلى مـن خالفنـا فننتـصر منهـم؟ وإنَّـما وحَّـد المنتـصر للفـظ الجميـع، فإنَّـه عـلى لفـظ واحـد، وإنْ كان اسـمًا للجماعـة. ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾.

وروى أبـو حاتـم عَـن يعقـوبَ: «سـنَهْزِمُ» بالنـون، «الْجَمْـعَ» بالنصـب؛ «وتُولُّـون» بالتـاء.[1]

---

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ١٤٩)، والتحصيـل (٦/ ٢٦٧) عـن يعقـوب، وبـلا نسـبة في المحـرر (٥/ ٢٢٠).

ويعني بالجَمْع: جمعَ كفّار مكَّة ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ ولم يقل: الأدبار، وكلاهما جائزٌ.

قَالَ الفَرَّاء: مثله أَنْ يقول: إِنَّ فُلَانًا لكثير الدِّينار والدرهم(١).

وهذا مِمَّا أخبر الله به نبيَّه من علم الغيب، فكانت الهزيمة يوم بدر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾.

[٧٥٥/ب] قال مُقَاتِل: هي أفظع ﴿وَأَمَرُّ﴾ من القتل(٢).

قال الزَّجَّاج: ومعنى الدَّاهية: الأمر الشديد الذي لا يُهْتَدى لدوائه؛ ومعنى ﴿وَأَمَرُّ﴾ أَشَدُّ مَرَارَةً من القتل والأسر(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٤٧-٥٥].

**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ في سبب نزولها قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أَنَّ مشركي مكَّة جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يخاصمون في القدر، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ انفرد بإخراجه

(١) معاني القرآن (٣/ ١١٠).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٨٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٢).

مسلم من حديث أبي هريرة.[١]

وروى أبو أُمامة أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْقَدَرِيَّةِ».[٢]

**والثَّاني**: أَنَّ أسقف نجران جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمَّد تزعم أَنَّ المعاصي بقَدَر، وليس كذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**أَنْتُمْ خُصَمَاءُ اللهِ**»، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، قَالَهُ عَطَاء[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسُعُرٍ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

**أحدها**: الجنون.

**والثَّاني**: العناء، وقد ذكرناهما في صدر السُّورة.

**والثَّالِث**: أَنَّه نار تستعر عليهم، قَالَهُ الضَّحَّاك.

فَأَمَّا ﴿سَقَرَ﴾:

فقال الزَّجَّاج: هي اسمٌ من أسماء جهنَّم لا ينصرف؛ لأَنَّها معرفة، وهي مؤنَّثة[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٦٤)، وأحمد في مسنده (١٥/ ٤٥٩)، ومسلم (٢٦٥٦)، والترمذي (٢١٥٧ـ ٣٢٩٠)، وابن ماجه (٨٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٦١) وغيرهم.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (٧/ ٩٨)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٤٠١) من طريق عفير بن معدان، عن سُليم بن عامر، عن أبي أُمامة، بنحوه.
وعفير بن معدان الحضرمي، ضعيف، وقد قَالَ فيه أبو حاتم: يكثر عن سُليم، عن أبي أمامة بما لا أصل له. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٨٣).

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٤٠١) مرسلاً.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٤٧).

وقرأتُ على شيخنا أبي منصور قال: سَقَرُ: اسمٌ لنار الآخرة أعجمي، ويقال: بل هو عربي، من قولهم: سقرته الشَّمس: إذا أذابته، سميت بذلك لأنَّها تذيب الأجسام[1].

وروى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، عَن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْخَلائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي نِدَاءً يَسْمَعُهُ الْأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ أَيْنَ خُصَمَاءُ اللهِ، فَيَقُومُ الْقَدَرِيَّةُ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ» يقولُ الله تعالى: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وإنَّما قيل لهم: «خُصَمَاءُ اللهِ» لأنَّهم يخاصمون في أنَّه لا يجوز أنْ يُقَدِّر المعصية على العبد ثمَّ يُعذِّبه عليها.[2]

وروى هشام بن حسَّان، عَن الحسن قال: والله لو أنَّ قدريًّا صام حتَّى يصير كالحبل، ثمَّ صلى حتى يصير كالوَتَر، ثمَّ أُخذ ظلمًا وزورًا حتى ذُبح بين الركن والمقام، لكبَّه الله على وجهه في سَقَر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

وروى مسلم في أفراده من حديث ابنِ عمر قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ»[3].

---

(١) المعرب (ص:٣٩٥).

(٢) رواه الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٥) من طريق بقية بن الوليد، عن صفوان بن عمرو السَّكسكي، عن جبير بن نُفير، قال: قَالَ عمر: فذكره...
وبقية بن الوليد الحمصي مدلس كثير التدليس عن الضعفاء وقد عنعن، وجبير بن نفير في روايته عن عمر نظر.

(٣) رواه مالك في الموطأ (٢٦١٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ١١٠)، والبخاري في خلق أفعال العباد (١٧)، ومسلم (٢٦٥٥).

وَقَالَ ابنُ عبَّاس: كلُّ شيء بقدرٍ حتَّى وضع يدك على خدِّك[١].

وَقَالَ الزَّجَّاج: معنى ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: كل شيء خلقناه بقدرٍ مكتوبٍ في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ بفعلٍ مضمرٍ؛ المعنى: إنَّا خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقدر[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾.

قال الفرَّاء: أي: إلَّا مرَّة واحدة[٣].

وكذلك قَالَ مُقَاتِل: مرَّة واحدة لا مثنوية لها.[٤]

وروى عَطَاء، عَن ابن عبَّاس قال: يريد: إنَّ قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر[٥].

وَقَالَ ابن السُّائب: المعنى: وما أمرنا بمجيء السَّاعة في السُّرعة إلَّا كلمح البصر.

ومعنى اللمح بالبصر: النظر بسرعة.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أي: أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية، ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: متَّعظ ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ فَعَلُوهُ﴾ يعني الأمم.

---

(١) رواه الفريابي في القدر (٢٠٦) من طريق علي بن عبد الله بن عبَّاس، عن ابن عبَّاس، بنحوه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٢).

(٣) معاني القرآن (٣/ ١١٠).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٨٤).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٤/ ٢١٦).

وفي ﴿ٱلزُّبُرِ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه كتب الحفظة.

والثَّاني: اللَّوح المحفوظ.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من الأعمال المتقدِّمة ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مكتوب.

[٧٥٦/أ] قَالَ ابن قُتَيْبَة: هو مُفْتَعَل من سَطَرْتُ إذا كتبت، وهو مثل مَسْطور[1].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: في جنَّات وأنهار، والاسم الواحد يدلُّ على الجميع، فيُجْتَزَأُ به من الجميع، أنشد سيبويه والخليل: [من الطويل][2]

بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَ ... فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

يريد: وأمَّا جلودها، ومثله: [من الرجز][3]

.................... فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شُجِينَا

(١) غريب القرآن (ص:٤٣٤).

(٢) البيت لعلقمة الفحل في ديوانه (ص:٤٠)، والكتاب (١/ ٢٠٩)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ١٣٤)، والمقتضب (٢/ ١٧٣).

(٣) البيت للمسيب بن مناة كما في المحتسب (٢/ ٨٧)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢١٢)، ولطفيل في جمهرة اللغة (ص:١٠٤١) وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (٥/ ٢٣٧)، وخزانة الأدب (٧/ ٥٥٩)، وصدره: لا تُنْكِرُ القَتْلَ وقد سُبِينَا

ومثله: [من الوافر] (١)

كُلُوا فِي نِصْفِ بَطْنِكُمُ تَعِيشُوا ........................

وحكى ابنُ قُتَيْبَة، عَن الفَرَّاء أنَّه وحَّد؛ لأنَّه رأس آية، فقابل بالتوحيد رؤوس الآي، قال: ويقال: النَّهر: الضياء والسعة، من قولك: أنْهَرْتُ الطعنة: إذا وسَّعْتَها، قَالَ قيس بن الخَطِيم يصف طعنة: [من الطويل] (٢)

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

أي: أوسَعت فتقها.

قلت: وهذا قول الضَّحَّاك، وقَرَأَ الأعمش: «ونُهُر». (٣)

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: مجلسٍ حَسَنٍ؛ وقد نبَّهنا على هذا المعنى في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢].

---

(١) بلا نسبة في المقتضب؛ للمبرِّد (٢/ ١٧٥)، والصاحبي؛ لابن فارس (ص: ١٦١)، واللامع العزيزي؛ لابن المعري (ص: ٢٤١)، وتمامه: فإنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ

(٢) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه (ص: ٤٦)، وغريب القرآن (ص: ٤٣٥)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٧٧)، ولسان العرب (١٠/ ٤٩٥)، وشرح ديوان الحماسة؛ للمرزوقي (ص: ١٨٤)، والأغاني (٣/ ٥).

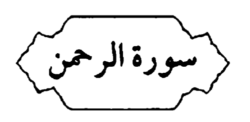
(٣) في المحتسب (٢/ ٣٠٠) عن زهير الفرقبي، ومختصر ابن خالويه (ص: ١٤٩) عن الأعرج، وفي التحصيل (٦/ ٢٧٧) عن أبي مجلز، وأبي نهيك، وفي المحرر (٥/ ٢٢٢) عن زهير الفرقبي، والأعمش، وزاد في البحر المحيط (١٩/ ٤٩) اليماني.

فأمَّـا المَلِيْـكُ ، فقـال الخطـابي: المَلِيْـكُ: هـو المَالِـكُ، وبِنَـاءُ فَعِيْـل للمُبَالغَةِ في الوصـف، ويكُـوْنُ المَلِيْـكُ بمعنـى المَلِـكِ، ومنه هـذه الآية[١].

والمقتدر مشروحٌ في الكهف.[٢]

(١) شأن الدعاء (ص: ١٠٣).

(٢) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٤٥).



وفي نزولها قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها مكيَّة، رواه ابن أبي طلحة، عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ الحسنُ، وعَطَاء، ومُقَاتِل، والجمهور، إلَّا أن ابن عبَّاس قال: سوى آية، وهي قوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].(١)

والثَّاني: أنَّها مدنيَّة، رواه عطيَّة، عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ ابن مسعود.(٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن: ١-١٣].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

قال مُقَاتِل: لما نزل قوله: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٦٠] قَالَ كفَّار مكَّة: وما الرحمن؟ فأنكروه، وقالوا: لا نعرف الرحمن، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذي أنكروه هو الذي ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.(٣)

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٩٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٦).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ١٦٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٩٥).

وفي قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ **قولان:**

**أَحَدُهُمَا:** علَّمه محمَّدًا، وعلَّم محمدٌ أمته، قَالَهُ ابن السَّائب.

**والثَّاني:** يسَّر القرآن، قَالَهُ الزَّجَّاج(١).

**قَوْلُهُ تَعَالى:** ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّه اسمُ جنسٍ، فالمعنى: خلق الناس جميعًا، قَالَهُ الأكثرون.

فعلى هذا في﴿ٱلْبَيَانَ﴾ **ستة أقوال:**

**أحدها:** النطق والتمييز، قَالَهُ الحسن.

**والثَّاني:** الحلال والحرام، قَالَهُ قَتَادَة.

**والثَّالِث:** ما يَقُولُ وما يُقَالُ له، قَالَهُ محمد بن كعب.

**والرَّابِعُ:** الخير والشر، قَالَهُ الضَّحَّاك.

**والخَامِسُ:** طرق الهدى، قَالَهُ ابن جريج.

**والسَّادِسُ:** الكِتَابة والخط، قَالَهُ يمان.

**والثَّاني:** أنَّه آدم، قَالَهُ ابن عبَّاس، وقَتَادَة.

فعلى هذا في ﴿ٱلْبَيَانَ﴾ **ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أسماء كل شيء.

**والثَّاني:** بيان كل شيء.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٥).

والثَّالِث: اللغات.

والقول الثَّالِث: أنَّه محمَّد ﷺ، علمه بيان ما كان وما يَكُون، قَالَهُ ابن كيسان.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: بحسابٍ ومنازل، لا يعدوانها؛ وقد كشفنا هذا المعنى في الأنعام.[١]

قال الأخفش: أضمر الخبر، وأظنه - والله أعلم - أراد: يَجْرِيانِ بِحِساب[٢].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ في النَّجم قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّه كل نبت ليس له ساقٌ، وهو مذهب ابن عبَّاس، والسُّدِّيّ، ومُقَاتِل[٣] واللغويين.

والثَّاني: أنَّه نجم السَّماء، والمراد به: جميع النجوم، قَالَهُ مُجَاهِد.

فأمَّا الشَّجر: فكُل ما له ساق.

قال الفَرَّاء: سجودهما: أنَّهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت، ثُمَّ يميلان معها حتَّى ينكسر الفيء[٤]. [٧٥٦/ ب]

وقد أشرت في النحل[٥] إلى معنى سجود ما لا يعقل.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٩٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥٣٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٩٣).

(٤) معاني القرآن (٣/ ١١٢).

(٥) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٤٩).



قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: وإنَّما ثني فعلهما على لفظهما[١].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ وإنَّما فعل ذلك ليحيا الحيوان وتمتد الأنفاس، وأجرى الريح بينها وبين الأرض، كيما يتروح الخلق، ولولا ذلك لماتت الخلائق كربًا.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدها**: أنَّه العدل، قَالَهُ الأكثرون، منهم مُجَاهِد، والسُّدِّيّ، واللغويون.

قَالَ الزَّجَّاج: وهذا لأنَّ المعادلة: موازنة الأشياء[٢].

**والثَّاني**: أنَّه الميزان المعروف، ليتناصف الناس في الحقوق، قَالَهُ الحسن، وقَتَادَة، والضَّحَّاك.

**والثَّالِث**: أنَّه القرآن، قَالَهُ الحسين بن الفضل.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ ﴾ ذكر الزَّجَّاج في «أَنْ» **وجهين:**

**أَحَدُهُمَا**: أنَّها بمعنى اللام، والمعنى: لئلَّا تطغوا.

**والثَّاني**: أنَّها للتفسير، فتكُون «لا» للنهي؛ والمعنى: أي: لَا تَطْغَوْا، أي: لا تجاوزوا العدل[٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٦).

(٣) المصدر السابق.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أي: لا تنقصوا الوزن[١].

فأمَّا الأنام، **ففيهم ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنَّهم الناس، رواه عكرمة، عَن ابن عبَّاس.

**والثَّاني:** كل ذي روح، رواه العوفي، عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ مُجَاهِد، والشَّعبي، وقَتَادَة، والسُّدِّيّ، والفَرَّاء.[٢]

**والثَّالِث:** الإِنْسُ والجِنُّ، قَالَهُ الحسَن، والزَّجَّاج.[٣]

قَولُهُ تَعَالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ أي: ما يتفكَّه به من ألوان الثمار، ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ والأكمام: الأوعية والغلف؛ وقد استوفينا شرح هذا في «حم» السجدة[٤].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ يريد: جميع الحبوب، كالبر، والشعير، وغير ذلك.

وقَرَأَ ابنُ عَامِر: «وَالْحَبَّ» بنصب الباء «ذَا العَصْفِ» بالألف، «والرَّيْحَانَ» بنصب النون. وقَرَأَ حَمْزَةُ، والكِسَائِيّ إلَّا ابن أبي سريج، وخَلَف: «والحبُّ» و«العصفِ» «والرَّيْحَانِ» بخفض النون؛ وقَرَأَ الباقون بضم النون[٥].

---

(١) غريب القرآن (ص:٤٣٦).

(٢) معاني القرآن (٣/ ١١٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٧).

(٤) انظر: تفسير سورة فصلت الآية رقم (٤٧).

(٥) السبعة (ص:٦١٩).

وفي ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ قولان:

أَحَدُهُمَا: أنّه تِبْنُ الزَّرع وورقه الذي تعصفه الرياح، قَالَهُ ابن عبَّاس، وكذلك قَالَ مُجَاهِد: هو ورق الزَّرع[1].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: العصف: ورق الزَّرع، ثُمَّ يصير إذا جَفَّ ودَرَس تبنًا.[2]

والثَّاني: أنَّ العصف: المأكول من الحبِّ، حكاه الفَرَّاء.[3]

وفي الرَّيحان أربعة أقوال:

أحَدُهَا: الرزق، رواه عكرمة، عَن ابن عبَّاس، وبه قَالَ مُجَاهِد، وسعيد بن جبير، والسُّدِّيّ.

قَالَ الفَرَّاء: الريحان في كلام العرب: الرزق، تقول: خرجنا نطلب ريحان الله، وأنشد الزَّجَّاج للنمر بن تولب: [من المتقارب][4]

سَلَامُ الْإِلَهِ وَرَيْحَانُهُ ... وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءٌ دِرَرْ

والثَّاني: أَنَّه خضرة الزرع، رواه الوالبي، عَن ابن عبَّاس.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٤٤)، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٧/ ٦٩٣) بلفظ: «ورق الحِنْطَة».

(٢) غريب القرآن (ص:٤٣٧).

(٣) معاني القرآن (٣/ ١١٤).

(٤) البيت في ديوانه (ص: ٣٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٧)، وغريب القرآن (ص:٤٣٧)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٢١)، والمخصص (١٢/ ٢٧٥)، ولسان العرب (٢/ ٣٩٥)، والتنبيه والإيضاح (١/ ٢٤٣).

قَالَ أبو سُلَيمَان الدِّمَشْقِيّ: فعلى هذا، سمي ريحانًا، لاستراحة النفس بالنظر إليه.

**والثَّالِث**: أنَّه ريحانكم هذا الذي يُشَمّ.

روى العوفي، عَنِ ابن عبَّاس قال: الريحان ما أنبتت الأرض من الريحان(١)، وهذا مذهب الحسَن، والضَّحَّاك، وابن زيد.

**والرَّابِعُ**: أنَّه ما لم يؤكل من الحب، والعُصفُ: المأكول منه، حكاه الفَرَّاء(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

**فإن قيل**: كيف خاطب اثنين، وإنَّما ذكر الإنسان وحده؟ فعنه **جوابان ذكرهما الفَرَّاء**:

**أَحَدُهُمَا**: أَنَّ العرب تخاطب الواحد بفعل الاثنين كما بينا في قوله: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾.(٣)

**والثَّاني**: أَنَّ الذِّكر أريد به الإنسان والجان، فجرى الخطاب لهما من أول السورة إلى آخرها(٤). [٧٥٧/أ]

قَالَ الزَّجَّاج: لما ذَكَرَ الله تعالى في هذه السُّورة ما يدلُّ على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليم البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والأرض،

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٨٧) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) انظر: تفسير سورة «ق» الآية رقم (٢٤).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٥٣٠).

(٤) معاني القرآن (٣/ ١١٤).

خاطب الجنَّ والإنس، قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، لأنَّها كلها منعم بها عليكم في دلالتها إيَّاكم على وحدانيته وفي رزقه إيَّاكم ما به قوامكم(١).

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: الآلاء: النِّعم، واحدها: أَلًى، مثل: قفًا، وإِلًى، مثل: مِعًى(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾[الرحمن: ١٤-٢٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: آدم ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ قد ذكرنا في الحجر الصلصال والجان.(٣)

فأمَّا قوله: ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ فقال أَبُو عُبَيْدَة: خلق من طينٍ يابسٍ لم يطبخ، فله صوت إذا نقر، فهو من يبسه كالفخار، والفخار: ما طبخ بالنَّار(٤).

فأمَّا المارِج، فقَالَ ابْنُ عبَّاس: هو لسان النَّار الذي يَكُون في طرفها إذا التهبت(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٨).

(٢) غريب القرآن (ص:٤٣٧).

(٣) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٢٦).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٣).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٨٢) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، به، بلفظ مطول.

وَقَالَ مُجَاهِد: هو المخْتَلط بعضُه ببعضٍ من اللَّهَبِ الأحمر والأصفر والأخضر الذي يَعْلُو النَّار إذا أُوقِدَتْ[١].

وَقَالَ مُقَاتِل: هو لهبُ النَّار الصَّافي من غير دخان[٢].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: المارج: خلط من النَّار[٣].

وَقَالَ ابن قُتَيْبَة: المارج: لهب النَّار، من قولك: قد مرج الشيء: إذا اضطرب ولم يستقرَّ[٤].

وَقَالَ الزَّجَّاج: هو اللَّهب المختلط بسواد النَّار[٥].

**فإن قيل**: قد أخبرَ الله تعالى عن خلق آدم عليه السلام بألفاظ مختلفة، فتارة يقول: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾[آل عمران: ٥٩]، وتارة: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾، وتارة: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[الصافات: ١١] وتارة ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾[الرحمن: ١٤]، وتارة: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[الحجر: ٢٩]؛ فالجواب: أنَّ الأصل التراب فجعل طينًا، ثمَّ صار كالحمإ المسنون، ثمَّ صار صلصالًا كالفخار، هذه أخبار عَن حالات أصله.

**فإنْ قيل**: ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٩٦) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٩٧).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٣).

(٤) غريب القرآن (ص:٤٣٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٩).

الجواب: أَنَّ ذلك التكرير لتقرير النِّعم وتأكيد التذكير بها.

قَالَ ابنُ قُتَيْبَة: من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام كما أَنَّ من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز، لأنَّ افْتِنَان المتكلِّم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد، يقول القائل منهم: والله لا أفعله، ثُمَّ والله لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع من أَنْ يفعله، كما يقول: والله أفعله، بإضمار لا إذا أراد الاختصار، ويقول القائل المستعجل: اعجل اعجل، وللرامي: ارم ارم، قَالَ الشاعر: [المتقارب][1]

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَهُ وَكَمْ وَكَمْ ........................

وَقَالَ الآخر: [من الطويل][2]

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ حِيْنَ وَلُّوا أَيْنَ أَيْنَا

وربما جاءت الصِّفة فأرادوا توكيدها، واستوحشوا من إعادتها ثانية لأنَّها كلمة واحدة، فغيروا منها حرفًا ثُمَّ أتبعوها الأولى، كقولهم: عَطْشَانٌ نَطْشَانٌ، وشَيْطَانٌ لَيْطَانٌ، وحَسَنٌ بَسَنٌ.

قَالَ ابن دريد: ومن الإتباع: جَائِع نَائِع، ومَليح قَزِيح، وقَبيح شَقيح، وشَحيح بَحيح، وخَبيث نَبيث، وَكثير بَثير، وسَيِّغ لَيِّغ، وسائغ لائغ، حَقير نَقير، وضَئِيل بَئِيل، وخَضِر مَضِر، وعِفْرِيت نِفْرِيت، وتِقَة

(١) بلا نسبة في معاني القرآن (١/ ١٧٧)، والصاحبي (١/ ١٥٨).

(٢) البيت لعَبِيد الأبرص الأسدي في ديوانه (ص:١٤٢)، والشعر والشعراء (١/ ٢٥٩)، وشرح أبيات مغني اللبيب (٢/ ١٩٦)، والحماسة البصرية (١/ ٨٢).

نِقَـة، وكُـن إِن، وواحـد فاحـد، وحَائِـر بَائِـر، وسَـمِج لَمِـج [١].

قَـالَ ابـنُ قُتَيْبَـة: فلـمَّا عـدد الله تعـالى في هذه السـورة نعـماءه، وأذكـر عباده [٧٥٧/ ب] آلاءه، ونبَّههـم عـلى قدرتـه، جعـل كل كلمـة مـن ذلـك فاصلـة بـين كل نعمتين، ليفهمهـم النِّعـم ويقررهـم بها، كقولـك للرجـل: ألم أبوئك منزلًا وكنـت طريدًا؟ أفتنكـر هـذا؟ ألم أحجَّ بـك وأنـت صرورة؟ أفتنكر هـذا؟[٢].

وروى الحاكـم أبـو عبـد الله في «صحيحـه» مـن حديـث جابـر بـن عبـد الله قـال: قَـرَأَ علينـا رسُـولُ الله ﷺ سـورة الرحمـن حتـى ختمهـا ثُـمَّ قـال: «**مَـا لِي أَرَاكُـمْ سُـكُوتًا، لَلْجِـنُّ كَانُـوا أَحْسَـنَ مِنْكُـمْ رَدًّا، مَـا قَـرَأْتُ عَلَيْهِـمْ هَـذِهِ الآيَـةَ مِـنْ مَـرَّةٍ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلَّا قَالُـوا: وَلَا بِـشَيْءٍ مِـنْ نِعَمِـكَ رَبَّنَـا نُكَـذِّبُ فَلَـكَ الْحَمْـدُ**»[٣].

---

(١) جمهرة اللغة (٣/ ١٢٥٢).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:١٥١ ـ ١٥٢).

(٣) رواه الترمـذي في جامعـه (٣٢٩١)، والحاكـم في المستدرك (٢/ ٥١٥)، والبيهقـي في شـعب الإيـمان (٢٢٦٤) مـن طريـق الوليـد بـن مسـلم، عـن زهـير بـن محمـد، عـن محمـد بـن المنكـدر، بـه، بنحـوه.
قـال الترمـذي: «هـذا حديـث غريـب لا نعرفـه إلا مـن حديـث الوليـد بـن مسـلم عـن زهـير بـن محمـد، وسـمعت محمـد بـن إسـماعيل البخـاري، يقـول: أهـل الشـام يـروون عـن زهـير بـن محمـد مناكـير، وأهـل العـراق يـروون عنـه أحاديـث مقاربـة. قلـت: وهـذا الحديـث مـن روايـة أهـل الشـام.

قَوۡلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾:

قَـرَأَ أبـو رجـاء، وابـنُ أَبِي عَبْلَـة: «ربِّ المَشْرِقَـيْنِ وربِّ المَغْرِبَـيْنِ» بالخفض،[1] وهمـا مـشرق الصيـف ومـشرق الشِّـتاء، ومغـرب الصيـف ومغـرب الشـتاء للشـمس والقمـر جميعًـا.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ أي: أرسـل العـذب والملـح وخلَّاهمـا وجعلهـما ﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾.

﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٌ﴾ أي: حاجـز مـن قـدرة الله تعـالى ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ أي: لا يختلطـان فيبغـي أَحَدُهُمَـا عـلى الآخـر.

وَقَالَ ابنُ عبَّاس: بحر السَّماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام.[2]

قَـالَ الحسَـنُ: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾ يعنـي: بحـر فارس والـروم، ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٌ﴾، يعنـي الجزائـر[3]، وقـد سـبق بيـان هـذا في الفرقـان[4].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾.

قـال الزَّجَّـاج: إنَّـما يخرج مـن البحر الملـح، وإنَّـما جَمَعَهما، لأنَّـه إذا خرج من أَحَدُهُمَـا فقد أخـرج منهما، ومثلـه ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نـوح: ١٦].[5]

---

(١) في البحر المحيط (١٠/ ٥٩) عن أبي حيوة، وابن أبي عبلة بالخفض بدلاً من ﴿رَبِّكُمَا﴾.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٠٠) من طريق عطية العوفي، به، بنحوه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٠٠) من طريق زياد مولى مصعب، به..

(٤) انظر: تفسير سورة الفرقان الآية رقم (٥٣).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٠).

قَالَ أبو علي الفارسي: أراد: يخرج من أَحَدُهُمَا، فحذَفَ المضاف.[١]

وَقَالَ ابنُ جرير: إنَّما قال: ﴿مِنْهُمَا﴾ لأنَّه يخرج من أصداف البحر عَن قطر السَّماء.[٢]

فأما اللؤلؤ والمرجان، ففيهما قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أن المرجان: ما صغر من اللؤلؤ، واللؤلؤ: العظام، قَالَهُ الأكثرون، منهم ابن عبَّاس، وقَتَادَة، والضَّحَّاك، والفَرَّاء[٣].

وَقَالَ الزَّجَّاج: اللؤلؤ: اسمٌ جامع للحب الذي يخرج من البحر، والمرجان: صغاره.[٤]

والثَّاني: أنَّ اللؤلؤ: الصغار، والمرجان: الكبار، قَالَهُ مُجَاهِد، والسُّدِّيّ، ومُقَاتِل[٥].

قَالَ ابن عبَّاس: إذا أمطرت السَّماء، فتحت الأصدافُ أفواهها، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ.[٦]

---

(١) انظر: الحجة (٦/ ٢٤٧).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ٢٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٠).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٩٧-١٩٨).

(٦) رواه ابن جرير الطبري(٢٢/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (١٨٧٣٤) في تفسيرهما من طريق سعيد بن جبير، به.

قَالَ ابنُ جريج: حيث وقعت قطرة كانت لؤلؤة.(١)

وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي قال: ذكر بعضُ أهل اللغة أنَّ المرجان أعجمي معرَّب.

قَالَ أبو بكر، يعني ابن دريد: ولم أسمع فيه بفعل منصرفٍ، وأَحْرِ به أن يَكُون كذلك(٢).

قَالَ ابنُ مسعود: المرجان: الخرز الأحمر(٣).

وَقَالَ الزَّجَّاج: المرجان أبيض شديد البياض(٤).

وحكى القاضي أبو يعلى أنَّ المرجان: ضربٌ من اللؤلؤ كالقضبان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ يعني: السفن.

﴿ٱلْمُنشَآتُ﴾ قَالَ مُجَاهِد: هو ما قد رُفِعَ قَلْعُهُ مِنَ السُّفُنِ دون ما لم يرفع قَلْعُهُ.(٥)

قَالَ ابنُ قُتَيْبَة: هنَّ اللواتي أنشئن، أي: ابتدئ بهنَّ فِي البَحْر.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: المعرب (ص:٦٠٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٦٧) من طريق مسروق، به.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٣).

(٥) هو في تفسير مجاهد (ص:٦٣٧) عن ابن أبي نجيح، ومن طريقه رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢١٠).

وقَرَأَ حَمْزَةُ: «المُنْشِئاتُ»[(١)]، فجعلهن اللواتي ابتدأن، يقال: أنشأت السَّحابة تمطر: إذا ابتدأت، وأنشأ الشاعر يقول[(٢)].

والأعلام: الجبال، وقد سبق هذا[(٣)].

قَولُهُ تَعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)﴾[الرحمن: ٢٦-٣٠].

قَولُهُ تَعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي: على الأرض، وهي كناية عن غير المذكور، ﴿فَانٍ﴾ أي؛ هالك.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ويبقى ربُّك ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

قال أبو سُلَيمان الخطابي: الجلال: مصدر الجليل، يقال: جليل [٧٥٨/أ] بيِّن الجلالة والجلال، والإكرام: مصدر أكرم يكرم إكرامًا، والمعنى: أنَّ الله تعالى مستحق أن يجل ويكرم، ولا يجحد ولا يكفر به، وقد يحتمل أن يَكُون المعنى: أنَّه يكرم أهل ولايته ويرفع درجاتهم، وقد يحتمل أن يَكُون أحد الأمرين ـ وهو الجلال ـ مضافًا إلى الله تعالى بمعنى الصفة له، والآخر مضافًا إلى العبد بمعنى الفعل منه، كقَولُهُ تَعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] فانصرف أحدُ الأمرين إلى الله وهو المغفرة،

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٦٢٠)، والحجة (٦/ ٢٤٨)، والتيسير (ص: ٢٠٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٤٣٨).

(٣) انظر: تفسير سورة الشورى الآية رقم (٣٢).

والآخر إلى العباد وهو التقوى[(١)].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: أنَّ الكل يحتاجون إليه فيسألونه وهو غنيٌّ عنهم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ مثل أن يحيي ويميت، ويعزّ ويذلّ، ويشفي مريضًا، ويعطي سائلًا، إلى غير ذلك من أفعاله.

وَقَالَ الحسينُ بن الفضل: هو سَوق المقادير إلى المواقيت[(٢)].

قَالَ مُقَاتِل: وسبب نزول هذه الآية أنَّ اليهود قالت: إنَّ الله لا يقضي في يوم السَّبت شيئًا، فنزلت: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[(٣)].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرحمن: ٣١-٣٦].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾:

قَرَأَ ابنُ كَثِير، ونَافِعٌ، وعَاصِمٌ، وأَبُو عَمْرو، وابن عَامِر: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بنون مفتوحة.

وقَرَأَ ابنُ مسعود، وعِكْرِمَةُ، والأعمش، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وعبد

(١) انظر: شأن الدعاء (ص:٩١-٩٢).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٨٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٩٨).

الـوارث: «سـيَفرغ» بيـاء مفتوحـة[١].

وقَـرَأ ابـنُ السَّـمَيفع، وابـن يعمـر، وابـنُ أَبِي عَبْلَـة، وعَاصِـمٌ الجَحْـدَرِيُّ، والحلبـيُّ عَـن عبـد الـوارث: «سـيُفرَغ» بضـم اليـاء وفتـح الـراء[٢].

قـال الفَـرَّاء: هـذا وعيـدٌ مـن الله تعـالى، لأنَّـه لا يشـغله شيء عَـن شيء، تقـول للرجـل الـذي لا شـغل لـه: قـد فرغـت لي، قـد فرغـت تشـتمني؟ أي: قـد أخـذت في هـذا وأقبلـت عليـه[٣]؟

قَالَ الزَّجَّاج: الفراغ في اللغة على ضربين:

أَحَدُهُمَا: الفراغ من شغل.

والآخـر: القصـد للـشيء، تقـول: قـد فرغـت ممَّـا كنـت فيـه، أي: قـد زال شـغلي بـه، وتقـول: سـأتفرَّغ لفـلان، أي: سـأجعله قصـدي[٤].

ومعنى الآية: سنقصد لحسابكم.

فأمَّا ﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾ فهما الجنُّ والإنسُ، سمِّيا بذلك لأنهما ثقل الأرض.

قَولُـهُ تَعَـالى: ﴿أَن تَنفُذُواْ﴾ أي: تخرجـوا؛ يقـال: نَفَـذَ الـشيءُ مـن الـشيء: إذا خلـص منـه، كالسَّـهم ينفـذ مـن الرميـة، والأقطـار: النواحـي والجوانـب.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٦٢٠)، والحجة (٦/ ٢٤٨)، والمبسوط (ص:٤٢٤).

(٢) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٥٠) رواه أبـو معـاذ، وفي التحصيـل (٦/ ٢٩٩) ذكـره أبـو حاتـم عـن الأعمـش.

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٩).

**وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:**

**أحدهـا**: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا واخرجوا منها؛ والمراد: أَنَّكم حيثما كنتم أدرككم الموت، هذا قول الضَّحَّاك، ومُقَاتِل في آخرين[1].

**والثَّالِث**: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربَّكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا؛ وإنما يقال لهم هذا يوم القيامة، ذكره ابن جرير[2].

قَولُهُ تَعَالى: **﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ فيه ثلاثة أقوال:**

**أحدهـا**: لا تنفذون إلَّا في سلطان الله وملكه، لأنَّه مالك كل شيء، قَالَهُ ابن عبَّاس.

**والثَّاني**: لا تنفذون إلَّا بحُجَّة، قَالَهُ مُجَاهِد.

والثَّالِث: لا تنفذون إلَّا بملك، وليس لكم ملك، قَالَهُ قَتَادَة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا﴾ فثنى على اللفظ، وقد جمع في قوله: ﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ على المعنى.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٩٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٧).

**فأما «الشواظ» ففيه ثلاثة أقوال:**

**أحدُها:** أنَّه لهب النار، قَالَهُ ابن عبَّاس.

وَقَالَ مُجَاهِد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار[١]. [٧٥٨/ ب]

**والثَّاني:** الدخان، قَالَهُ سعيد بن جبير.

**والثَّالِث:** النار المحضة، قَالَهُ الفَرَّاء[٢].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: هي النار التي تأجج لا دخان فيها[٣].

ويقال: شُواظ وشِواظ.

وقَرَأَ ابنُ كَثِير بكسر الشين، وقَرَأَ أيضًا هو وأهل البصرة: «ونِحاس» بالخفض، والباقون برفعها[٤].

**وفي «النحاس» قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه دخان النَّار، رواه أَبُو صَالِح، عَن ابنِ عبَّاس، وبه قَالَ سعيدُ بنُ جبير، والفَرَّاء وأَبُو عُبَيْدَة، وابنُ قُتَيْبَة، والزَّجَّاج، ومنه قول الجعدي يذكر امرأة:[٥] [من المتقارب]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٢٢).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٧).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٤٤).

(٤) انظر: السبعة (ص:٦٢١)، والحجة (٦/ ٢٤٩-٢٥٠)، والمبسوط (ص:٤٢٤).

(٥) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه (ص:٨١)، المنجد في اللغة (ص:٣٣٧)، والعين (٣/ ١٤٤)، وشرح القصائد السبع (ص:١٠١)، ولسان العرب (٦/ ٢٢٧).

تُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيـ ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسَا

وذكر الفرَّاء في السَّليط ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه دهن السنام، وليس له دخان إذا استصبح به.

والثَّاني: أنَّه دهن السمسم.

والثَّالِث: الزيت[1].

والثَّاني: أنَّه الصُّفر المذاب يصبُّ على رؤوسهم، رواه العوفي، عن ابن عبَّاس، وبه قَالَ مُجَاهِد، وقَتَادَة.

قال مُقَاتِل: والمراد بالآية: كفَّار الجنّ والإنس، يرسل عليهما في الآخرة لهب النار والصُّفر الذائب، وهي خمسة أنهار تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار، ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار نهار الدنيا، ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ أي: فلا تمتنعان من ذلك[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن: ٣٧-٤٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٠٠).

قَوْلُـهُ تَعَـالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ أي: انفرجـت مـن المجـرَّة لنـزول مَـن فيهـا يـوم القيامـة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ **وفيهـا قـولان:**

**أَحَدُهُمَا:** كلون الفرس الوردة، قَالَهُ أَبُو صَالِح، والضَّحَّاك.

وَقَـالَ الفَـرَّاء: الفـرس الـوردة، تَكُـون في الربيـع وردة إلى الصفـرة، فـإذا اشـتد الحـرُّ كانـت وردة حمـراء، فـإذا كان بعـد ذلـك كانـت وردة إلى الغـبرة، فشَّـبه تلـوُّن السَّـماء بتلـوُّن الـوردة مـن الخيـل[(١)].

وكذلـك قَـالَ الزَّجَّـاجُ: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ أي: كلـون فـرس وردة؛ والكميـت: الـورد يتلـون، فيَكُـون لونـه في الشـتاء خـلاف لونـه في الصيـف، ولونـه في الصيـف خـلاف لونـه في الشـتاء، فالسَّماء تتلون مـن الفـزع الأكبر[(٢)].

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة: المعنى: فكانت حمراء في لون الفرس الورد[(٣)].

والثَّـاني: أنَّهـا وردة النبـاتِ؛ وقـد تختلـف ألوانهـا، إلَّا أنَّ الأغلـب عليهـا الحمـرة، ذكـره المـاوردي[(٤)].

**وفي الدِّهان قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّه واحدٌ، وهو الأديم الأحمر، قَالَهُ ابن عبَّاس.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠١).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤٣٩).

(٤) انظر: النكت والعيون (٥/ ٤٣٥).



والثَّـاني: أنَّـه جمـع دُهـن، والدهـن تختلـف ألوانُـه بخـضرة وحمـرة وصفـرة، حـكاه اليزيـدي، وإلى نحـوه ذهـب مُجَاهِـد.

وَقَـالَ الفَـرَّاءُ: شـبَّه تلـوُّن السـماء بتلـوُّن الـوردة مـن الخيـل، وشـبَّه الـوردة في اختـلاف ألوانهـا بالدهـن[1].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يُسألون ليعلم حالهم، لأنَّ الله تعالى أعلم منهم بذلك.

والثَّـاني: لا يَسْـأَل بعضهـم بعضًـا عَـن حالـه لاشـتغال كل واحـد منهـم بنفسـه، روي القَـوْلان عَـن ابـن عبَّـاس.

والثَّالِـث: لا يُسـألون عَـن ذنوبهـم لأنَّهُـم يعرفـون بسـيماهم، فالكافـر أسـود الوجـه، والمؤمـن أغـرُّ محجَّـل مـن أثـر وضوئـه، قَالَـهُ الفَـرَّاء[2].

قَالَ الزَّجَّاج: لا يُسْأَلُ أحدٌ عَن ذنبه ليستفهم، ولكنَّه يُسْأَلُ سؤال توبيخ[3].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ ﴾.

قال الحسن: بسواد الوجوه، وزرق الأعين[4].

[٧٥٩/أ] ﴿ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ فيه قَوْلان:

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧٨).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٣١) من رواية معمر، عن الحسن به.

أَحَدُهُمَا: أنَّ خَزَنَة جهنَّم تجمع بين نواصيهم إلى أقدامهم من وراء ظهورهم، ثمَّ يدفعونهم على وجوههم في النَّار، قَالَهُ مُقَاتِل(١).

والثَّاني: يؤخذ بالنَّواصي والأقدام، فيُسحبون إلى النار، ذكره الثعلبي(٢).

وروى مردويه الصائغ، قال: صلى بنا الإمام صلاة الصبح فقَرَأَ سورة «الرحمن» ومعنا عليُّ بن الفضيل بن عياض، فلمَّا قرأ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ﴾ خرَّ علي مغشيًّا عليه حتَّى فرغنا من الصلاة، فلما كان بعد ذلك قلنا له: أما سمعت الإمام يقرأ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾؟ قال: شغلني عنها ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾(٣).

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي: يقال لهم: هذه جهنَّم ﴿ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يعني المشركين، ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾.

وقَرَأَ أبو العَالية، وأبو عمران الجوني: «يُطوِّفون» بياء مضمومة مع تشديد الواو(٤).

وقَرَأَ الأعمشُ مثله إلَّا أنَّه بالتاء.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٠١).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٨٨).

(٣) رواه الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٢٤) من رواية الفضل بن زياد، عن مردويه الصايغ به.

(٤) في التحصيل (٦/ ٣٠٠) عن الأعمش، وفي المحرر الوجيز (٥/ ٢٣٢) عن طلحة بن مصرف، وفي الكامل (ص:٦٤٤)، والبحر المحيط (١٠/ ٦٧) عن الأعمش، وطلحة، وابن مقسم.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَة: الحميم: الماء الحارّ، والآني: الذي قد انتهت شدَّة حرِّه[1].

قَالَ المفَسِّرون: المعنى أنَّهُم يسعون بين عذاب الجحيم وبين الحميم، إذا استغاثوا من النار جُعل غياثهم الحميم الشديد الحرارة.

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَآ أَفۡنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوۡجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣)﴾[الرحمن: ٤٦-٥٣].

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ **فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** قيامُه بين يدي ربِّه ﷻ يوم الجزاء.

**والثَّاني:** قيامُ الله على عبده بإحصاء ما اكتسب.

وجاء في التفسير، أنَّ العبد يهمُّ بمعصية فيتركها خوفًا من الله ﷻ فله جنتان، وهما بستانان.

﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٍ﴾ **فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّها الأغصان، وهي جمع فَنَنٍ، وهو الغصن المستقيم طولاً، وهذا قول مُجَاهِد، وعكرمة، وعطيَّة، والفَرَّاء، والزَّجَّاج[2].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤٣٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٢).

**والثَّاني**: أنَّها الألوان والضُّروب من كل شيء، وهي جمع فنن، وهذا قول سعيد بن جبير. وَقَالَ الضَّحَّاك: ذواتا ألوان من الفاكهة[١].

وجمع عَطَاء بين القولين، فقال: في كلِّ غصنٍ فنون من الفاكهة[٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: تجريان بالماء الزُّلال، إحداهما: السَّلسبيل، والأخرى: التسنيم[٣].

وَقَالَ عطيَّة: إحداهما: من ماء غير آسن، والأخرى: من خمر[٤].

وَقَالَ أبو بكر الورَّاق: فيهما عينان تجريان لمن كانت له في الدنيا عينان تجريان من البُكاء[٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي: صنفان ونوعان.

قال المفسِّرون: فيهما من كلِّ ما يتفكَّه به نوعان، رطب ويابس، لا يقصر أَحَدُهُمَا عَن الآخر في فضله.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٤٠) من رواية عبيد، عن الضحاك به.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٢٦).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٨٩)، والواحدي في التفسير البسيط (٢١/ ١٨٥) عن الحسن، وليس عن ابن عبَّاس، وهو سبق نظر من المؤلف، فقد قَالَ الثعلبي: «قَالَ ابْنُ عبَّاس: بالكرامة والزيادة على أهل الجنة، وَقَالَ الحسن: تجريان بالماء الزلال،...».

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٩٠).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٩٠).

قَولُـهُ تَعـالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٤-٦١].

﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ هذا حالُ المذكورين ﴿ عَلَىٰ فُرُشِۭ ﴾ جمع فراشٍ ﴿ بَطَآئِنُهَا ﴾ جمع بطانة، وهي التي تحت الظهارة.

وَقَالَ أبو هريرة: هذه البطائن، فما ظنُّكم بالظَّهائر؟[١].

وَقَالَ ابن عبَّاس: إنَّما ترك وصف الظَّواهر، لأنَّه ليس أحدٌ يعلم ما هي[٢].

وَقَالَ قَتَادَة: البطائن: هي الظَّواهر بلغة قوم[٣].

وكان الفَرَّاء يقول: قد تَكُون البطانة ظاهرة، والظَّاهرة بطانة، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما قد يَكُون وجهًا، والعرب تقول: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء، لظاهرها، وهو الذي نراه[٤].

وَقَالَ ابنُ الزبير يعيب قَتَلَةَ عثمان: خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية، فقتلهم الله كل قتلة، ونجا منهم مَن نجا تحت بطون الكواكب[٥]. [٧٥٩/ب]

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٩٠)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٢٦).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٢٦)، والتفسير البسيط (٢١/ ١٨٧).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٤٣٩).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٨).

(٥) ذكره الفَرَّاء في معاني القرآن (٣/ ١١٨)، وابن قتيبة في غريب القرآن (ص:٤٤١).

يعني هربوا ليلاً؛ فجعلوا ظهورَ الكواكب بطونًا، وذلك جائز في العربية.

وأنكر هذا القولَ ابنُ قُتَيْبَة جدًّا[١]، وقال: إنَّما أراد الله أن يعرفنا - من حيث نفهم - فضلَ هذه الفرش وأن ما ولي الأرض منها إستبرق، وإذا كانت البطانة كذلك، فالظِّهارة أعلى وأشرف.

وهل يجوز لأحد أن يقول لوجه مصلٍّ: هذا بطانته، ولما ولي الأرض منه: هذا ظهارته؟ وإنَّما يجوز هذا في ذي الوجهين المتساويين، تقول لما وَلِيَك من الحائط: هذا ظهر الحائط، ويقول جارك لما وليه: هذا ظهر الحائط، وكذلك السماء ما ولينا منها: ظهر، وهي لمن فوقها: بطن.

وقد ذكرنا الإستبرقَ في سورة الكهف.[٢]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

قال أَبُو عُبَيْدَة: أي: ما يجتنى قريبٌ لا يعني الجاني[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قد شرحناه في الصافات[٤].

وفي قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّها تعود إلى الجنَّتين وغيرهما ممَّا أعدَّ لصاحب هذه القصة، قَالَهُ الزَّجَّاج[٥].

(١) انظر: غريب القرآن (ص:٤٤١).

(٢) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٣١).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٤٥).

(٤) انظر: تفسير سورة الصافات الآية رقم (٤٨).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٢).

والثَّاني: أنَّها تعود إلى الفُرُش، ذكره علي بنُ أحمد النيسابوريّ[١].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾.

قَرَأَ الكِسَائِيُّ بضمِّ الميم، والباقون بكسرها[٢]، وهما لغتان: يَطْمِثُ ويَطْمُثُ، مثل يَعْكِفُ ويَعْكُفُ.

وفي معناه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: لم يفتضَّهنَّ، والطَّمْثُ: النِّكاح بالتَّدمية، ومنه قيل للحائض: طامِثٌ، قَالَهُ الفَرَّاء[٣].

والثَّاني: لَمْ يَمْسَسْهُنَّ يقال: ما طَمَثَ هذا البعيرَ حَبْلٌ قَطّ، أي: ما مسَّه، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَة[٤].

قال مُقَاتِل: وذلك لأنهنَّ خُلِقْنَ من الجَنَّة[٥]، فعلى قوله هذا صفة الحُور.

وَقَالَ الشَّعبي: هُنَّ من نساء الدنيا لَمْ يَمْسَسْهُنَّ مذ أُنشئن خَلْقٌ[٦].

وفي الآية دليلٌ على أنَّ الجِنِّيَّ يَغْشَى المرأة كالإنسيِّ.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾.

---

(١) انظر: التفسير الوسيط (٤/ ٢٢٧).

(٢) انظر: السبعة (ص:٦٢١)، والحجة (٦/ ٢٥٢)، والمبسوط (ص:٤٢٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٩).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٤٥).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٠٣).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٢٧).

قال قَتَادَة: هنَّ في صفاء الياقوت وبياض المرجان[١].

وذكر الزَّجَّاج أنَّ أهل التفسير وأهل اللغة قالوا: هنَّ في صفاء الياقوت وبياض المرجان، والمرجان: صغار اللؤلؤ، وهو أشدُّ بياضًا[٢].

وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: «الياقوت» فارسيٌّ معرَّب، والجمع «اليواقيت» وقد تكلَّمَتِ به العرب، قَالَ مالكُ بن نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعيُّ: [٣]

لَنْ يُذْهِبَ اللُّؤْمَ تاجٌ قَدْ حُبِيتَ بِهِ ... مِنَ الزَّبَرْجَدِ والياقوتِ والذَّهَبِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

قال الزَّجَّاج، أي: ما جزاءُ من أحسنَ في الدُّنيا إلَّا أن يُحسن إليه في الآخرة[٤].

وَقَالَ ابن عبَّاس: هل جزاء من قال: «لا إله إلا الله» وعَمِلَ بما جاء به محمَّدٌ ﷺ إلا الجنَّة[٥].

وروى أنس بنُ مالكٍ قال: قَرَأَ رسولُ الله ﷺ هذه الآية، وقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فَإِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ: هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةَ**»؟[٦]

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٩٩)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٥١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٣).

(٣) البيت في ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (١/ ٢٦٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٣).

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٤٤٠).

(٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٩٢)، والواحدي في التفسير الوسيط (١١٥٦) من رواية بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك به. وإسناد=

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَآمَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٧٨)﴾ [الرحمن: ٦٢-٧٨].

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: ولمن خاف مقام ربِّه جنَّتان، وله من دونهما جنَّتان[١].

وفي قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: دونهما في الدرج، قَالَهُ ابن عبَّاس.

[٧٦٠/أ] والثَّاني: دونهما في الفضل كما روى أبو موسى عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ»[٢]؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن زيد، ومُقَاتِل[٣].

---

=ضعيف؛ بشر بن الحسين: منكر الحديث.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٨٧٨، ٧٤٤٤)، ومسلم في صحيحه (١٨٠) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٠٤).

قَوۡلُهُ تَعَالَى: ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس وابنُ الزبير: خضراوان من الرِّي[1].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: من خضرتها قد اسودَّتا[2].

قَالَ الزَّجَّاج: يعني أنَّها خضراوان تضرب خضرتها إلى السَّواد، وكل نبتٍ أخضر فتمام خضرتِه وريِّه أن يضرب إلى السَّواد[3].

قَوۡلُهُ تَعَالَى: ﴿ نَضَّاخَتَانِ ﴾.

قال أَبُو عُبَيْدَة: فوَّارتان[4].

وَقَالَ ابنُ قُتَيْبَة: تفوران، و«النضخ» أكثرُ من «النضح»[5].

**وفيها يفوران به أربعة أقوال:**

**أحَدُها**: بالمسْكِ والكافور، قَالَهُ ابنُ مسعود.

**والثَّاني**: بالماء، قَالَهُ ابنُ عبَّاس.

**والثَّالِث**: بالخير والبركة، قَالَهُ الحسَن.

**والرَّابعُ**: بأنواع الفاكهة، قَالَهُ سعيدُ بن جبير.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٥٥) من رواية العوفي، عن ابن عبَّاس به، ورواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٥٥) من رواية حارثة بن سليمان السلمي، عن ابن الزبير به.

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٣).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:٤٤٣).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

قَالَ ابْنُ عبَّاس: نخل الجنَّة: جُذُوعها زمرُّد أخضر، وكربها: ذهب أحمر، وسَعَفُها: كسوة أهل الجنة، منها مقطعاتهم وحُلَلُهم.

وَقَالَ سعيدُ بن جبير: نخل الجنَّة: جذوعُها من ذهب، وعروقُها من ذهب، وكرانيفها من زمرُّد، ورطبها كالدلاء أشدُّ بياضًا من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من العسل، ليس له عجم[١].

قال أبو عبيد: الكرانيف: أصول السَّعف الغلاظ، الواحدة: كِرْنَافة[٢].

وإنَّما أعاد ذكر النخل والرمَّان ـ وقد دخلا في الفاكهة ـ لبيان فضلهما كما ذكرنا في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] هذا قولُ جمهور المفَسِّرين واللغويين.

وحكى الفَرَّاء والزَّجَّاج أن قومًا قالوا: ليسَا من الفاكهة.

قال الفَرَّاء: وقد ذهبوا مذهبًا، ولكن العرب تجعلهما فاكهة[٣].

قَالَ الأزهري: ما علمت أحدًا من العرب قَالَ في النخيل والكروم وثمارها: إنَّها ليست من الفاكهة، وإنما قَالَ مَن قَالَ لقلَّة علمه بكلام العرب،

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣١١٥) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧١٦) لابن المبارك، وابن أبي شيبة، وهناد بن السري، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث والنشور.

(٢) انظر: غريب الحديث؛ لابن قتيبة (٣/ ٦٦٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١١٩).

فالعربُ تذكر أشياء جملةً ثمَّ تخصُّ شيئًا منها بالتسمية تنبيهًا على فضلٍ فيه، كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فمَن قال: ليسا من الملائكة كَفَرَ، ومن قال: ثمر النخل والرمان ليسا من الفاكهة جهل[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني في الجنان الأربع ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ يعني الحور.

وقَرَأَ معاذ القارئ، وعَاصِم الجَحْدَرِيّ، وأبو نَهِيك: «خيِّرات» بتشديد الياء[٢].

قَالَ اللغويون: أصله «خيِّرات» بالتشديد، فخفِّفَ، كما قيل: هَيِّن لَيِّن، وهَيْن لَيْن.

وروت أمُّ سلمة عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ حِسَانُ الْوُجُوهِ»[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ﴾ قد بينَّا في سورة الدخان[٤] معنى الحور.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٦/ ١٩).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:١٥١) عن أبي عثمان النهدي، وفي التحصيل (٦/ ٣٠٠)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٣٥) عن بكر بن حبيب السهمي، وفي الكامل (ص:٦٤٤) عن ابن مقسم.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٦٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٩٥)، والواحدي في التفسير الوسيط (١١٥٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٣٦٧) من رواية سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة به.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١١٩): «وفيه سليمان بن أبي كريمة: ضعفه أبو حاتم وابن عدي».

(٤) انظر: تفسير سورة الدخان الآية رقم (٥٤).

وفي المقصورات قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: المحبوسات في الحِجَال، قَالَهُ ابنُ عبَّاس، وهو مذهب الحسن، وأبي العالية، والقرظي، والضَّحَّاك، وأبي صالح.

**والثَّاني**: المقصورات الطَّرْف على أزواجهن، فلا يرفعن طرفًا إلى غيرهم، قَالَهُ الربيع.

وعَن مُجَاهِد كالقَولَين، والأَوَّل أصحُّ، فإنَّ العربَ تقول: امرأة مقصورةٌ وقصيرةٌ وقصورة: إذا كانت ملازمة خدرها، قَالَ كُثَيِّر: [١] [من الطويل] [٧٦٠/ب]

لَعَمْرِي لَقَدْ حَبَّبْتِ كلَّ قَصِيرَةٍ ... إِلَيَّ وَمَا تَدْرِي بِذَاكَ الْقَصَائرُ

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الحِجَالِ ولم أُرِدْ ... قِصَارَ الخُطَى شَرُّ النِّساءِ البَحَاتِرُ

وبعضهم ينشده: قصورة، وقصورات؛ والبحاتر: القصار.

وفي ﴿ٱلْخِيَامِ﴾ قَوْلان:

**أَحَدُهُمَا**: أنَّها البيوت.

**والثَّاني**: خيامٌ تُضَاف إلى القصور.

وقد روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي موسى عَن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ**،

---

(١) البيتان لكثير عزة في ديوانه (ص ٣٦٩)، والأشباه والنظائر (٥/ ١٠٨)، وإصلاح المنطق (ص:١٣٩)، وجمهرة اللغة (ص: ٧٤٣)، ولسان العرب (٤/ ٨٥).

فَـلَا يَـرَى بَعْضُهُـمْ بَعْضًـا»[١].

وَقَالَ عمرُ بن الخطَّاب، وابنُ مسعود، وابنُ عبَّاس: ﴿ٱلْخِيَامِ﴾: دُرٌّ مجوَّفٌ[٢].

وَقَـالَ ابـن عبَّـاس: الخيمـة: لؤلـؤة واحـدةٌ أربعـة فراسـخ في أربعـة فراسـخ، لهـا أربعـة آلاف مـصراع مـن ذهـب[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ ﴾:

وقَـرَأَ عثـمانُ بـن عفـان، وعَاصِـمٌ الجَحْـدَرِيُّ، وابـنُ مُحَيْصِـنٍ: «عـلى رفـارف» جمـعٌ غـيرُ مـصروفٍ[٤].

وقَـرَأَ الضَّحَّـاكُ، وأبـو العاليـة، وأبـو عمـران الجـوني مثلهـم، إلا أنَّهُـم صرفـوا «رفـارف»[٥].

قَـالَ ثعلـب: إنَّـما لم يقـل: أخـضر، لأنَّ الرفـرف جمـعٌ، واحدتـه: رفرفـة، كقولـه: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾[يس: ٨٠] ولم يقل: الخُضر،

---

(١) رواه البخـاري في صحيحـه (٣٢٤٣) ومواضـع أخـرى، ومسـلم في صحيحـه (٢٨٣٨) مـن حديـث أبي موسـى الأشـعري بـه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٦٨) من رواية أبي الأحوص، عن عمر بن الخطاب به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٦٨) من رواية محمد، عن ابن عبَّاس به.

(٤) في مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٥١) عـن النبـي ﷺ، والجحـدري، وابـن مـصرف، وفي التحصيـل (٦/ ٣٠١) عـن عثـمان، والجحـدري، والحسـن، وغيرهـم، وانظـر أيضًـا: المحـرر الوجيـز (٥/ ٢٣٦)، والبحـر المحيـط (١٠/ ٧١)، والمحتسـب (٢/ ٣٠٥).

(٥) انظـر: مختـصر ابـن خالويـه (ص:١٥١)، والمحتسـب (٢/ ٣٠٥)، والتحصيـل (٦/ ٣٠١)، والبحـر المحيـط (١٠/ ٧١)، والمحـرر الوجيـز (٥/ ٢٣٦).

لأنَّ الشَّجر جمعٌ، تقول: هذا حصى أبيض، وحصى أسود، قَالَ الشاعر:[١] [من الطويل]

أَحَقّاً عِبادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ ماشياً ... بِهِرْجَابَ مَا دامَ الأَراكُ به خُضْرا

واختلفَ المفسِّرون في المراد بالرفرف **على ثلاثة أقوال:**

**أحدها:** أنّها فضولُ المحابِسِ والبُسُط، رواه العوفي، عَن ابن عبَّاس.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: هي: الفرش والبُسُط[٢].

وحكى الفَرَّاء، وابنُ قُتَيْبَة: أنَّها المحابس[٣].

وَقَالَ النَّقاش: الرفرف: المحابس الخُضْر فوق الفرش.

**والثَّاني:** أنَّها رياضُ الجنَّة، رواه أَبُو صَالِحٍ، عَن ابنِ عبَّاس، وبه قَالَ سعيدُ بن جبير.

**والثَّالِث:** أنَّها الوسائِدُ، قَالَهُ الحسن.

**قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ فيه قَوْلان:**

**أَحَدُهُمَا:** أنَّها الزرابيّ، قَالَهُ ابنُ عبَّاس، وعَطَاء، وقَتَادَة، والضَّحَّاك، وابن زيدٍ.

وكذلك قَالَ ابن قُتَيْبَة: العبقري: الطنافس الثِّخان[٤].

(١) بلا نسبة في لسان العرب (١/ ٧٨٤)، وتاج العروس (٤/ ٣٩٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦).

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٢٠)، وغريب القرآن (ص:٤٤٤).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤٤٤).

قال أَبُو عُبَيْدَة: يقال لكلِّ شيءٍ من البُسُطِ: عبقريّ[١].

والثَّاني: أَنَّه الديباج الغليظ، قَالَهُ مُجَاهِد.

قَالَ الزَّجَّاج[٢]: أصل العبقريِّ في اللُّغة أَنَّه صفةٌ لكلِّ ما بُولِغَ في وصفه، وأصله أن عبقر: بلدٌ كان يوشَى فيه البُسُط وغيرها، فنسب كلُّ شيءٍ جيدٍ إليه.

قال زهير: [٣] [من الطويل]

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَدِيرُونَ يَوْماً أن يَنالوا فيَسْتَعْلُوا

وقَرَأَ عثمانُ بن عفان، وعَاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ، وابنُ مُحَيْصِنٍ: «وعَبَاقِرِيَّ» بألف مكسورة القاف مفتوحة الياء من غير تنوينٍ.[٤]

قال الزَّجَّاج: ولا وجهَ لهذه القراءة في العربية، لأنَّ الجمع الذي بعد ألفه حرفان، نحو: مساجد ومفاتح، لا يجوز أن يَكُون فيه مثل عباقري، لأنَّ ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النَّسب، فلو جمعت «عبقري» كان جمعه «عباقرة»، كما أنَّك لو جمعت «مهلبي» كان جمعه «مهالبة»، ولم تقل: «مهالبي» قال: فإن قيل: «عبقريّ» واحدٌ، و«حِسَان» جمعٌ، فكيف جاز

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٣٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٤).

(٣) البيت لزهير كما في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٥/ ١٠٤)، والعين (٢/ ٢٩٨)، وغريب الحديث؛ لأبي عبيد (١/ ٨٨)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٨٧)، ولسان العرب (٤/ ٥٣٥).

(٤) في التحصيل (٦/ ٣٠١) عن عثمان، والجحدري، والحسن، وفي مختصر ابن خالويه (ص:١٥١) عن النبي ﷺ، والجحدري، وابن محيصن.

هـذا؟ فالأصـلُ أنَّ واحـدُ هـذا «عبقريـة» والجمـع «عبقـري» كـما تقـول: تمـرة، وتمـر، ولـوزة، ولـوز، ويَكُـون أيضًـا: «عبقـري» اسـمًا للجنـس(١).

[٧٦١/أ] وقَـرَأَ الضَّحَّـاك، وأبـو العاليـة، وأبـو عمـران: «وعباقـريٍّ» بألـف مـع التنويـن(٢).

قَولُهُ تَعَالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ فيه قَوْلان:

أَحَدُهُمَا: أنَّ ذِكْرَ «الاسم» صِلَةٌ، والمعنى: تبارك ربُّك.

والثَّاني: أنَّه أصل.

قَـالَ ابْـنُ الأَنْبَـارِي: المعنـى: تَفَاعَـلَ مـن البركـة، أي: البركـة تنـالُ وتُكْتَسَـبُ بِذِكْـرِ اسـمه.

وقـد بينَّـا معنـى ﴿تَبَٰرَكَ﴾ في الأعـراف(٣)، وذكرنـا في هـذه السُّـورة معنـى ﴿ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾.

وكان ابـنُ عَامِـرٍ يقـرأ: «ذو الجـلال» وكذلـك هـي في مصاحِـفِ أهـلِ الشَّـام، والباقـون: ﴿ذِي ٱلۡجَلَٰلِ﴾ وكذلـك هـي في مصاحـف أهـلِ الحجـاز والعـراق، وهـم متَّفِقُـون عـلى الموضـعِ الأَوَّل أنَّـه «ذو»(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٠٤).

(٢) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:١٥١)، والتحصيل (٦/ ٣٠١).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٥٤).

(٤) انظر: السبعة (ص:٦٢١)، والحجة (٦/ ٢٥٣)، والمبسوط (ص:٤٢٥).

# فهرس الآيات



| رقم الآية | الصفحة |
|---|---|
| **سورة الأحقاف** | |



| رقم الآية | الصفحة |
|---|---|
| **سورة محمد** | |

